مُعاناة فإنتصار

المؤلف
ريتشارد وورمبراند
صاحب كتاب العذاب الأحمر

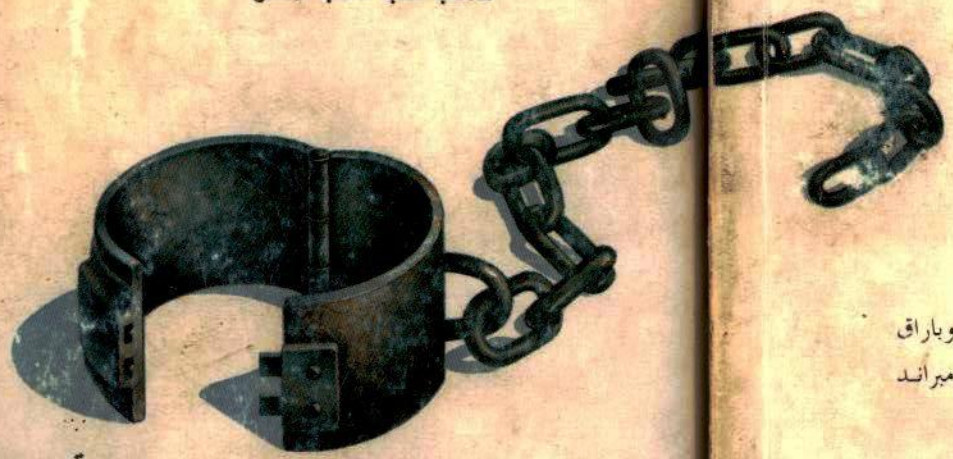

ترجمة
د . ناجى يوسف

هذا الكتاب

صورة واقعية لما تحمله الكاتب « ريتشارد وورمبراند » من مغاناة لأجل المسيح فى السجون الشيوعية ، وهو مثالاً توضيحياً مُجسم حتى لما جاء فى الرسالة إلى العبرانيين الإصحاح الحادى عشر ..

« الذين بالايمان قهروا ممالك ، صنعوا براً ،
نالوا مواعيد ، سدوا أفواه أسود ،
أطفأوا قوة النار ، نجو من حد السيف ،
تقووا من ضعف صاروا أشداء فى الحرب ،
هزموا جيوش غرباء ، عذبوا ولم يقبلوا
النجاه لكى ينالوا قيامة أفضل ،
تجربوا فى هزء وجلد ثم فى قيود وحبس ،
ماتوا قتلاً بالسيف ، طافوا فى جلود غنم
وجلود معزى معتازين ، مكروبين ، مذلين ،
وهم لم يكن العالم مستحقاً لهم ، تائهين
فى براري وجبال ومغاير وشقوق الأرض »

وماذا أقول أيضاً لأنه يعوزنى الوقت إن أخبرت عن جدعون وباراق وشمشون ويفتاح وداود وصموئيل ، وسابينا وريتشارد وومبراند والأنبياء وغيرهم .

المعرب

معاناة فانتصار

المؤلف
ريتشارد وورمبراند
صاحب كتاب العذاب الأحمر

ترجمة
د . ناجى يوسف

اسم الكتاب : معاناه فإنتصار
المؤلـــــف : القس ريتشارد وورمبراند
المترجـــم : د. ناجى يوسف
الطبعة الأولى : مارس ١٩٩٣
رقم الإيداع : ١٩٩٣/٤١١٥
المطبعة : مكتب النسر للطباعة ت : ٢٤٢٠٩٧١

مقدمة المؤلف

روى أحد الاخوة الذين شاركونى زنزانتى ، فى أحد السجون الشيوعية ، وكان قد تعذب كثيراً على يد البوليس الشيوعى هذه القصة قائلاً « لقد رأيت مرة من المرات مشهداً عجيباً فى سيرك للألعاب البهلوانية ، حيث حاول أحد الرجال المدربين على التنشين الدقيق وإصابة الأهداف بمهارة أن يظهر مهاراته فى هذا المضمار فوجه مقذوفه نحو شمعة مشتعلة وضعتها زوجته على رأسها ومن مسافة كبيرة أطلق مقذوفة فأسقط الشمعة إلى الأرض دون أن تصاب زوجته بأى أذى ، فسألتها بعدها ، هل كنت تشعرين بالخوف وانت فى هذا الوضع ، فأجابت بلا تردد « لما أخاف ؟ » فإن زوجى كان يصوب مقذوفه للشمعة وليس لى .

وقد فكرت فى ذلك وأنا تحت العذاب والمعاناه ، لماذا أخاف من التعذيب ؟ فإنه غير موجه لى ، فإنهم لم يضربونى أنا ، هم يضربون جسدى ، أما أنا أى كيانى الحقيقى الداخلى فهو فى المسيح ، فأنا أجلس معه فى السماويات ، وهذا الذى فى السماويات لا يستطيعون هم أن يلمسوه .

لقد عشت خلال السنوات التى كنت منفياً فيها اجبارياً خارج

رومانيا ، بهذا المفهوم الإيمانى الذى كان يملأ قلبى ، والآن فى رجوعى إلى أرض رومانيا ، فإننى أجد نفسى بهذه الروح والمفاهيم فى المؤمنين الذين قابلتهم هناك ، لذا فإن غرضى من كتابة هذا الكتاب هو أن يساعدك للصعود لمثل هذه السماويات .

هذا الكتاب

يحوى بين ضفتيه نهر من الدروس الرائعة الغالية المستفادة من معاملات الله مع البشر ، فقد علمتنى حياة مؤلفه ريتشارد وورمبراند وزوجته سابينا وفق ما جاء بهذا الكتاب أن العلى متسلط فى مملكة الناس وهو يعطيها لمن يشاء حتى وإن بدى الواقع غير ذلك ، وإن الشمس دائماً موجودة خلف الغيوم الكثيفة المتلبدة التى لابد أن تنقشع مهما طال ليل الظلام ، إن غير المستطاع لدى الناس مستطاع لدى الله فالأمور لا تسير بالقوة ولا بالقدرة بل بروحى قال رب الجنود ، وأن تنفيذ وصايا سيد كل الأرض ممكنة فهى غير ثقيلة وأن هناك من يعيشون الكلمات « أحبوا اعداءكم باركوا لاعنيكم صلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم » وأن منتظروا الرب يجددون قوة ، يرفعون أجنحة كالنسور وأنهم لا يتعبون ولا يعيون ولا يخذون وهو يجدد مثل النسر شبابهم .

فها هو كاتب هذا الكتاب « معاناه .... فانتصار » يبلغ الثالثة والثمانين من عمره ، وقد لبث خمسة وعشرين عاماً فى منفاه الإجبارى فى الغرب يترقب العودة إلى رومانيا مسقط رأسه بعد أن قضى بها أربعة عشرة سنة فى غياهب سجونها كما قضت زوجته ثلاثة سنوات ونصف فى معتقلات السخرة كألأمه تحت حكم الشيوعيين فى

بلادهما ، لأنهما كانا يناديان للشيوعيين بأن المسيح هو الطريق والحق والحياة وأنه ليس بأحد غيره الخلاص فله يشهد جميع الأنبياء أن كل من يؤمن به ينال باسمه غفران الخطايا ، فاذاقهما الشيوعيون العذاب الذى دون المؤلف تفاصيله فى كتابه الشهير « العذاب الأحمر » .

وها هو اليوم يقدم هذا الكتاب بنغمة الإنتصار بعد أن أزاح الله الديكتاتور الدموى شاوشيسكو من المشهد وفتح أبواب رومانيا لهما مرة أخرى ، فرفعا ريتشارد وسابينا اجنحتهما كالنسور وطارا إلى هناك ليسجلا لنا اختباراتهما فى رحلتهما المثيرة ، وهما بذلك يلقنانا دروساً فى الصبر والاحتمال والاهتمام بالمضطهدين والغفران للمسيئين إلينا وكيفية إختبار الفرح فى كل الظروف والمناداه باسم المسيح فى كل الأوقات حتى عندما يكون المرء فى زنزانة انفرادية تحت الأرض ، وغيرها الكثير من الدروس النافعات التى أترك لك عزيزى القارىء إكتشافها بنفسك عبر السطور .

هذا ما دفعنى لنقل هذا الكتاب للغتنا العربية وأصلى أن يكون سبب بركة لكل من يقرأه .

المعرب

الفصل الأول

نبـــى

بعد ثمانى سنوات فى سجون رومانيا الشيوعية ، اطلقوا سراحى لفترة وجيزة ، فقد فشلت فى إجتياز الاختبار ، فقد اعتبر الشيوعيون أن عظاتى التى ألقيتها بعد خروجى من السجن سيئة كتلك التى كانت قبل دخولى إليه ، واعتبروا أن غسيل المخ الذى تعرضت له فى زنزانتى لم يكن كافياً ليؤثر على أفكارى ، وأن عقلى مازال يحتوى على نفس الأفكار الدينية الخاطئة (كما كانوا يعتبرونها) فلم يعد لديهم إلا حل واحد ، وهو أن يعودوا بى مرة اخرى إلى المعتقل ، لكن فى هذه المرة لمدة خمسة وعشرين سنة ، لكننى لم أبق هناك فى هذه المرة إلا ستة سنوات فقط ، فأصبحت كل سنوات سجنى أربعة عشرة فقط .

وكان هناك ضابطاً يدعى ستانشيو Stancio من البوليس السرى الرومانى وهو الذى حقق معى عندما دخلت السجن للمرة الثانية وقد كان مسيحياً ثم ارتد ، فوضعوه فى بيوت المؤمنين الحقيقيين ليعرفهم وهو الآن يقتاد أولاد الله للحبس ، ويقنعهم أنهم مخطئون ولسبب ما غير معروف كان لطيفاً معى ، فهمس لى فى اليوم الأول لسجنى قائلاً « إن قادتى هنا ارتكبوا خطأ كبيرا عندما أمروا بالقبض عليك ، فكنت أنت سابقاً قساً غير معروف فى كنيسة صغيرة ، لكن بعد أن

قبضنا عليك لمدة ثمانية سنوات أصبحت رمزاً وشخصاً معروفاً لدى المسيحيين فى كل رومانيا ، وأصبحت بطلاً فى أعينهم ، والقبض عليك اليوم سيعمل منك رمزاً وبطلاً عالمياً ، وهذا خطأ كان يجب أن لا يرتكبه قادتنا » .

ورغم أنه عدو لانجيل المسيح لكنه نطق بنبوة كما فعل قيافا رئيس الكهنة الذى حكم على يسوع بالموت [يو ١١ : ٥٠] .

وبعد أن اطلقوا سراحى فى سنة ١٩٦٤ وبعد اعتقالى لمدة أربعة سنوات فى زنزانة تحت الأرض بسجون الشيوعيين ، لم يسمحوا لى حتى بحضور الكنائس ، فقد هددوا رعاة الكنائس التى كان يمكن أن أحضر بها قائلين « لا تدعوا ريتشارد وورمبراند أن يحضر كنائسكم والإ ...!! » ولم يكن لدى أى خيار أخر سوى أن أترك بلدى رومانيا أنا وزوجتى سابينا وابنى ميهاى فى ديسمبر سنة ١٩٦٥ .

ولمدة خمسة وعشرين سنة نفونا إجبارياً خارج البلاد ولم يفتر الشيوعيون عن أن يلقبوننى بعدو رومانيا الأول فى صحافتهم وخاصةً بسبب كتاباتى التى كانت تفضح أعمالهم الشريرة واشتراكى فى ارسالية مسيحية تخدم فى العالم الشيوعى فقد استخدمنى الرب لابدأ العمل فى هذه الارسالية لكيما ننشر رسالة المسيح فى البلاد التى يحكمها الديكتاتوريون الشيوعيون ولنساعد المضطهدين هناك ، وقد إستطعت أن اكتب بعض الكتب التى ترجمت لأكثر من ستين لغة ،

ولمدة أكثر من عشرين عاماً وانا أسافر وأعظ فى العالم كله لخدمة هذه الارسالية التى امتد عملها لكل الاقطار ، نعم وأصبحت بنعمة الله واستخدامه شخصية معروفة على المستوى العالمى وتحققت رؤية الضابط ستانشيو .

العودة إلى رومانيا

مع أننى أقدر شركة الأخوة والأخوات فى كل الاقطار وكل الطوائف المسيحية ، لكن قلبى لم يفتر عن أن يتطلع إلى أرض أبائى رومانيا ، ذلك البلد الذى ولدت فيه مرتين .

ومع أن العصبية القبلية أصبحت عادات بالية اليوم ، لكن مادام يسوع قد علمنا أننا علينا أن نحب حتى أعداءنا فكيف لا نحب بلدنا أولاً ، لذلك حينما سافرت من رومانيا ، كان القلب الذى ينبض بين ضلوعى هو قلب جريح دامى لأجل بلدى ولأجل الكنيسة الرومانية المضطهدة ، والتى لم يكن هنالك أى أمل أن أراها ثانية إلا فى السماء حيث التجمع العظيم هناك ، ومع أننا لم نشعر بوجود أى أمل فى ذلك ، حاولنا زوجتى وأنا أن نخلق الأمل فى رؤيتها حتى يتحقق هذا الرجاء ، وفى بضعة أيام قلائل أطاح الله بالدكتاتور الدموى شاوشيسكو وقتل هو وزوجته ، واستطعت أخيراً ان اعود إلى بلدى.

وركبنا أنا وزوجتى الحبيبة سابينا الطائرة من مطار زيورخ ، ولم

نكن نعلم إن كانوا سيسمحون لنا بدخول رومانيا أم لا ، فقبل ذلك بعدة أيام حاولنا أنا وملك رومانيا السابق والملكة آنا Anna الرجوع إلى رومانيا ، ولم تسمح السلطات الرومانية بدخول الملك إليها لزيارة أراضيها التى اقتحمها الشيوعيون تحت رعاية الاتحاد السوفيتى ، واوقفتهم فى مطار زيورخ [فى يناير سنة ١٩٩١ استردت الحكومة الرومانية جنسيتها الوطنية] .

أما أنا وزوجتى فركبنا الطائرة حيث قطعت علينا أحدى مضيفاتها استقرارنا بالقول « على الراكب ريتشاردوورمبراند أن يعرف نفسه لنا » فذاب قلبى ، وفكرنا أنهم سيطلبون منا أن نغادر الطائرة ، ولدهشتنا الشديدة وجدنا علبة من الشيكولاته ورسالة تشجيع من أحد الأصدقاء أرسلها لنا رغم أننى لم استطع التعرف على اسمه فقد علم أننا سنسافر على هذه الطائرة ، وبعد ساعتين تقريباً سمعنا ما لا يمكن أن يصدق من كلمات « على جميع الركاب ربط الاحزمة والاستعداد للهبوط فى مطار بوخارست » .

وقد قالت لى حفيدتى الكبرى اميلى أن رومانيا بلد شيوعية فاذا قبضوا عليك ومعك كتب مسيحية سوف يودعونك السجن ، لكن الأمر لم يعد هكذا الآن ونحن نعود إليها بعد ربع قرن من الزمان ، لأن الارسالية التى أخدم بها وكثير من المؤمنين عبروا حدود رومانيا بعربات نقل كبيرة محملة بالكتب المقدسة والنبذ .

وقد شيدت ارساليتنا مطبعة ضخمة هناك فى بوخارست نفسها ،

ونأمل سريعاً أن تنتج كتب مقدسة وكتب مسيحية أخرى ، ورغم أن المطبعة نفسها سوف تكلفنا ما لا يتوافر لدينا من نقود لكن المطبعة الألمانية التى تطبع مطبوعات المجلس السوفيتى إنكسرت ، وبيعت اجزاءها فى مزاد علنى ، ونحن اشتريناها فحصلنا بذلك على مطبعة من الدرجة الأولى بنصف ثمنها ، وأكثر من ذلك فإن الكتب المقدسة فى رومانيا سوف تطبع فى نفس المطبعة التى طبعت فيها النشرات والكتب الالحادية ، ونحن نقيم الآن فى رومانيا دار لبيع الكتب واشرطة الفيديو المسيحية .

رؤية الملائكة والمسيح

أخيراً بعد غياب طويل نحن الآن فى رومانيا ومغلوباً من عواطفى قبلت أرضها ، وبعد عودتى الى غرب اوروبا وامريكا سألنى الناس هناك عن الوضع فى رومانيا الآن ، وبالطبع فانه لا يمكننى أن أعلق على الوضع ككل فى رومانيا ، لكن يمكننى فقط أن أقول ما رأيته فالمُشاهد جزء من الحقيقة التى يشاهدها وجمال الرؤية يتوقف على شخص الرائى فان كانت لشخص ما عين صالحة (مت ٦ : ٢٢) أو عين حمامه (نشيد الانشاد ١ : ١٥) سوف يرى الأمور تختلف عما يراها غيره من أصحاب العيون الأخرى .

عندما سمع بطرس ويوحنا الإشاعة أن يسوع قد قام ، أسرعوا إلى القبر ، ودخلوا ، ووجدوا الكتان والمنديل ، ولا شيء سوى ذلك .

ثم مضيا (يو ٢٠ : ٧) وبعد لحظات جاءت مريم المجدلية ونظرت فى نفس القبر ورأت ملائكة . فكيف لم ير التلاميذ هؤلاء الملائكة ؟

أما مريم المجدلية فلم تكتف برؤية الملائكة ، وربما فكرت فى نفسها قائلة حيث يوجد ملائكة لابد أن يكون هناك شىء أفضل ، ولم تعمل سوى أنها أدارت رأسها حتى رأت الشخص الذى قام من الأموات .

أنا ذهبت إلى رومانيا لأرى الملائكة وأرى يسوع ، فهم حبى الأول فلماذا أقضى وقتى مع مخلوقات أقل فى القيمة وبالفعل رأيت مخلوقات ملائكية ورأيت يسوع يسكن فى حياة قديسيه .

الشىء المحزن الوحيد ـ أن لا تكون قديسا

لقد مرت ٢٥ سنة منذ أن تركنا رومانيا ، وهمس صوت فى آذاننا « لماذا لم تقطعوا الأمل فى العودة إليها ، ربما لن يذكركم أحد » .

والحقيقة أنه كان من الصعب علينا أن نصافح كل الجموع التى تجمعت حولنا من مدن كثيرة بعيدة وقريبة لكى ترحب بقدومنا ، فلم يكن لفرحنا ولا لدهشتنا حدود لأجل ذلك . وأول من رأيته كان زميل زنزانتى القديم نيكولاى مولوفانو Nicolaie Moldovanu من هيئة « جيش الرب » وهى هيئة كجيش الخلاص فى أمريكا لكنهم لا يستخدمون زى معين ولا شارات معينة . لقد كنا معاً فى نفس الزنزانة فى سجن جيرلا Gherla وكانت المعاملة

هناك قاسية جداً ، فمن وقت لآخر كان الحراس يصرخون « على المساجين أن ينبطحوا على الأرض » وكان الوقت شتاءً ، ولم يكن لدينا بلوفرات ولا غطاء واحد وكانت الأرضية من الأسمنت البارد جداً ولا يوجد حتى قليل من القش للتدفئة .

وكان المساجين يلعنون قساوة الحراس ، لكن مولدوفان لم يكن يفعل ذلك . فكان يؤمن أن تسبيح الله أفضل من سب الشيوعيين ، وبابتسامة جميلة على وجهه قال « دعونا ننسى ما يحيط بنا ، سأرنم لكم الترنيمة التى ألفتها الآن وأنا نائم على بطنى فى الأرض » وكانت ترنيمة مليئة بالفرح والرجاء والتسبيح وهى ترنم الآن فى كثير من الأقطار .

لقد تذكرت جويش الكاهن الأرثوذكسى الذى كنت معه فى سجنه جيلافا Jilava القريب من بوخارست ، كان السجن كله تحت الأرض ، وكانت تلقى بفضلات البقر فوق الزنزانات المدفونة تحت الأرض .

كنت فى السنة الثامنة لسجنى ، وكنت قد تعودت على كل شىء فى السجن ويوماً ما احضروا مجموعة جديدة من المساجين كلهم كهنة ارثوذكس وكان الحراس يصيحون من وقت لوقت « كل الكهنة يخرجون للممرات الخارجية » . ثم يبدأون فى ضربهم .

وجلس بجوارى الكاهن جويش الذى كنت أعرفه قبل أن ندخل السجن وكان كل اهتمامى أن أطيب خاطره وسألته « هل أنت حزين »

فرفع لى عينيه الجميلة وقال « أنا أعرف شيء واحد يحزننى ، أن لا اكون قديساً » .

مولدوفانو كان انساناً عظيماً ، فياله من شرف ، انه يقبلنى بقبله اخوية ، وأنا أشعر أننى لا استحق أن أحل سيور حذائه .

قبلات مقدسة

كثيرة هى القبلات التى انطبعت على وجهى فى المطار ، وأنا اؤمن أن القبلات لابد أن يكون لها مكانة عظيمة فى كنيسة المسيح ، فقد كتب بولس « قبلوا بعضكم بعضاً بقبلة مقدسة » ليس بتشابك أيادى باردة ويسوع نفسه يتطلع إلى قبلاتنا « قبلوا الابن » وهكذا سطر كاتب المزمور فى (مز ٢ : ١٢) والابن لا يرتضى بأقل من ذلك .

ففى يوم ما كان يسوع فى منزل رجل فريسى اسمه سمعان ، وكان قد دعاه الأخير على العشاء ، ولاشك انه وضع على سفرة العشاء ورود جميلة ، وأنواع من الأكل والمشروبات نظر إليها يسوع وقال فى حزن « أتيت إلى بيتك وقبله لم تقبلنى » فهذا ما كان يريده يسوع .

إن كلمة عبادة فى العهد الجديد جاءت فى اليونانية بروسكينيو وهى تعنى القبلة الوقورة أو المحترمة ، ولما كان يسوع على الأرض كان من السهل أن تقبله ، فلاشك أن أمه العذراء مريم قبلته مرات

بلا عدد .. ولكن كيف يمكن أن نقبله الآن ؟

ان زوجتى أخذت منى قبلات كثيرة وأنا فى السجن أكثر مما يمكنها الآن ، فعندما أريد أن اقبلها الآن قد يرن جرس التليفون أو يكون لزاماً على أن أسرع إلى اجتماع ما ، فالقبلات ليست فقط ملامسة بين زوج من الشفاه . لكن اتحاد بين قلوب محبه .

النار غير المؤثرة

وهكذا قبّلنى كوستانتين كارامان الذى أصبح واحد من طرق الاتصال الاساسية بين إرساليتنا والكنائس السرية فى رومانيا ، وكان من خلاله اننا استطعنا أن نصل إلى عائلات اولئك المضطهدين .

وهو أيضاً قد أودع السجن ثلاث مرات ، وعمل كعبد فى معسكرات العمل الشيوعية ، وهكذا أيضاً زوجتى ، لشق قناة توصل بين الدانوب والبحر الأسود ، وياله من مكان للعذاب ، هناك قُبِضَ على أحد المسجونين وقد سرق عشرين بصله لكى يوزعها على المساجين ليتمكنوا من بَلع الطعام الردىء الذى يعطى لهم ، وهو طعام يتكون من حبوب تستخدم طعاماً للانسان وعلفاً للحيوان مطبوخ فى ماء بلا ملح أو سمن ، وخَيَّر الحراس السجين اما أن يضربونه خمسة وعشرين ضربة على باطن قدمه ، أو ان يأكل كل البصل بلا خبز أو ملح ، فاختار السجين اكل البصل ، وجرت الدموع من عينيه التى

تضخمت فكان يبدو كالضفدعة وفى النهاية أصيب بتقلصات عصبية وعضلية رهيبة .

وفى الطريق من الزنزانات إلى مواقع العمل وجدت مجموعة من النسوة المساجين جثة كلب ميت على الطريق فحطمت احداهن رأسه بحجر وقفزت الاخريات ليأكلن مخه لأن جوعهن للبروتين كان شديداً ، وفى الاتحاد السوفيتى كانت الدواب تحمل الاحجار إلى مواقع العمل فيأخذ المساجين الديدان الموجودة فى روثها ويغسلونها ويأكلونها أيضاً كمصدر للبروتين .

ونظرت إلى وجه كارامان المضىء ، العبد فى معسكرات العمل ، لكنه كان يحمل ابتسامه حب وانتصار على شفتيه فعندما تراه لا يمكن ان تتخيل الآلام التى اجتازها .

ففى بابل القديمة ثلاثة من الشباب اليهود القاهم ملك غاشم فى أتون نار محمى سبعة أضعاف لأنهم رفضوا ان ينحنوا للتمثال الذى نصبه لنفسه ، ثم خرجوا ولم تكن حتى رائحة النار على ثيابهم ، وهكذا كان مع كارامان .

الحرامى الذى ثبتت إدانته

انه الأخ [فلان] فلا يجب ان اذكر اسمه حتى بعد مرور هذه السنين الطويلة لكنه هو الذى ذكرنى بنفسه ، كان سابقاً لص

للنقود ، وكنت مسجوناً معه فى المعتقل ، وقد ربحته للمسيح بينما كنت أعظ فى زنزانة مليئة بالمساجين عن محبة المسيح للصوص .

وبدلاً من أن يحتقرهم ، أعطى يسوع مثالاً عن نفسه ، مقارناً نفسه باللص الذى يأتى فى الليل حيث لا يتوقعه الساكنون فى البيت بل أكثر من ذلك فقد استخدم اللصوص ليكنى بهم عن الناس المخلصين ، وقد مدح أيضاً اللصوص فى الموعظة على الجبل لكونهم مخلصين بعضهم لبعض فالمسيح يحب اللصوص لكنه يكره السرقة .

ونحن نضحك الآن عندما نتذكر الوقت الذى كنت أنامه فى الزنزانة وحذائى فى قدمى ، فقط لكى أصحو من النوم ، إذا ما حاول سرقته ، وفى هذا الوقت كنت أتعجب وأتأثر من عطفه علىّ ، حيث كان يفكر فى أنه يمكننى أن أنام بأكثر راحة دون حذائى ، بينما كان فى الحقيقة يلعب القمار ويريد أن يستخدم حذائى للرهان عليه ، وبعد أن اكسب الرهان أبدى دهشته لأنى أخفقت فى أن ألاحظ انه المالك الشرعى لحذائى .

كان هناك أيضاً فاسيل راسكول ، الذى كنت أعرفه منذ الطفولية وهو أيضاً كان فى السجن بتهمة توزيع الكتب المقدسة المهربة داخل البلاد ويعمل الآن معنا فى تأسيس مطبعة حيث يمكننا ان نطبع الكتاب المقدس وكتب أخرى مجاناً .

ابنائى فى رومانيا

بالطبع لا يمكننى أن أصف كل واحد ممن عرفتهم فى الحشد الكبير الذى تجمع لاستقبالنا ، ولكن ينبغى أن أقول ولو كلمات قليلة عن ابنائى .

إن كل اصدقائى فى امريكا والغرب يعرفون أن لى ابناً واحداً ميهاى ، فهو الوحيد الذى كتبت وتكلمت عنه ، لأنه الوحيد الذى هاجر معى من رومانيا لكنه ليس هو ابنى الوحيد ، ففى المطار كان ساندو فى انتظارنا حيث بقى فى رومانيا ولم يمكننى أن أذكر عنه شيئاً ، حتى لا يلحق به أى ضرر .

فمنذ سنوات عديدة قمت بدفن مسيحى كان له طفلان صغيران ، وحيث أن زوجته كانت فقيرة جداً أخذت أنا واحداً من أولادها إلى بيتى ، ولم يغادر ساندو البيت أبداً ، وأصبح أخاً لميهاى ، ولأننا تبنيناه لم يدعه الشيوعيون يهاجر معنا ، واليوم وقد تزوج استطعت أن اقابله مع زوجته سيلفيا واولادهم .

لقد استطعت أن احتضن حفيدتى دوينا ، التى لم أرها من قبل ، فقد تزوجت وأهدت لى حفيدى الأول ، وحضنت أيضاً حفيدى ريتشارد الذى لقبوه بهذا الاسم كإسمى . وقد قبض على حفيدى ريتشارد هذا فى آخر أيام حكم شاوشيسكو ، وكان من المتوقع أن يضرب بالرصاص ، لكنه فكر فى زنزانته وقال « أنا أنتمى إلى عائلة

وورمبراند ، فمصيرهم السجن والاضطهاد ، فعندما أخذوه من زنزانته كان يظن أن تنفيذ حكم الإعدام فيه قد حان وقته لكنه واجه عندئذ أعجب مفاجأة ، فقد قيل « شاوشيسكو أُعْدِمَ بالرصاص وأنت يمكنك ان تذهب إلى بيتك » .

وكانت هناك أيضاً لينوتزا Lenutza ، — وهذه قصتها — يوماً ما وأنا أجلس فى مكتبى دخلت لى فتاة فى الثالثة عشر من عمرها ، كانت خجلة ، فقيرة الملابس ، شاحبة ورقيقة جداً ، وسألتنى « أنت القس وورمبراند ؟ » أجبتها « نعم أنا » ، قالت « إذاً أنت أبى من الآن فصاعداً ، فلقد مات أبى ، واعتادت أمى أن تحضر معها رجلاً أخر فى البيت ، وهو يضربنى وقد سمعت إنك رجل طيب ، لذلك أريد أن أكون أبنتك ، فناديت زوجتى من المطبخ وقلت لها « أهنئك لقد أنجبت إبنة دون أى ألم فى ولادتها ، هذه هى » . وقد بقيت هى أيضاً فى بيتنا وبعد اعتقالى مباشرة بدلاً من أن تندب زوجتى حظها العاثر ، أعدت حفل زفاف لابنتنا لينوتزا ، وهى أيضاً كانت فى انتظارنا فى المكان مع زوجها جورج وابنتها كورنيلا .

وعندنا أيضاً ستة أبناء آخرين ، كلهم تيتموا فى الحرب وقد اتخذناهم كأبناء لنا ، حيث أنه وفقاً للقواعد الشيوعية ، لم يكن ممكناً ان نتبناهم بصورة قانونية ، نعم كان هناك كثير من الفرح والضوضاء فى شقتنا التى كانت تتكون من غرفتى نوم فلم نكن نحتاج أبداً أن نذهب إلى السيرك أو السينما للتسلية ، فقد كان لدينا الكثير منها . لكن ستة من أبنائى هؤلاء قتلوا فى يوم واحد وبالطبع لن أوضح

الظروف التى أحاطت بقتلهم لأن هذا يعنى أننى اتهم البعض ممن لا أريد أن أذكرهم فى هذا المقام . ومنذ ذلك الوقت فإن حزناً كبيراً كان يلازمنى منذ طفولتى كصديق وفى ، وقد علمنى حزنى أن أفرح فى التجارب ، وهو أيضاً ملازم لى فى العالم الحر أيضاً (العالم الغربى) فلقد عانينا زوجتى وأنا فى الغرب أكثر مما عانينا تحت الحكم النازى والشيوعى .

سياسية الابتسامات اللطيفة

عندما نزلنا فى المطار اشتركنا معاً فى الترنيم وكان يصحبنا مولدوفانو عازفاً على الهيرمونيكا ، وأنا متأكد أن الملائكة كانت تشارك فى هذا المحفل البهيج ، وكان ضباط البوليس يقفون بجانبنا وهم لايزالون فى السلطة ويرتدون نفس الزى البوليسى ، لكن الشلل قد أصابهم بعد الانتفاضة التى حدثت فى ديسمبر سنة ١٩٨٩ والتى أطاحت برئيسهم شاوشيسكو .

وبعد أن رنمنا كنا نتحدث بعضنا لبعض بينما كان الأخوان نيوريدر وويزر وهما من أعضاء ارساليتنا فى ألمانيا وأصدقاء عظماء لنا جاءوا خصيصاً يصوران فيلم فيديو لهذه اللحظات التاريخية .

وأضطر عدد من الأخوةالذين كانوا يتزاحمون لأستقبالنا أن يذهبوا إلى اجتماع هام فى بيت يقع فى ميدان الجامعة فى بوخارست ، ومن

الشباك أستطعنا أن نرى آلاف من المتظاهرون ليلاً ونهاراً ، وقد أُعْلِنَ أن ميدان الجامعة منطقة غير شيوعية حيث رفض المتظاهرون به الإذعان للسلطات ، وقد نصبت بهذا الميدان أكثر من عشرين خيمة للضاربين على الطعام الجائعين (الذين ضموا بينهم مضرباً عن الطعام لمدة ٣٦ يوماً) مطالبين بحل الحكومة وكان المتظاهرين ينشدون أغنية تقول خير لك أن تكون فاسداً أو شريراً من أن تكون شيوعياً ، كان هذا ليردوا صدى ما وصفهم به رئيس الوزراء بأنهم فاسدون أشرار . ومن بلكونه فى الميدان كانوا زعماء المظاهرات يخطبون فى المتظاهرين .

أما أن يقوم إحتجاج ومعارضة للشيوعية فهذا أمر يمكن فهمه لكن ليس من المفهوم ، وليس من الحكمة أن يتحول الاحتجاج إلى منبر سياسى ، لأن المجلس الشيوعى فى رومانيا ، يتكون من أربعة ملايين من الأعضاء ، بالاضافة إلى عضوية الشباب الشيوعى وأقاربهم الذين يمكن أن يصل تعدادهم إلى عشرة ملايين ، فالغالبية العظمى ممن لهم حق التصويت فى الانتخابات من جملة العشرين رومانى شيوعيون ، لكن زعماء المظاهرات بدلاً من أن يكسبوا الشيوعيين فى صفهم ، حاربوهم مما دفع الشيوعيون للتفكير فى أنه لابد أنهم سيعانون جميعاً وسيتعذبون بدورهم اذا تقلدت المعارضة السلطة فى رومانيا ، وبدون حكمة ساعد أضداد الشيوعية (المعارضة) الشيوعيين على النجاح فى الانتخابات .

لكن يسوع يعلم ما هو الأفضل فى المحيط السياسى ، فإن كلمات

المحبة للأعداء لابد أنها تعمل أفضل مما تعمله الكراهية ، لقد كان من السهل أن يكسبوا قلوب الشيوعيين فقد كانوا فى حالة انقسام نتيجة لانقسام نظرياتهم فى دول شرق اوروبا ، وكانوا محيطين وفاقدى الأمل ، فبكلمات بسيطة حصل الرئيس المصرى السابق على تنازلات كبيرة من اسرائيل بعد خمسة حروب مريرة ، أدت إلى فقدان حياة عدد كبير من الجنود وأراضى كثيرة من العرب .

فأنا أساند سياسة الكلمات اللطيفة والابتسامات الأخوية فى كل العلاقات الانسانية فالكلمة العبرية التى تعنى (الإخْبَار) هى ليسابر Lesoper المشتقة من كلمة سابر Saper أى جوهرة ، أى أنك عندما تخبر بشىء أو تتكلم ، هذا يعنى أنك تعطى جوهرة ، ولذلك وجب علينا أن نتكلم فقط اذا كان لدينا جواهر يمكن أن نعطيها لغيرنا وإن كان ممكناً أن نغنى بجواهرنا الآخرين ، وإلا أن لم يكن لديك جواهر تعطيها للآخرين فالأفضل أن يظل فمك مغلقاً فإذا إحترمنا هذه القاعدة العبرية البسيطة فلن يكون هناك صراعات عائلية ، ولا طلاق ، ولا انقسامات سياسية ، ولا صراعات مميتة فى الكنائس وبين الأفراد .

الاحاطه بالشيوعية بواسطة الانجيل

لقد صنع الشيوعيون شراً عظيماً فى رومانيا ، وكثيراً من الدول الشيوعية الأخرى ، لكن معظمهم لم يكونوا مدركين لذلك ، فهم

لا يعلمون شيئاً عن الجذور الشيطانية للشيوعية والتى شرحتها فى كتابى (كارل ماركس هل كان شيطاناً) فكثيرون من الشيوعيين انضموا للحزب الشيوعى للحصول على وظيفة أفضل أو طمعاً فى تعليم أعلى وكان لابد لهم أن يجدوا العطف والشفقة ، لكن بدلاً من ذلك وجدوا الصعوبات من الاتجاه الشيطانى للشيوعية .

وبالرغم من أن الشيوعية قد خسرت بعض من المعارك الفاصلة فلايزال ثلث سكان الأرض تقريباً شيوعيين تحت حكم الحزب الواحد .

فلمدة سنين طويلة كان السياسيون يعتقدون أن الشيوعية يمكن أن تحارب عن طريق الردع النووى فقط ، لذلك أنفقوا البلايين والبلايين من الدولارات فى انتاجها ، والآن هم ينفقون أيضاً البلايين الأكثر للتخلص منها وإبطال مفعولها .

والاخرون ظنوا أنه علينا أن نقبل الشيوعية كحقيقة ثابتة مسلم بها ونتعامل معها على هذا الأساس ، واستخدموا فى التعبير عن ذلك شعار الوفاق الدولى .

لقد كان الديكتاتور الرومانى شاوشيسكو حاكماً بأمره وبمفرده فمن جانب لعب دور الشيوعى المخلص بطريقة خاصة مع موسكو ، لكنه فى نفس الوقت كان صديقاً للغرب وقد مُنِحَ وشاحاً ملكياً من بريطانيا ، لكنه كان شيوعياً فى حقيقته كبقية الديكتاتوريين لكنه من نوع مختلف ، فهناك سلالات مختلفة من الطغاة ، كما أن هناك سلالات

مختلفة من الذئاب لكنها تحمل جميعها نفس الصفات الأولية للسلالة ، فلا القوات الحربية المعادية ، ولا ملاطفة الشيوعيين يمكن أن تغير من طبيعتهم ، ففى كل كتاباتى وكلماتى كنت أقترح شيئاً آخر فكما أن الشيوعية قد تغلغلت وانتشرت فى العالم الحر ، فدعونا نطيح نحن بالشيوعية بواسطة الانجيل ، دعونا نربحهم بالمحبة ، فقد علمنا المسيح أن نبغض الخطية لكن ينبغى أن نحب الخطاة ، دعونا نقدم لهم كلمة الله حتى عن طريق قنوات سرية إن لزم الأمر ، دعونا نقيم جيشاً من الجنود المصلين .

كيف بدأت الثورة

بدأت الثورة بواسطة أحد الأساقفة الرومانيين العديدين الذين أصبحوا من ضحايا الشيوعية ، هذا كان قد شجع أحد رعاة الكنيسة المصلحة فى رومانيا وهو القس كوكيس من تيموشوارا ليعظ بأمانة وبلا خوف ، الأمر الذى أدى إلى طرده من بيته وكنيسته ، وعند تنفيذ هذا الطرد أحاط ببيت هذا القس جمهور كبير من المسيحيين المؤمنين من مختلف الجنسيات والطوائف المسيحية فى رومانيا ، وتزايد عدد المتظاهرين ، وبدأوا يتقدمون سيراً على الأقدام إلى وسط المدينة ، فاستدعى البوليس والجيش لإيقافهم ، وأخذ العسكر يطلقون عليهم الرصاص فقتلوا كثيرين وجرحوا عدداً كبيراً جداً ، وتجمع الأطفال الصغار على سلم الكاتدرائية وهم يرنمون فضربهم العسكر أيضاً

بالرصاص فمات عدد من هؤلاء الأطفال وبحث الآخرون عن مخبأ فى الكاتدرائية لكن كهنتها أغلقوا أبواب الكنيسة بلا رحمة فى وجوههم .

وبعدها حدث أمر عجيب فقد ركع كل الجمع على ركبهم وبدلاً من أن يقاوموا الجيش بدأوا يصلون ، وكان هذا كثيراً جداً على أن يحتمله الحراس ، فرفضوا الانصياع للأوامر التى صدرت لهم بإطلاق الرصاص على المصلين ، وفى تلك اللحظات تجمعت كل المدينة ، فانتهز القس ديوجلاسكو الفرصة وألقى خطاباً من شرفه فى دار الأوبرا على الجموع ، وألقى كونستانتين أيونيد قصيدة بعنوان « الله موجود » فأخذ الجمع يصرخون الله موجود ... الله موجود ووزعوا وريقات من ترنيمة مطبوعة على الجمع المحتشد ، واشترك بالترنيم كل الذين يعرفون لحنها واشتركت معهم بقية الآلاف فى الترنيم مرة بعد الأخرى ، وأصبحت هذه الترنيمة تعرف بترنيمة الثورة .

يوماً ما عندما بلغ ابنى ميهاى عامه الخامس كان يسير معنا فى حديقة ما ، وتوقف أمام رجل كان يجلس على كرسى وهو يقرأ ، فسأله ابنى ببساطة الأطفال « ماذا تقرأ ؟ » أجاب الرجل « قصه » فقال له ميهاى « الأفضل أن تقرأ الكتاب المقدس ، لأنك إن لم تمش وفقاً لتعاليمه سوف تذهب إلى الجحيم » . فسأل الرجل الغريب « ماذا تعنى بهذا الكلام ؟ » . قال له الطفل الصغير « هل ترى هذا الرجل الطويل وزوجته القصيرة اللذان يقفان خلفى ، هما أبى وأمى ، إسألهما

وسوف يخبرانك بكل شيء ، فهذا موضوع خطير » .

ومدفوعاً بحب المعرفة ، سألنى هذا الرجل عن معنى كلام ميهاى ، وكان عضواً فى جماعة متطرفة ، لكنه قبل المسيح مخلصاً شخصياً لحياته فى تلك الأثناء من خلال شهادة طفل صغير ، وأصبح هذا الرجل مسيحياً وواحد من أفضل شعراء رومانيا المسيحيين وكانت واحدة من قصائده هى ترنيمة الثورة .

وعندما عُرِفَ فى أماكن أخرى أن أناس أبرياء قد قتلوا فى تيموشوارا وأن عددهم يقدر بالآلاف بدأ المتظاهرون يتجمعون تلقائياً فى تجمعات وأماكن متفرقة .

وضع ثلاثة عشر طفلاً صغيراً أكبرهم فى الرابعة عشر من عمره حاجزاً جسدياً بأجسامهم الضعيفة فى وجه فرق البوليس السرى الذين لم يستطيعوا أن يتقدموا إلا بعد أن أطلقوا النار عليهم فقتلوا بعضهم وقبل قتلهم ركع الأطفال على ركبهم متوسلين ، « من فضلكم لا تقتلونا » لكن البوليس لم يعرهم أى اهتمام ، وبينما سقط الطفل الأول حريقاً لم يجر الباقون بل ظلوا راكعين على ركبهم وأيديهم مفتوحة بالمحبة وبثقة الأطفال نحو القتلة متضرعين « من فضلكم لا تقتلونا » .

ولقد أقيم صليب كبير الآن فى نفس المكان الذى قتل فيه هؤلاء الأطفال ، وهناك الآن أسطورة فى رومانيا تقول ان الملائكة هى التى بدأت الثورة ، جاءوا من السماء ودخلوا فى الأطفال ، وأعطوهم

شجاعة مقدسة كأولئك الملائكة الذين حاربوا جنود الشيطان فى السماء ، ولقد منح مقتل هؤلاء الأطفال الصغار النصر لذلك الجيش غير المسلح على الجيوش المسلحة ، واستدعيت الدبابات والمدافع لتواجه الشعب لكن بلا فائده ، فالجنود أيضاً كانوا قد وصلوا إلى الذروة من الديكتاتور شاوشيسكو .

وفى مدينة سيبيو رُفِعَ كاهنان أرثوذكسيان على أحدى الدبابات وطلبوا من كل الموجودين من المتظاهرين أن يركعوا ويصلوا ، فركع المتظاهرون الذين قدروا بالآلاف مع الجنود أيضاً والضباط فى صلاة لله .

وردد « أبانا الذى فى السموات .... » كل الذين مازالوا يتذكرونها ، وتعانق الجنود والمتظاهرون فلم يعد هناك امكانية لقمع الانتفاضة .

الشيوعيون يكرهون بعضهم البعض

وفى نفس الوقت كان هناك سيناريو آخر يجرى فى العاصمة ، فالشيوعيون ديانتهم الكراهية ، فهم لا يكرهون فقط الرأسماليين أو المسيحيين أو اليهود لكنهم يكرهون بعضهم البعض ، فلقد قتل كل أعضاء اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفيتى تقريباً بواسطة رفيقهم ستالين وفى الصين مات رئيس الجمهور الشيوعى ليوشاوشاى ، تحت التعذيب بأمرٍ من رفيقة ماوتس تونج ، وفى

رومانيا قتل الشيوعى ليوكريتو باتراشكانو الذى حصل لحزبه على السلطة بواسطة بوليسه السرى .

وهذا ما حدث أن شركاء شاوشيسكو فى الأعمال الشريرة اليسكو ورومان وآخرين دبروا لإقالته فكانت الثورة فى مدن المقاطعات المختلفة هى الشرارة التى يحتاجون إليها فرتبوا القبض على شاوشيسكو الذى كان عائداً لتوه من إيران وكان من المقرر أن يلقى خطاباً من شرفة فى وسط بوخارست .

وبينما كان شاوشيسكو يلقى خطابه بدلاً من أن يلقى الترحيب المعتاد (الذى كان يجبر على تقديمه المستمعون له) بدأ رجال أليسكو من البوليس السرى فى الإزدراء به فلم يكن يجرؤ غيرهم على ذلك ، لكن هذا الأمر كان كفيلاً بأن يثير الجموع الذين طالما رغبوا فى الثورة ولا شيء يمكن أن يوقفهم الآن وتزايد الصياح ضد شاوشيسكو وعلا وعلا وعندما شعر بالخطر حاول الهروب لكن شيئاً ما كان قد أصاب تلك العربة بالعطب فلم تستطع السير فجرى ناحية عربة أخرى وعندها أخرج ضابط البوليس المكلف بحراسة شاوشيسكو وزوجته المسدس وصوبه نحو سائق العربة الأخرى وأمره إلى أين يذهب وقد كان هذا السائق مسيحياً ، الذى تظاهر بأن بطارية عربته بدأت تفرغ من شحنتها وتوقف فى مكان ما حيث كان مجموعة من رجال شاوشيسكو المجهزين لاعتقاله ، وبعد أن عرضوه على التليفزيون ثم قتله هو وزوجته واعتقل العديد من المقربين منه ، وأصبح لرومانيا

الآن حكومة جديدة لكنها حتى الآن (وقت كتابة هذا الكتاب ، تتكون من قادة شيوعيين سابقين ، تربوا على الماركسية منذ الصغر ، وهم يدعون أنهم قد تخلوا عن الشيوعية لكن الشيوعية لن تترك أحدهم إلى حال سبيله .

لقد أخبرنا الكتاب عن خروج شعب اسرائيل من أرض العبودية ، وتبعوا موسى لوقت قصير لكنهم عند أول فرصة أعطيت لهم صنعوا عجلاً من ذهب وسجدوا أمامه وعبدوه بالضبط كما رأوا المصريين يعملون ، لقد خرجوا من مصر ، لكن مصر لم تخرج من قلوبهم وظلت العوائد والممارسات الوثنية التى تعلموها وهم عبيد فى البلد الوثنية فى عقول اليهود لقرون .

كنيسة قد أسستها

فى يوم الأحد ، كانت أول خدمة لى بالكنيسة المعمدانية فى شارع فالورى فى بوخارست وبشكل ما فقد كنت أنا مؤسسها ، فلم يكن الشيوعيون هم أول من اضطهد الانجيليين فى رومانيا ، ففى سنة ١٩٤٠ تولى السلطة الجناح اليمينى للحرس الحديدى ، الذى كان أرثوذكسياً ، وأول ما فعلوا أنهم منعوا المعمدانيين والأدفنتست ، والخمسينين وكنائس الإخوة من العبادة ، وقفلت كل أماكن العبادة التابعة لهم ، وبعدها انفصل المارشال انتونسكو عنهم وأسس ديكتاتوريته ، ثم بدأ يقيد الحرية الدينية مرة أخرى . فلم تكن هناك

كنيسة رومانية انجيلية واحدة تفتح أبوابها ، وحُكِمَ على المئات من المسيحيين الانجيلين بالسجن لأكثر من عشرين عاماً .

ولقد منحت كل الكنائس اللوثرية حريتها إلا كنيستى ، لأننى كنت يهودياً وهكذا معظم رعايا كنيستى (وكانت الحكومة ضدنا على الخط المستقيم) ولم يكن الأسقف اللوثرى استادل على استعداد أن يدافع عنا ، لأنه قد حصل على شهرة كبيرة عندما أعلن فى إحدى عظاته ان هناك ثلاثة عظماء فقط فى هذا العالم ، المسيح وبتهوفن وهتلر لكننى تجرأت وأكدت بحزم أن المسيح أعظم حتى من هتلر ، وهكذا كنا نجتمع فى كنائس سرية تحت الأرض كما كان أيضاً الحال مع الكنائس المعمدانية والانجيلية .

وقرب نهاية الحرب نجحت إحدى صديقاتنا وكانت سفيرة للسويد وهى فان روتيرسوارد ، فى الحصول على تصريح لنا بالعبادة ، وفى غضون يوم واحد نقلنا كل الأثاث من المبنى القديم الذى كنا نعبد به إلى الكنيسة ، وبمجرد أن سُمِعَ ذلك جاء المئات من الإخوة المحظور عليهم العبادة فى كنائسهم لسماع الخدمة فى كنيستنا التى اضطررنا أن نعقد خمسة اجتماعات بها فى اليوم الواحد فكنا الكنيسة الوحيدة الإنجيلية والمتحدثة باللغة الرومانية التى تقدم عظاتها علناً .

وعندما انتهت الحرب وخسر النازيون رجعت الحرية الدينية لكنيستى الأولى ورجعنا إلى مبناها القديم ، أما المعمدانيون الذين كانوا يجتمعون معنا فى المبنى القديم فقد أسسوا كنيسة معمدانية هى التى

أصبحت فيما بعد كنيسة فالورى ، وهكذا كان القس المعمدانى تالوش ، هو القس الذى رعى المجموعة المعمدانية بعدى .

واليوم فإن كثيرين من الذين تجمعوا ليسمعوا عظتى يعرفوننى شخصياً من قبل ، والآخرون عرفوا كتبى وقصة حياتى ، ولم أكن بالنسبة لهم مجرد إنسان عادى بل أسطورة مجسمة كبرت أكثر وأكثر خلال السنين حتى فقدت اتصالها بالواقع ، ووجدت مشكلة كبرى فى اقناعهم اننى لم أكن البطل الأسطورى الذى تخيلوه لكننى فقط إنساناً عادياً .

أرض وورمبراند

هناك دعابة تقال فى رومانيا ، إن عربة الديكتاتور شاوشيسكو أضطرت أن تقف فى طريق ريفى لكى ما تصلَّح من عطب بسيط ، فرأى الديكتاتور على مقربة منه فلاحة ريفية بسيطة وبصعوبة توجه إليها فى ثيابها القذرة وسألها عن حياتها فأخبرته عن المشقة التى تكابدها فى الحياة ثم سألته « لكن من أنت ؟ » .

فتعجب لأنها لم تعرفه وأجابها « اقرأى الصحف وشاهدى التليفزيون وهى تخبرك من أنا القائد العبقرى ، صورة الله على الأرض ، أنا الشخص الذى يمد البلد بالحق والنور والحب » . فامتلأت المرأة من الفرح وصاحت منادية على زوجها الذى كان يعمل فى الحقل على مسافة منها قائلة « تعالى بسرعة يا جون فقد جاء الأخ

وورمبراند » لقد كتب أحد المؤمنين الأمريكان كتاباً عن رومانيا وأطلق عليها أرض وورمبراند ، وقد حاولت إلغاء هذه الأسطورة ، وأن أعظ كرجل بسيط ، وعظت فى كنيسة تلو الأخرى وكان قلبى يفيض بالفرح والمحبة .

كم أساوى أنا

فى ليلة ما كنت فى كنيسة بوباروسو حيث رسمت شماساً بطريقة سرية فى العهد النازى ، فلم يكن مصرحاً لى أن أُعْطَى وظيفة فى كنيسة ما وقد كانت كنيسة بوباروسو كنيسة المتحدثين بالألمانية والفاشيست الرومانيون لذا لم يجرؤا على قفلها .

فتمت الرسامة فى سرية بالغة وقد ضمت فقط الاثنين اللذين وضعا أيديهما علىّ مع اثنين من الشهود كانا حاضرين ، وقد أغلق الباب ، ولم يكترث الأخوة الألمان فليتشر وستروبل بالثورة ضدنا التى كانت حادثة خارج الأبواب وكانت المرة الأولى التى عمدت فيها مسيحياً فى نفس الكنيسة ، وكان الراغب فى المعمودية يهودياً لا يعرف كلمة رومانية واحدة ، فكان يقرأ كتابه المقدس أثناء الخدمة باللغة الروسية ، ثم كان علىّ أن أتكلم ، وقبل أن أعمده قلت له « أنا لست فقط مجرد شخص يعمل خدمة المعمودية لك ، أنا أحمل مسئولية ، فلابد أن أعرف ماذا تعلمت من الوحى الإلهى ، إقرأ أى آية من الكتاب تحبها وإشرحها لى » .

ففتح كتابه على (٢كو ١٢ : ١١) حيث كتب بولس « أنا لست شيئاً » وأغلق الكتاب وسألنى ، إذا كان بولس لا شىء فكم تساوى أنت ؟ فشكرته .... لأنه لابد أنه يعرف المكتوب أكثر منى .

بطلة فى الايمان

بعد أن زرت مدينة بوخارست سافرت من مدينة إلى مدينة ، وكنا نرى معجزة الاشتراكيين فى كل مكان ، فقد كانت هناك العربات والشاحنات الثقيلة والآن فى ظل الاشتراكية يركبون الخيول ، وفرغت المحلات من البضائع ، والناس تقف بالساعات فى الطوابير للحصول على الطماطم ، واللبن والكرنب ، هناك كثير من الأشياء لا يمكن الحصول عليها إلا بالبطاقة التموينية ، فلا يعط للفرد أكثرمن كيلوجرام واحد من اللحم كل شهرين والإنارة فى الشوارع والمنازل سيئة للغاية .

ولقد قابلت فى كل مدينة أبطال الإيمان العظماء والعاديين ، كما قابلت الجبناء والخونة المعروفين للجميع ، وكانت هناك بطلة من بطلات الإيمان والتى سافرت معنا إلى بعض الأماكن وهى الدكتورة مارجريتا بسكارو Margreta Pescaru .

ففى سنة ١٩٥٠ قاربت على الموت فى سجن مستشفى تيرجول أوكانا Tirgul Ocna وبالرغم من أن الشيوعيين قد ورثوا عن

الرأسماليين فكرةأن كل سجن لابد أن يضم حجرة خاصة بالمرضى وطبيب معالج إلا أنهم كرهوا هذه الفكرة وعادةً كانوا يأمرون الأطباء فى السجون أن يعطوا للمساجين الأدوية البيطرية التى لا تعطى إلا للبهائم ، وكانوا يقولون لهم أعطوهم الأدوية التى تعطى للعجول والخيول حتى يمكن أن يعملوا بأكثر قوة كالعبيد ، واذا وصلوا إلى الحد الذى لن تعد الأدوية تساعدهم أكثر دعوهم يموتون .

وعرفنا نحن المساجين نوعين من الأطباء فى مثل هذه السجون ، فبعضهم كان من الطبيبات الشابات كن يتواجدن أثناء عملية تعذيبنا وهن يضحكن مع معذبينا ويطلقن النكات البذيئة ومن وقت إلى وقت يقسن النبض ويقلن للمعذبين « دعوهم يستريحون لفترة بسيطة » . وفى هذا الوقت كن يستمتعن مع ضباط البوليس ثم يقلن لهم « والآن يمكنكم أن تبدأوا التعذيب مرة ثانية ، لكن أحذروا فإن هذا السجين أو ذاك قد يموت سريعاً قبل أن تحصلوا منه على معلومات أكثر ، فلا تضربوهم فى منطقة القلب » .

والنوع الآخر هم أولئك الأطباء الذين يأخذون مهمتهم الأساسية بجدية ويعرفون أن واجبهم أساساً هو إنقاذ حياة المساجين ، وكانت من أبرزهم الطبيبة مارجريتا بسكارو ، التى كانت تهرب الدواء داخل السجن وكانت مسيحية ، وكأى شخص آخر كان الأطباء يجرى تفتيشهم عند دخولهم إلى السجن لكنها نجحت مرة ومرات فى تهريب الدواء داخل السجن ، الأمر الذى أنقذ حياة كثيرين من الموت وكنت

أنا من بينهم .

وإذا ما قبض الحراس على أى طبيب وهو يهرب الدواء ، كان يضرب بعنف ويحكمون عليه بالسجن لسنوات طويلة فكان الخطر عظيماً . لكن الدكتورة بسكارو كانت حلقة الوصل بينى وبين عائلتى وأصدقائى ، وهى أيضاً أعطتنى وأعطت آخرين من خلالى دواء الاستربتوميسين ، ذلك الدواء السحرى لعلاج السل الذى كان منتشراً فى السجن .

منع التعذيب الوحشى

وقد عملت أكثر من ذلك ، ففى سجون بيتشتى (Piteshti) ، سوتشيافا (Suceava) وكانال (Canal) بدأ الشيوعيون فى ممارسة ما أسموه بإعادة تعليم المساجين ، وقد انخدع البعض بالوعود التى أعطيت لهم باطلاق سراحهم ، إن هم ضربوا وعذبوا السجناء رفقائهم حتى يدلوا باعترافاتهم التى لم يقولوها للمعذبين أثناء التحقيق معهم ، وكان على السجناء أيضاً أن يرتدوا ويتخلوا عن معتقداتهم ، دينية كانت أم سياسية ، والتى قبض عليهم بسببها ، وأن يعدوا بأنهم قد اعتنقوا المذهب الشيوعى عن إقتناع وقد استخدم الشيوعيون كل الطرق للوصول لهذه النتيجة من ضربٍ رهيب على باطن القدم وعلى الأعضاء التناسلية ، وتكسير للأسنان عن طريق ضربها بالظلط (الحصى) واجبار السجناء على أكل برازهم وشرب بولهم والنوم

عراة ومنعهم من الذهاب لقضاء حاجتهم ووسائل أخرى مخزية ومحزنة ، تجعل الرجال يضعفون من الخوف ليس إلا .

ولقد نجح الشيوعيون مع معظم المساجين ، فعندما كان المساجين يرغمون على الجرى صاعدين وهابطين السلالم تحت الضرب بالعصى والسياط ، كان كل واحد يجرى لحياته التى وإن كانت بائسة ، لكنها كانت كل ما يملك فى ذلك الوقت . وظل البعض غير مستسلمين فلم تنجح هذه المحاولات والتعذيبات معهم ، والبعض الآخر مات تحت التعذيب ، لكن المعذبين لم يكونوا يكتفون بمجرد الموت بل كانوا أيضاً يتبولون على جثث الموتى .

كان يسمح لكل سجين بأن يأخذ كوب واحد من الماء من الصنبور يومياً لكن عليه أن يعرضه أولاً على المختص باعادة التعاليم الذى كان يبصق فيه أولاً ، وبعدها يستطيع المسجون أن يشربه .

لقد استخدم يسوع البصق فى الشفاء ، وأنا عرفت أحد المساجين الذى سأل نفسه مرة من المرات « إن كان بصاق يسوع استطاع ان يشفى رجل أعمى فهل يمكن لبصاق هؤلاء الأشرار أن يشفى إن قبلناه نحن بلا تذمر وبمحبة فى مواجهة أعمالهم الشريرة » .

أحضرت السلطات بعض هؤلاء المختصين بإعادة التعليم إلى مستشفى السجن الذى كنت فيه وجاءوا إلى قسم المرضى بالسل ليبدأوا عملهم المدمر ، فإعادة التعليم تعتبر جحيم بالنسبة للأصحاء من السجناء فكم من الدمار ممكن أن يحدث للمرضى الضعفاء الذين

كان معظمهم مشرفين على الموت ، وفى همساتٍ بسيطة أبلغنا الدكتورة مارجريتا بسكارو بهذا الخطر المحدق بنا ، ففعلت ما لا يمكن أن يصدق ، قررت أن تذهب إلى أسوأ الوحوش (المعذبين) لتدافع عن قضية الحملان وبعد أن سافرت الليل كله لتصل للعاصمة ، ذهبت إلى رئيس الضباط المسئول عن كل السجناء ، ذهبت ببساطة إلى رئيس السفاحين .

لكن الله أعطاها نعمة فى أعينهم ، كما أعطى لأستير فى القديم نعمة فى عينى احشويرش ، ولا نعرف ما الذى اقنعهم بذلك ، هل جمال الدكتورة مارجريتا ، أم قوة الله التى كانت تشع من خلالها ، لكنها دافعت عنا وكسبت القضية ، ولأول مرة فى تاريخ رومانيا الشيوعية يوقف تعذيب الأبرياء فى مستشفى سجن تيرجل الكبيرة .

مسيحياً أصبح ضابط بوليس شيوعى

بطل آخر من أبطال الايمان فى رومانيا هو الأخ × (لأنه ليس بالإمكان ذكر اسمه حتى الآن ، لأن البوليس السرى الرومانى مازال فى السلطة) فى تلك السنوات المظلمة ، لبس البعض بدلة السجن لأجل المسيح ، ولكن (×) قدم تضحية أعظم من ذلك ، فلكى يدمر الشيوعيون الكنيسة من الداخل انضم عدد منهم إلى الكنائس ، ووضعوا أناس فى الكنيسة وجعلوهم كهنة وقساوسه لكى يكونوا موضع ثقة من الناس ، ولذلك فكر الأخ (×) لماذا لا يحدث

العكس ؟ ألم يقل داود فى القديم « ليس هناك أفضل من سيف جليات » (١صمو ٢١ : ٩) .

ففى أوقات الحرب لا يمكن أن تقاوم جواسيس العدو عن طريق الوعظ وحده لكن لابد أن يكون هناك عملية تجسس مضادة ، لذلك أصبح الأخ (×) ضابط فى البوليس السرى لكى يساعد الكنيسة المختفية وخاصة ليساعدنى أنا ، وبينما كان الأخوة والأخوات الذين يرتدون بدلة السجن لينالوا كل التقدير من المؤمنين ، كان الأخ (×) يعتبر خائن انضم لصفوف الأعداء وكان المؤمنون يفكرون « من يدرى ما الذى يفعله هذا الضابط بالفعل ربما هو أحد المعذبين للمساجين المؤمنين » .

نعم تحمل العار ، لكنه أدى وظيفته على أتم وجه ولم يكن هو الشخص الوحيد الذى يعمل ذلك فعن طريق اشخاص مثل الأخ (×) كنا نعرف مسبقاً عن خطط الاعتقال التى يضعها الأعداء ، وقد اخبرنى حتى بعد أن رحلت إلى الغرب أن حياتى مازالت فى خطر بسبب البوليس السرى الرومانى .

ولقد قابلت هذا الأخ البطل (×) ولازال المؤمنون الرومانيون لا يعرفون قصته فياله من امتياز لى أن أُقبِّل شخص مثل هذا وأضمه إلى صدرى .

وهكذا فإن بعض الأخوة المؤمنين نصحهم رعاتهم المخلصين أن يقبلوا أن يكونوا مخبرين لدى البوليس السرى فى رومانيا عندما يعرض

عليهم ذلك [تقريباً كل المؤمنين المسيحيين يحاول البوليس أن يستخدمهم كمخبرين على إخوتهم] فقد يقابل ضباط البوليس السرى هؤلاء المخبرين فى أماكن تدبير مؤامراتهم ضد المسيحيين وهكذا نعرف من هؤلاء المخبرين بعض العناوين المهمة لأماكن التعذيب ، ثم يتجسس بعض الأخوة المؤمنين على أماكن التعذيب هذه ويعرفوا نوايا هؤلاء المعذبين ويحذروا المؤمنين منها ، أما هؤلاء المخبرين الذين يحملون عار وظيفتهم أمام مؤمنى الكنائس يخبرون الضباط والمعذبين ، وبكل دقة المعلومات التى تضللهم وتبعدهم عن المؤمنين الحقيقيين وليس من الحكمه أن أذكر أكثر من ذلك حتى فى هذه الأيام .

العاملون مع الشيوعيين

تقابلت فى هذه الزيارة إلى رومانيا ، مع قادة الطوائف المسيحية المختلفة ، كان البعض منهم يتعاونون ويتعاملون مع الشيوعيين وهم الآن يشعرون بعقدة ذنب رهيبه ولا يجرأون حتى على رفع أعينهم فى أحد ، ويرتعدون خوفاً من أن يفتح أرشيف البوليس السرى ، ويعرف عامة الناس تفاصيل ما قد فعلوا فى حقل الخدمة مع الشيوعيين .

فبعضهم رجال مسنون وقد وضعوا فى اعتبارهم أن الشيوعيين لهم خمسة وأربعين سنة فى السلطة فى رومانيا ، وربما سألوا أنفسهم ما الذى يمكن أن يعملوه فى مثل سنهم إذا ما طردهم الشيوعيون من

وظائفهم أو بيوتهم ، لذلك حاولت أن أخفف الوضع على ضمائرهم المعذبة ، فقلت لهم ، أول كل شيء إن تعاونهم مع الشيوعيين يمكن أن يجدوا له سبباً منطقياً ويمكن تبريره ، لكن لم أقل أبداً أننا ينبغى أن نخضع ذواتنا للديكتاتوريين ، لأن بولس الرسول قال فى رسالة روميه ١٣ : ١ « لتخضع كل نفس للسلاطين الفائقة ، لأنه ليس سلطان إلا من الله » ، وبالطبع فإن الحكومات التى تكره الله لا يمكن أن تكون من الله ، لأنه إن كانت كذلك لشابه الله شاول الملك الذى سأل عدو له (وكان من العماليق) ليقتله ، وكأن الله يسمح بنوع ما من الإنتحار .

وأنا أومن بما قاله القديس أوغسطينوس « إنه بدون العدل ، يصبح الحكام والسلاطين مجموعة من اللصوص » ويكون دورنا هو أن نقص هذه العصابة من جذورها ونحاول أن نخلص النفوس الغالية لهذه العصابة ، لكن بصفاتهم الشخصية كأفراد مات المسيح لأجلهم وليس كجماعة أو حكومة نحاول إقصائهم .

إن كان كذلك فلماذا لم يقل بولس ما قاله القديس أوغسطينوس ؟ أنا أعتقد أنه أفضل أن تقول كلمات رقيقة ولطيفة لبعض العنفاء من الحكام الذين نضطر للمعيشة تحت حكمهم ، مادمنا لا نستطيع تغييرهم مثلما فعل دانيال النبى عندما خاطب نبوخذنصر ــ هتلر عصره ــ بكلمات لطيفة ، فلاشك أن التخاطب بدبلوماسية شيء يخص الترسانة المسيحية .

فتعليقاً على الحلم الذى كان ينبىء بعقاب رهيب له قال دانيال لنبوخذنصر الذى كان قد ألقى أصدقائه الثلاثة فى الأتون ليس قبل ذلك بكثير « يا سيدى ، الحلم لمبغضيك وتعبيره لأعاديك » (دانيال ٤ : ١٩) وربما كان فكر دانيال فى ذلك الوقت « أن كل عقاب الله لك أيها الملك هو عدل وأتمنى أن لا يرجع الله عن تنفيذ هذا العقاب فيك » .

ما لابد أن نعطيه لقيصر

نادى يسوع بتعليم واضح جداً قائلاً « أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله » وكان على اليهود أن يعيدوا ما للامبراطور الرومانى عليهم ، لكن ما الذى كان يبرر وجود هذا القيصر فى فلسطين ، ببساطة لا شيء يبرر وجوده هناك ، فلقد غزى الجيش الرومانى فلسطين بالقوة وحكمها بطريقة الطغاة ، لذا كتب المؤرخ يوسيفوس « عندما كان اليهود يحاولون أن يطالبوا بأقل حق من حقوقهم الانسانية كان الرومانيون يصلبونهم حتى لم يعد هناك خشب يمكن أن يصلبونهم فوقه ولم يبق مكان لوضع صلبانهم » ، ولم يبن القياصره الرومان بيتاً واحداً أو غرسوا شجرة واحدة فى فلسطين ، لذا فإن « اعطوا ما لقيصر لقيصر » تعنى ببساطة لا تعطوا قيصر شيئاً حيث إن لا شيء له فى هذه الأرض .

من هم السلطات الحاكمة فى كل مكان اليوم ، أليسوا هم ثوار

الأمس ومن أتوا بعدهم فى الحكم ، لقد حارب كرومويل وآخرون ضد الطغيان فى بريطانيا ، لذلك جاء الحكم الديمقراطى لها حسب إرادة الله ، لقد أطيح بالبيت الملكى واحد بعد الآخر عن طريق العنف لكن بقيت الملكة الفعلية لبريطانيا مما يدل على أنها السلطة التى حسب مشيئة الله . لقد كسرت أمريكا قسم الولاء لملك بريطانيا وقامت بثورة ناجحة ، ولذلك فإن السلطات الأمريكية اليوم هى من الله .

والنتيجة التى نخلص إليها هى أنك اذا اشتركت فى الإطاحة بالشيوعيين والديكتاتوريين وفشلت فقد أصبحت من الثوار ، أما اذا نجحت فقد أصبحت حاكماً معيناً من قبل الله لتعطى النصر لغيرك .

ومما هو واضح أن المسيحيين فى عصر هتلر ، موسيلينى ، ستالين ، شاوشيسكو وغيرهم من الطغاة القدامى قد خدعوا بترجمة خاطئة للعدد الوارد فى روميه ١٣ ، حتى أصبحوا يشاركون فى الأعمال الشريرة وفشلوا فى أن يعرفوا أن هذه الكلمات المهذبة فى ذلك العدد « لتخضع كل نفس للسلاطين الفائقة » قد وردت فى نهاية كتاب كان يعلم فى كل صفحاته أن الفرد لابد أن يقف بثبات وأن يحطم الطغيان والظلم ، فهذا ما فعله موسى ، جدعون ، باراق ، شمشون ، داود وآخرين وكل منهم قد أعتبر بطلاً فى الكتاب المقدس .
لكننى لا أعتبر أن المتعاونين مع الشيوعيين مذنبين ، فالشخص الذى ولد فى محيط همجى أو حيوانى لابد أن يصبح شخصاً همجياً لا يمكن أن يلومه أحد . مثله فى ذلك مثل شخص نشأ فى كنيسة تحلل النصب

والاحتيال ، لابد أن يعتبر هذه الخطايا عملاً عادياً .

لذا قال أحدهم قبل أن يموت وهو من أكبر قادة الكنيسة المعمدانية الرسمية (الكنيسة التى أقامتها الحكومة فى رومانيا) « يجب علينا أن نخضع للسلطات وليس معنى هذا أننا نخضع للحكومة فحسب بل أيضاً لجهاز مخابرات البوليس السرى (الذى يديره مجموعة من السفاحين) لأن هذا الجهاز أيضاً هو سلطة من السلطات لذلك فهو أيضاً مقام حسب مشيئة الله » .

وهذا معناه أنهم إذا طلبوا منى أن أتجسس على إخوتى فى الإيمان ، وأكتب لهم تقارير عنهم وأشى بهم مع علمى بأن القبض ثم القتل سيلحقهم بعد ذلك ، وجب علىّ أن أفعل ذلك . إذاً كيف يمكن أن يطالب أحد ما من مسيحيين قد تعلموا مثل هذا الإيمان والكلام أن يعملوا عكسه ، لاشك أنه يكون قد طلب المستحيل كمن يستغرب لماذا لا يتكلم طفل تربى على اللغة الإنجليزية باللغة العربية .

لذا فلقد رتبت أن أقابل بعض المتعاونين السابقين مع الشيوعيين والذين الحقوا الضرر الشديد بالأفراد والكنائس ، فقد كانوا يعتبرونه واجب عليهم أن يبلغوا السلطات بكل شىء يحدث فى الكنيسة ، كل كلمة تقال ، كل قرار يؤخذ ، وكان نتيجة لذلك أنهم آمنوا بالفكرة القائلة « لتغرق المركب حيثما يريدها اصحابها » .

لذا قد حاولت أن أريهم بعض المفاهيم ، قلت لهم إن تلمود اليهود

الأمس ومن أتوا بعدهم فى الحكم ، لقد حارب كرومويل وآخرون ضد الطغيان فى بريطانيا ، لذلك جاء الحكم الديمقراطى لها حسب إرادة الله ، لقد أطيح بالبيت الملكى واحد بعد الآخر عن طريق العنف لكن بقيت الملكة الفعلية لبريطانيا مما يدل على أنها السلطة التى حسب مشيئة الله . لقد كسرت أمريكا قسم الولاء لملك بريطانيا وقامت بثورة ناجحة ، ولذلك فإن السلطات الأمريكية اليوم هى من الله .

والنتيجة التى نخلص إليها هى أنك اذا اشتركت فى الإطاحة بالشيوعيين والديكتاتوريين وفشلت فقد أصبحت من الثوار ، أما اذا نجحت فقد أصبحت حاكماً معيناً من قبل الله لتعطى النصر لغيرك .

ومما هو واضح أن المسيحيين فى عصر هتلر ، موسيلينى ، ستالين ، شاوشيسكو وغيرهم من الطغاة القدامى قد خدعوا بترجمة خاطئة للعدد الوارد فى روميه ١٣ ، حتى أصبحوا يشاركون فى الأعمال الشريرة وفشلوا فى أن يعرفوا أن هذه الكلمات المهذبة فى ذلك العدد « لتخضع كل نفس للسلاطين الفائقة » قد وردت فى نهاية كتاب كان يعلم فى كل صفحاته أن الفرد لابد أن يقف بثبات وأن يحطم الطغيان والظلم ، فهذا ما فعله موسى ، جدعون ، باراق ، شمشون ، داود وآخرين وكل منهم قد أعتبر بطلاً فى الكتاب المقدس .
لكننى لا أعتبر أن المتعاونين مع الشيوعيين مذنبين ، فالشخص الذى ولد فى محيط همجى أو حيوانى لابد أن يصبح شخصاً همجياً لا يمكن أن يلومه أحد . مثله فى ذلك مثل شخص نشأ فى كنيسة تحلل النصب

والاحتيال ، لابد أن يعتبر هذه الخطايا عملاً عادياً .

لذا قال أحدهم قبل أن يموت وهو من أكبر قادة الكنيسة المعمدانية الرسمية (الكنيسة التى أقامتها الحكومة فى رومانيا) « يجب علينا أن نخضع للسلطات وليس معنى هذا أننا نخضع للحكومة فحسب بل أيضاً لجهاز مخابرات البوليس السرى (الذى يديره مجموعة من السفاحين) لأن هذا الجهاز أيضاً هو سلطة من السلطات لذلك فهو أيضاً مقام حسب مشيئة الله » .

وهذا معناه أنهم إذا طلبوا منى أن أتجسس على إخوتى فى الإيمان ، وأكتب لهم تقارير عنهم وأشى بهم مع علمى بأن القبض ثم القتل سيلحقهم بعد ذلك ، وجب علىّ أن أفعل ذلك . إذاً كيف يمكن أن يطالب أحد ما من مسيحيين قد تعلموا مثل هذا الإيمان والكلام أن يعملوا عكسه ، لاشك أنه يكون قد طلب المستحيل كمن يستغرب لماذا لا يتكلم طفل تربى على اللغة الإنجليزية باللغة العربية .

لذا فلقد رتبت أن أقابل بعض المتعاونين السابقين مع الشيوعيين والذين الحقوا الضرر الشديد بالأفراد والكنائس ، فقد كانوا يعتبرونه واجب عليهم أن يبلغوا السلطات بكل شىء يحدث فى الكنيسة ، كل كلمة تقال ، كل قرار يؤخذ ، وكان نتيجة لذلك أنهم آمنوا بالفكرة القائلة « لتغرق المركب حيثما يريدها اصحابها » .

لذا قد حاولت أن أريهم بعض المفاهيم ، قلت لهم إن تلمود اليهود

يعلم أنه عندما يقوم مضطهد دينى لليهود فعلى (الربای) الحاخام أن ينقسم إلى جزئين ، جزء يبقى مدافعاً عن الايمان اليهودى المتوارث ولا يغير منه شيء حتى فى طريقة ربط اليهودى لسيور حذائه ، أما الجزء الآخر فلابد أن يكون على النقيض من ذلك بأن يكون صديقاً لذلك الظالم المستبد ، فيأكل ويسكر معه لكيما يحصل على الأقل على جرعة أقل من عذابه ، أما أمام الله تقديره للعذاب الذى يواجهه الجزء الأول ليس أكبر من العذاب الذى يواجهه الجزء الثانى وهم يصادقون الطغاة لكى ما يصلون إلى مركز أعلى ، ولقد ساعدت هذه الكلمات أولئك على فهمهم لنفوسهم بصورة أحسن .

ولقد كان بعض المتعاونين مع الشيوعيين حكماء جداً ، فبإعطائهم تأييدهم الكلامى فقط لشاوشيسكو ، أصبحوا يستطيعون الحصول على امتيازات كثيرة وابتعدوا بالكامل عن تأليه شاوشيسكو الذى كان يدعى « صورة الله » و« المفكر الأعظم » .

أما الأسقف اللوثرى مولر Muller فقد قُبِلَ عضواً فى البرلمان الشيوعى رغم انه لم يدخل الانتخابات ولا تم التصويت على دخوله ، لكن وجوده هناك دون أن يتملق أحد من القادة الشيوعيين جعل الكنيسة اللوثرية من الكنائس التى تحملت أقل مقدار من المعاناه .

الخونه

ضمت الكنيسة أيضاً فى رومانيا بين صفوفها بعض الأشخاص الآخرين إلى جانب المتعاونين مع الشيوعيين ، وكانوا يعلنون بصراحة عن نفسهم أنهم خونة يبيعون الأبرياء من المسيحيين لأجل حفنه من المال ، مع أنهم لم يحصلوا أبداً على أكثر من الفتات ، مثلما حدث مع يهوذا الأسخريوطى لأجل ثلاثين من الفضة ، وحتى مع هؤلاء لقد ذكرتهم أن المسيح جلس على المائدة مع يهوذا حتى بعد أن خانه ، وكانت كل كلمات المحبة التى قالها المسيح لتلاميذه فى العشاء الأخير كانت تشمل يهوذا أيضاً ، فلقد قال يسوع « لا تضطرب قلوبكم ، أنتم تؤمنون بالله فآمنوا بى » وكان هذا يعنى يهوذا أيضاً ، الذى أكد له الرب أن فى بيت أبى منازل كثيرة .

حتى لذلك التلميذ الذى قبض أجرة خيانته لسيده وأخفاها فى جيبه ، كان عليه فقط أن يتوب عن فعلته ، كان يسوع يقول « آتى أيضاً وأخذكم إلى » (يو ١٤ : ١ — ٣) ، حتى عندما قاد يهوذا العسكر ليقبضوا على يسوع وبعد أن قبَّله يهوذا قبلته الخادعة دعاه المسيح « يا صاحب » لأن صداقة المسيح صداقة أبدية .

لقد جاءت الكلمات الواردة فى يوحنا ٥ : ٢ فى الأصل الكتابى ، « وكان بجوار الضأن (الأغنام) بركة يقال لها ... » أما كلمة باب الواردة فى الآية فهى من توضيح المترجم أى أن بجوار كل خروف

من خراف المسيح هناك فرصة للإغتسال من كل خطية ، لعل المأساة الكبرى هى أن بعض هؤلاء الخونه ، لم يكونوا فقط من بين المسيحيين الضعفاء ، لكن بعض منهم من أفضل المسيحيين وكانوا يعدون من أبطال الإيمان الذين سجنوا وتحملوا العذاب لأجل المسيح لمدة سنوات عديدة ، أما عن هؤلاء فلابد من إسدال الستار على تاريخهم الماضى ، فليس جيداً أن يتكلم المرء عن كل ما يعلمه فهناك بعض الأشياء المحزنة جداً فى هذا التاريخ .

الوعظ لسامعين غير مرئيين

ترى ما أقصى ما كنا نتوقعه أو نحلم به فى رحلتنا إلى رومانيا ؟ لقد وقفت زوجتى سابينا وأنا أمام قصر شاوشيسكو الفخم البديع ، والذى يضارع قصر باكنجهام ، فقد قيل أن حتى صنابير (حنفيات) حمامات هذا القصر من الذهب ، لكن صورة الله (كما كانوا يسمونه) لم يستطع أن يستمتع باستعمالها ولا مرة واحدة ، هذا القصر بنى فى نفس المكان الذى كان مخصصاً لسجن أورانيوس الخاص بالمخابرات السوفيتية ، بعد أن هدم السجن ليقام مكانه مسكناً للديكتاتور ، ولقد قضيت أنا بعض الوقت من سجنى فى ذلك المعتقل قبل أن يهدم ، واستطيع أن أتجرأ وأقول أننى كنت أحكم من زنزانتى حتى ولو بدت هذه العبارة كمبالغة صارخة منى ، لذا سأشرحها لكم .

لقد سجنونى وحيداً فى زنزانة حيث لم أستطع مطلقاً أن أرى الشمس ولا القمر ، لا النجوم ولا الطيور ، لا الأشجار أو الزهور والفراشات ، حتى نسيت فى ذلك الوقت أن هذه الألوان موجودة من الأصل ، ففى عالمى الرهيب الذى أعيش فيه لا يوجد سوى اللون الرمادى فى الحوائط الخرسانية القذرة ، والملابس المهلهلة ، وجلدى الرمادى المتسخ ، لذا نسيت كيف يبدو اللون الأزرق ، والأخضر ، والبنفسجى ، ولم يكن هناك أى كتاب ، ولا قصاصة ورق فى ذلك السجن الكائن فى أعماق الأرض ، لا يسود سوى الصمت ، فلم أكن اسمع لا كلمة ولا حتى همسة ، فكان هذا تحطيماً لحواسنا فى أسوأ صورها .

لكننى كنت فى كل ليله أعظ فى زنزانتى لسامعين غير مرئيين لى ، وكنت قد تعودت على هؤلاء السامعين غير المرئيين حتى عندما كنت حراً ، ففى ١بط ١ : ١٢ ، مذكور أن الملائكة تشتهى أن تطلع على الوعظ بالإنجيل ، فكلما كنت أعظ فى الكنائس كنت أضع فى حسبانى أن هناك ملائكة حاضرين ، ليس فقط الشعب السامع (هناك أيضاً ملائكتنا الحارسة يكونون معنا فى الكنائس) وتعودت أن أقول لهم بعض الكلمات الطيبة هم أيضاً ، لكننى أخطأت إذ تخيلت أن الملائكه هم فقط السامعين غير المرئيين لى ، فلم يكن الأمر كذلك .

فبعد أن جئت إلى الغرب نشرت ثلاثة كتب تحتوى على عظاتى التى أعددتها وألقيتها فى زنزانتى الانفرادية بالسجن وهم : عظات فى

زنزانة انفرادية ، لو كانت حوائط السجن تتكلم ، ووحيداً مع الله . وعندها حدث أمر غريب جداً فلقد تسلمت خطاباً من رجل فى كندا قال فيه إنه من عائلة مسيحية طيبة الاعراق ، لكنه كشاب ضل وانحرف وانتهى به المقام فى السجن ، واستمر فى شغبه فى السجن حتى وضعوه فى زنزانة انفرادية لعقابه ، وفى خيبة أمل وحزن بدأ يفكر فى حزن والديه التقيين على ما وصل إليه من حالٍ رديئة ، وأراد أن يعود إلى الله لكنه لم يكن يدرى كيف يحدث ذلك ، فصلى فى زنزانته قائلاً ، يا الله ، إن كان هناك فى كل هذه الأرض انساناً مثلى فى زنزانة انفرادية ، ويعرفك معرفة حقيقية أرسل لى أفكار ذلك السجين ، وعندئذ سمع صوتاً داخلياً يخبره « أن الله يبحث عنك ويطلبك بأكثر شغف مما تطلبه أنت ، هو يطلبك ويعرف كيف يجد من يطلبه ، فاهدأ واجلس بسكينة وهو سيصل إليك » .

ومنذ ذلك الوقت وليلة بعد ليلة كان يسمع عظات آتيه إليه من مكان بعيد ، فتاب إلى الله وبرحمة الله أطلقوه حراً بعد فترة وجيزة من سجنه ومرت السنون وتزوج وأصبح له عائلة ، وأصبح شماساً فى الكنيسة ، ويوماً ما دخل إلى مكتبة لبيع الكتب المسيحية وقرأ عنواناً غريباً كتب على غلاف أحد الكتب وهو (عظات فى زنزانة انفرادية) ، وحيث أنه اختبر الحبس الانفرادى من قبل تعجب متسائلا لمن قدمت هذه العظات بينما الواعظ محبوساً حبساً انفرادياً ، فاشترى الكتاب وقرأه ثم كتب إلىّ قائلاً « القس وورمبراند أنت لم

تكن تعظ فتضارب الهواء ، فلقد كنت أنا فى حبسٍ انفرادى كما كنت أنت وفى نفس الوقت والآن أنا أتذكر هذه العظات ، فلقد كانت عظاتك أنت ، هى التى أسمعنى إياها الله ، والتى كانت سبباً فى رجوعى إلى المسيح فشكراً لك على إلقائك هذه العظات .

وربما لم أكن أعير هذا الخطاب التفاتاً كبيراً إن لم أكن قد تسلمت خطاباً مماثلاً من أحدى الأخوات فى انجلترا فلقد ذكرت لى نفس هذه الواقعة وقد حدثت معها هى أيضاً . ثم قابلت راعياً فرنسياً قال لى انه عندما كان بعد خاطئاً ولم يكن يطلب الله ، أراه الله رؤيا ، رأى قساً يرتدى زياً معيناً ، يكلمه عن المسيح ، فقبل الرجل الفرنسى المسيح مخلصاً شخصياًله ، وأصبح أحد رجال الدين وربح النفوس الكثيرة لسيده ، ويوماً ما عندما رأى كتاب (عظات فى زنزاتة انفرادية) وقد وضعوا على الترجمة الفرنسية لهذا الكتاب صورتى ، تذكر هذا القس أننى هو الرجل الذى رآه فى رؤيته والذى كان سبباً فى رجوعه إلى الله .

الوعظ الذى يتخطى حاجز الزمان والمكان

لدى العبرانيين ثلاثة معانى لكلمة نفس ، نيفيش nephesh ، روخ ruach ، نيشاما Neshamoh ، والـ Neshamah هى أسمى حاله للنفس ، وفى كتاب التصوف اليهودى الأساسى ، يدعونها « النفس العليا » .

وفى هذه الحالة لا تخضع النفس لحدود الزمان والمكان ، فيمكن لإنسان محبوس بين أربعة جدران أن يتصل بأناس على الآف الأميال منه . فعندما تسلمت هذه الخطابات ألقت هذه الخطابات ضوءاً جديداً على بعض الحقائق الغريبة التى ذكرها الرسول بولس حينما قال « كلمة حق الانجيل ، الذى قد حضر اليكم كما فى كل العالم أيضاً » (كو ١ : ٥ ، ٦) وأيضاً « إيمانكم ينادى به فى كل العالم » (رو ١ : ٨) ... وهكذا .

فهذه الكلمات تبدو أنها مبالغة صارخة حتى يمكن أن يقال عنها كذب ، فلم يكن يعرف بولس اليابان ، ولا أمريكا ولم يكن الحق الكتابى قد وصل حتى إلى كل العالم المعروف فى ذلك الوقت ، لكن إنسان القلب الخفى ، الإنسان الباطن ، النيشاما Neshamah ، يمكن أن يتصل بما يتعدى الحدود والحواجز ، أشياء تحدث للإنسان الباطن ، لا يعلم عنها شيء الإنسان الخارجى ولا يمكن أن يعيها المرء .

ذكر الوحى أن كل اليهود الذين عبروا البحر الأحمر عند خروجهم من مصر قد « اعتمدوا » (١كو ١٠ : ٢) وقد كان عددهم ما بين ٢ أو ٣ مليون ، ولم يعرف أحداً أن هذا قد حدث بالفعل وقيل أن « كل الذين اعتمدوا للمسيح يسوع اعتمدوا لموته » (رو ٦ : ٣) ، مع أن ٩٠٪ من أولئك الذين اعتمدوا ، حتى الذين اعتمدوا بعد الإيمان وهم كبار فى السن لا يعرفون ذلك ، فزوجتى وأنا تعلمنا هذه الحقيقة مؤخراً وتعجبنا لذلك ، فمن منا يعلم انه قد « دفن معه »

(رو ٦ : ٤) وأن « انساننا العتيق قد صلب معه » (عدد ٦) ولاشك أن الإنسان الذى صلب لابد أن يتذكر ذلك ولا يمكن أن ينساه ، ومع ذلك فنحن لا نذكر هذا ، لأن هذه كلها أشياء تحدث مع النيشاما ، أشياء لم يختبرها وعينا وادراكنا وهى جزء بسيط من عقلنا .

وأنا شخصياً لم أختبر أن أقبل المسيح على أنه شخص جديد ، فعندما سمعت رسالة الخلاص فى سن السابعة والعشرين على يد أحد النجارين الريفيين ، كنت أقبلها منه على أساس أنها شيء قديم كنت أريد الحصول عليه ، وكنت أفتش عليه .

فالعظة الحقيقية التى تخرج من مخدع القلب ، والتى يسمعها من يلقيها ويأخذها لنفسه ، ويتعجب منها لأنه لم يكن حتى يفكر أنه يعرف محتوياتها ، هى العظة الباقية والتى يتذكرها السامعون بعد عشرات السنين وتصل إلى أقصى الأرض محدثه تأثير أكبر من أن يحد .

فى كتابه « طفل السلام » يحكى ريتشارد عن العديد من المرسلين الذين وجدوا قبائل وعشائر كثيرة من المسيحيين لديهم المعرفة والعقيدة المسيحية عن الإيمان المسيحى ، رغم أنه لم يبشرهم أحد من قبل بهذه الحقائق ، لكن عظات وتعاليم روحيه قد أتت إليهم من بعيد لم يكونوا يعرفون مصدرها .

وبينما وقفنا زوجتى وأنا أمام قصر شاوشيسكو الضخم تذكرت

هذه الأشياء ، وتأملت فيها ، ففى زنزانتى وحيداً تحت الأرض ، أسفل قصر شاوشيسكو الحالى اختبرت الفرح الذى لم يكن هو حتى يحلم به عندما كان فى أوج قوته ، فكل أعماله اتضح أنها باطل وقبض الريح سواء كان هذا القصر أم غيره من الأماكن ، فيوماً ما لن يبقى حجر على حجر فى كل هذه الأماكن لا ينقض ، لكن النفوس التى وهبنى الله أن أربحها ستبقى إلى أبد الآبدين ، وسوف تصعد وتتقدم من مجد إلى مجد وبلا نهاية ، وعندما تأملنا فى هذا احتضنا بعضنا البعض زوجتى وأنا ، ورفعنا صلاة شكر لله .

ربح النفوس فى السجن

من هناك ذهبنا إلى مبنى كان يستخدم سابقاً كمقراً للجنة المركزية للحزب الشيوعى وهو نفس المبنى الذى كان شاوشيسكو يلقى خطابه الأخير على الشعب من أحدى شرفاته عندما صرخوا فى وجهه « قاتل » « مجرم » « لتسقط أنت والشيوعية معك » ، فهرب فى طائره هليكوبتر كانت على سطح المبنى وذهب ليلقى حتفه ، وهو أيضاً المبنى الذى كان يضم مكاتب قادة البوليس السرى ، كما كان يحتوى على سجن تحت الأرض وهناك قضيت أنا سنتين فى السجن الانفرادى ، ومن هذه الزنزانه كنت أعظ بانجيل المسيح للمساجين المجاورين لزنزانتى وأنا تحت الأرض قارعاً على جدران الزنزانه من الجانبين فقبل المسيح كثير من زملائى فى السجن .

وقال لى قس نورديجى يدعى فجيلدستاد (Fjeldstad) وكان مرسلاً فى اسرائيل انه عندما بدأ يقدم رسالة الخلاص لأحد اليهود فى إسرائيل قال له لقد جئت متأخراً جداً فلقد قبلت المسيح وسمعت رسالته منذ سنين من أحد المسجونين فى زنزانه بجوار زنزانتى وكان يقرع على الحائط مستخدماً طريقة موريس فى توصيل رسالة المسيح فى زنزانتى الانفراديه ، وآمنت بالمخلص ومازلت متمسكاً بايمانى له .

لقد استمتعت بكل خطوة خطوتها فى رومانيا ، وكل مكان ذهبته أرجع إلى عقلى ذكريات جميلة . ولقد وقفنا زوجتى وأنا أمام المقر الرئيسى للبوليس حيث اعتقلونا هناك أيام الحكم الفاشى ، والحكم الشيوعى .

وفى بوخارست رأيت مرةً أخرى أحدى الأخوات مع والدها وهو قس معمدانى كانا قد سجنا معى وآخرون فى هذا المقر السرى للبوليس أيام الحكم الفاشيستى حيث اتهمونا باقامة خدمات روحيه سريه فى البيوت وتذكرنا كيف رنمنا بكل سعاده هناك .

وبعدها زرنا سجن ماليزون Malmezon فى بوخارست حيث سجنت هناك أيضاً فى الحكم الفاشيستى والشيوعى (وكان هذا السجن أسوأ بكثير من السجن السابق) .

وفى أثناء الحرب كان عدد الأخوة والأخوات هناك ستة أفراد وكانوا يتركوننا الرجال والنساء معاً أثناء اليوم ، ويوماً ما دخل أحد

القادة العسكريين وكان برتبة كولونيل حجرتنا صارخاً « سمعت أنكم ترنمون ترانيمكم هنا وهذا ممنوع ، فما نوع هذه الترانيم أسمعونى واحدة » فرنمنا « أيها الرأس الذبيح ، أنت مجروح الآن ، وفى حزن وخجل تحنى رأسك » فاستدار الضابط وخرج من الحجرة دون أن ينطق بكلمة واحدة ، لكننى سمعت بعد سنوات من رفيق كان لى فى السجن وهو مسيحى عبرانى وكان معنا مشاهداً لهذا الحدث عندئذ أن هذا الكولونيل أصبح أخ لنا فى المسيح ، فإن ترنيمنا يساعد الأخرين على الخلاص .

المكان المركزى فى حياتى

لقد وجدت نفسى مرة أخرى فى شارع أوليتنى Olteni ، حيث كانت كنيستى وكانت هناك أيضاً كنيسة أرثوذكسية ومعبداً يهودياً فى نفس الشارع ، وبالطبع لم يكن شاوشيسكو فى حاجة إلى هذه المبانى فهدمها كلها ، ويالها من ذكريات كانت لى فى شارع أوليتنى ، فهنا قلت أول صلاه لى طالباً التوبة وأنا أغرق فى بحر من الدموع عندما كان القس عدنى Adany وهو من الإرسالية الإنجليكانية لليهود يلقى عظته .

وكان القس عدنى قد كرس حياته لخدمة اليهود فخدم قرابة أربعين سنة ولم ير إلا ثماراً قليلة ، لكنه لم يتخل عن إرساليته حتى اتضح اخيراً أنه لم يكن يخدم كل هذا الوقت دون فائده ، فلقد ربح للمسيح

اسحق اينشتين ، الذى أصبح واعظاً عبرياً مسيحياً شهيراً ومات شهيداً وربح أيضاً « آشر بيتارو » Asher Pitaru وكان رفيقى فى سجنى الأخير .

وكان يدعونه المساجين والحرس الشيوعى « السيد » (١كو ١٣) لأن هذا كان موضوع كلامه الرئيسى لأى شخص ، حتى إلى الحراس ، الذين كانوا يعاملونه باحترام ، وعندما كان بترو يقف أمام المحكمه كان صديقاً من أعز أصدقائه هو الشاهد ضده ومع ذلك لم يذكر بترو إلا كلمات المحبة عن هذا الصديق الخائن ولم يذكر خطيته أبداً ، فكان هذا وآخرين غيرهم هم ثمار خدمة القس عدنى .

أما الواعظ الرئيسى فى كنيستى فى أوليتنى فكان القس اليسون Ellison وكان هو أيضاً يهودى الأصل ، فكانت كنيسة أوليتنى هى مكان تجديدى وهى أيضاً المكان الذى قمت بالرعايه فيه كقس وراعٍ ، وكان الجميع يدعون تلك الكنيسة « كنيسة المحبة » ومع أنها كنيسة لوثرية ، إلا أنها كانت فى الواقع مكان يجمع الأخوة من مختلف الطوائف المسيحية فى رومانيا ، فكان العابدون من كل الأنواع ، أرثوذكس ، معمدانيون ، خمسينون ، ناصرون ، حتى الأدفنتست صادتهم شبكة هذه الكنيسة ، وعندما كان أحد المسيحيين يرزق بمولود كنا جميعاً نفرح معه ونعمد الطفل ، وعندما يطلب أحد البالغين المعمودية ، كان أولئك الذين يؤمنون بمعمودية الأطفال يحضرون أيضاً معه ونفرح جميعاً بمعموديته .

وكان زميل دراستى القس سوليم Solheum يعظ معلماً أن التناول الذى نشترك فيه يتحول حرفياً إلى جسد المسيح ودمه ، كنت أقول أنا أننى أومن أن هذا الخبز والكأس يشيران فقط إلى الجسد والدم ولا يتم التحول فيهما ومع ذلك لم تحدث مشاجره أو مقاطعه بيننا بخصوص ذلك ، فلقد قال المسيح ، « خذوا ، كلوا ، اشربوا » ، ولم يقل « تجادلوا واثبتوا أى من التفسيرين (الاستحاله أم عدمها) هى الأصح » فمائدة الرب هى مائدة الرب وليس ما نفتقده نحن بخصوصها .

وكنا نعتنى جداً بالفقراء فى هذه الكنيسة ، كما كنا نساعد آخرين فى كنائس أُخر كثيرة ، وفى هذه الكنيسة بدأنا إرساليتنا السرية للعمل وسط الجيش السوفيتى الذين غزوا بلدنا ، فقمنا بطبع العهد الجديد ، والبشائر خصيصاً لهم .

لكن كنيسة أوليتنى عزيزة على قلبى لسبب آخر ، ففى حجرة على سطحها حيث كنت أقيم قابلت القس ستيورات هارس سراً وقد أصبح اليوم مدير الإرسالية العالمية المسيحية للعالم الشيوعى . وقابلت أيضاً معه صديقه القس موسلى من الولايات المتحدة الأمريكية وكانا هما أول زائرين أجنبين لم يسمحا لقادة الكنيسة الرسمية بأن يضللانهم ويبعدانهم عن حقيقة الكنيسة فى رومانيا ، فقابلانى بالليل وأخبرتهم عن قصة معاناتنا وعذابنا بالكامل .

وكان هذا الاجتماع هو حجر الأساس لتكوين ارساليتنا للعالم

الشيوعى ، التى امتد نشاطها إلى أكثر من أربعين قطراً ، فقدمت ملايين الكتب المقدسة ، والعهد الجديد ، والبشائر ، والنبذ للأراضى الشيوعية ، وحركت مئات الالآف من المصلين لأجل المضطهدين ، كما ساعدت عن طريق الاذاعات فى الراديو وتدعيم أسر المساجين مادياً .

هل أنت مستعد أن تدخل فى مركبه من نار

لقد قمت بتقديم عدة عظات فى رومانيا لا أستطيع أن أذكرها هنا فى هذا المقام ، لكننى أريد فقط أن أشارككم ببعض أفكارى الرئيسية والتى تتعلق بالوضع هناك فى رومانيا . تكلمت عن سهولة اختطاف الانسان إلى السماء عند مجىء الرب ، وقلت لهم أن أى إنسان يمكن أن يختطف اليوم إن كان لديه الاستعداد أن يسافر كما فعل إيليا « وفيما هما يسيران ويتكلمان اذا مركبه من نار وخيل من نار ففصلت بينهما فصعد إيليا فى العاصفه إلى السماء » (٢مل ٢ : ١٢)

فهل يوجد أحدكم هنا على استعداد لأن يدخل فى مثل هذه المركبة المرعبة ، وأن يختطف الآن فى الحال وإن لم يكن ، فإلى أين تريد أن تؤخذ ؟ فلقد وعدنا المسيح بوعد عظيم فى (رؤ ٣ : ٢١) « من يغلب فسأعطيه أن يجلس معى فى عرشى ، كما غلبت أنا أيضاً وجلست مع أبى فى عرشه » فأى منكم يمكنه أن يأتى ويجلس فى هذا العرش ، الذى وضعه دانيال فى سفره « عرشه لهيب نار ، وبكراته نار متقده ،

نهر نار جرى وخرج من قدامه » (دا ٧ : ٩ ، ١٠) فهل أنت مستعد أن تجلس فى مثل هذا العرش ؟ إن كنت مستعداً يمكنك أن تحصل على شرف الجلوس على هذا العرش .

لقد أتيت من الغرب حيث يعلِّم بعض الوعاظ بسهولة الخلاص ، آمن فقط ، هذا كل ما فى الأمر ، وإن آمنت فلن تحصل على السماء فقط فى الأبدية ، بل تحصل أيضاً على الصحة والسعادة فى الأرض . وقلت لسامعى ، قد تستطيع أن تهرب من اضطهاد الشيوعيين لك ، لكن هذه التعاليم الغربية الخاطئة ، تؤدى إلى دمار حياتك الروحية أكثر مما يمكن أن يفعله بك الشيوعيون ، فلكى تصبح مسيحياً ينبغى أن تؤمن بالمسيح ، وهذا معناه أن تؤمن بذبيحته التى قدمها فى الجلجثه ، وفى تعاليمه التى تنص على أننا يجب أن ننكر نحن أيضاً أنفسنا ونتبعه ، أى أننا يجب أن نصلب معه وندفن معه بالطبع ليس حرفياً ، لكن بأن نحارب الخطيه والعالم والشرير حتى الدم ولا نستسلم حتى لو خسرنا معارك كثيره ، فلقد قيل عن بريطانيا إنها خسرت كل المعارك فى الحرب ، ولكن كان لها الانتصار فى النهاية ..

الإيمان المسيحى يمكن أن يشفى فزوجتى وإبنى وأنا نفسى شفانا الله كثيراً من أمراضنا بالإيمان المسيحى ، لكن كثيرين وقعوا فريسة للأمراض بسبب إيمانهم بالمسيح ، فكثير من الرجال الأصحاء والأقوياء أصبحوا مسيحيين ، ونتيجه لذلك تم اعتقالهم ، وضربوا وعذبوا ، حتى فقدوا صحتهم لأجل المسيح ، والمسيح أعطى كثيرين أن تنتعش

تجاراتهم وأشغالهم لكن كثيرين أيضاً فقدوا كل شىء بعد أن كانوا يعيشون حياة رغده ، وصودرت أملاكهم وبيوتهم ووضعوا عليهم غرامات ثقيله لا لشىء إلا لأنهم قد أصبحوا مسيحيين .

فلا تخدم عزيزى القارىء الرب متطلعاً لما يمكن أن تأخذه منه ، فلقد أحب يوحنا ، ومريم المجدلية وآخرين المسيح حينما لم يكن يمتلك شىء ليعطيه لهم ، فقد علق على صليب مؤلم فى حزن وعطش وصرخ بكلمات كانت تبدو أنها كلمات الفشل . لكن مريم المجدلية قد أحبت يسوع ، حتى فى الوقت الذى لم يكن يستطيع فيه أن يعطى شيئاً وأحبته حتى عندما كان جثة فى القبر ، وأنفقت من أموالها لشراء عطور لتكفينه .

فأين إذاً هو الفرح المسيحى ؟ لقد قال بولس « فإنى أفرح فى آلامى لأجلكم » فالمسيحى يبكى مع الباكين ليس أولئك الذين يبكون لفترة قصيرة ، لكن مع أولئك الذين يقاسون البكاء وصرير الأسنان فى عذاب أبدى بلا أمل فى النجاة ، وليس فقط يسوع هو الذى تألم وحده بل إن تلاميذه شاركوه فى عذابه ، مكملين نقائص شدائد المسيح فى جسدهم ، فلم يقنع فقط بالصلب لأجل الجنس البشرى ، بل نزل إلى الجحيم ، فحتى إذا لم يؤذه شىء هناك ، يكفى أن يتواجد فى مثل ذلك المكان المرعب ، سامعاً للبكاء والعويل ، شاعراً بالنار وحريقها ، هذا لاشك أمر مرعب . فلا يمكن أن يقرأ أى إنسان حساس وصف دانتى للجحيم ولا يرتعد .

الاتحاد مع الله

لكن ذلك لم يكن كافياً بالنسبه ليسوع ، لكنه اختار أن يصلب مرات ومرات كلما أخطأ المؤمنون (عب ٦ : ٦) وحتى هذا لم يكن كافياً لإعلان غنى حبه تجاهنا ، فأصبح يعيش فينا ، يحيا حياتنا معنا ، لقد عمل ذلك بكل أناة ولطف ، لكنه فى مرات يسألنا قائلاً « إلى متى أحتملكم » (متى ١٧ : ١٧) فكل سقطة ، كل خطية ، كل ضعف وشك ، يؤلمه ، لأنه اتحد بنا ، أصبح فينا ، ولم يعد شخصاً منفصلاً عنا ، حدث تبادل للمنفعة بيننا .

وفى الترجمة العبرية لأشعياء ٤٨ : ١٢ ، تأتى الكلمات حرفياً فى ترجمتها العربية كما يلى « أنا هو هو وهو الأول ، وواحد فقط ، وهو أنا هو الآخر » وهو ما يتفق تماماً مع الترجمة العربية التى تقول « أنا هو أنا الأول والآخر » فقد اتحدنا أنا والله ، وأصبحنا شخصاً واحداً ، فليس هناك تقصير من ناحيتى ، ليس تقصيره ، ولاشك ، أو إنكار ، أو خطأ فهو أيضاً إشترك فيها معى ، لكن ذلك بسبب محبته فقط ، تلك التى جعلته يحمل هذه الأمور على كتفيه فى الصليب ، لكنه بالطبع هو ليس مرتكبها الفعلى فحاشا له ، إنما أنا الذى ارتكبتها .

ونحن نجد فرحنا فى خدمتة الكهنوتية السامية بأن نحضر أنفسنا ذبيحة مقدسة ، فنحن نعانى لأجل كل واحد ، لأن المسيح الذبيح

يحيا فينا ، فالمسيح ليس فقط فى المجد الآن ، لكنه مازال « رجل الأوجاع ومختبر الحزن » وأنا أعطيكم مثلاً حياً على ذلك

عمدينى وإلا قتلتك

قبض على أحدى الأخوات وتدعى آن مارى Annmarie بسبب خدمتها فى الكنيسة السرية فى رومانيا ، وكما جرت العادة فقد ضربوها وعذبوها لكى ما تدلى باسماء الأخوة والأخوات المؤمنين الذين تعرفهم وتعمل وسطهم ، لكن حتى تجربة الاذعان لرغبة المعذبين لم تراودها فلقد كانت تشغلها وتمتلكها فكرة واحدة فقط وهى كيف تقدم رسالة الخلاص للشخص الذى يقوم بتعذيبها ، فلم يكن ما يهمها هو كيف تنهى هذا التعذيب الوحشى أو كيف تستطيع أن تقصر المدة التى سيحكمون بها عليها ، لكن ما سيطر عليها هو كيف تساعد معذبها فى التخلص من خطاياه والجحيم الذى ينتظره . فقالت له « أنت تضربنى ولكن بلا فائده لأنك لن تتمكن بضربك لى من أن تنزع حبى من داخلى ، وهذا الحب ليس لله فقط ، بل لك أنت أيضاً » .

فضحك المعذب من قلبه وقال لها « يالك من فتاه حمقاء ، وأنت تقولين إنك تحبيننى أنا » وبدأت الكلام فقد كان هناك وقت يمكن أن تتكلم فيه الضحية مع معذبها عندما يتعب من ضرب الضحية فيستريح ليبدأ من جديد . ولقد قال لى أحد الجلادين « أنتم أيها

السجناء تصرخون عندما نضربكم ، ولماذا تصرخون ؟ بالطبع لأنكم تشعرون بالآلام ، لكن معاناتكم وعذابكم ، لا يقارن بالنسبة لعذابنا نحن الذين نضربكم ، فأنت تضرب تقريباً لمدة نصف ساعه ، لكن علىّ أن أضرب عدد كبير منكم حتى لا نجد الوقت لنعمل شيء آخر سوى أن نضرب فى المساجين ، وأنا أقوم بضرب المساجين لمدة ستة أيام فى الأسبوع ، وإثنا عشر شهراً بالسنه وقد مارست ذلك لمدة عشرة سنوات ولم أسمع خلالها إلا موسيقى الصراخ والعويل ممن أضربهم ، وهذا سيؤدى بى إلى الجنون . ففى المساء بعد أن أخرج من هنا أشرب حتى أسكر ثم أذهب للبيت لأضرب زوجتى أيضاً ، فهذه هى حياتى ، إننى أتعذب أكثر منكم » .

وعندما يتعب الجلادون يأخذون راحه ليشربوا القهوة ويدخنون السجائر ، وفى بعض الأوقات لو كان المسجون من يقومون بتعذيبه يدخن السجائر ، قد يعطونه سيجارة ولمدة ربع ساعة وهى وقت الراحه يتحول الجلاد إلى جليس للضحية يتكلمان معاً ، وقد يروون النكات بعضهم لبعض .

ولذلك ظن ذلك الجلاد الذى كان يعذب آن مارى أنها ستسرد عليه نكته مضحكة ، لكنها استمرت قائله « سوف أسمعك بعض الكلمات التى لا يمكن أن تسمعها من فتاه آخرى ، حتى فى الأوقات العادية ، فعندما كنت تعذبنى ، كنت أتطلع إلى يديك ، فيالها من يدين جميلتين ويمكننى أن أعرف كم هى سعادة زوجتك عندما تربت

بيدك على شعرها ، وأريد أن أسألك سؤالاً بسيطاً أليس وضعك يديك برفق على أحد أفضل من الضرب ، ألا تستمتعان معاً زوجتك وأنت عندما تلمسها يديك برفق ولطف ، فمن المستحيل أن تستمتع أنت بالضرب أكثر من اللمس بالرفق . كما أن لك شفتان جذابتان ، فلاشك أن زوجتك كانت ستطير من الفرح عندما قبلتها لأول مرة . أفليست القبلات أحسن من الشتائم وسب الناس بكلمات حمقاء .

فما كان من الجلاد إلا صفعها قائلاً « امتنعى عن هذا الكلام السخيف فأنا لا أهتم بكذبك وتملقك هذا ، فمن الأفضل أن تخبرينا عن من تعملين معهم فى نشاطك المسيحى السرى فلا وقت للحب هنا ، فلابد من معرفة أعداء الثورة الذين تعملين بينهم » . فأجابت الفتاة ، إن لى رفيقاً ليس فقط يحبنى لكنه هو نفسه المحبة ، ومنه تعلمت أن أحب كل فرد محبة قلبية ، أولئك الذين يحسنون إلىّ وأولئك الذين يسيئون إلىّ أيضاً .

فضربها ضربة قوية بقبضة يده فقدت على أثرها الوعى ، ووقعت على الأرض الأسمنتيه فأغمى عليها . وعندما أفاقت رأت جلادها جالساً فى تأمل عميق ، ثم سألها ، أخبرينى من هو رفيقك ، هذا الذى علمك أن تحبى كل من المحسنين والمسيئين لك على السواء ، دون تفرقة فقالت « إنه يسوع » ، وبدأت تتكلم للمعذب عن المسيح حتى قال لها« كيف يمكن أن أصبح أنا أيضاً صديقاً ليسوع ؟ » فأجابت « لابد أن تتوب عن خطاياك ، وتضع ايمانك وثقتك فيه بأنه

مات عنك على الصليب ، وأن تعتمد فقال لها « نعم أتوب إليه فأرجو أن تعمدينى » .

فأجابته « أنا لا أستطيع أن أعمدك » [وهى لم تعلم أنها مخطئه فى ذلك ، فإن أى شخص يمكن أن يقوم بالمعموديه فى مثل هذه المناسبات الخاصه] . فأمسك الجلاد بمسدسه وصوبه ناحيتها وقال لها « عمدينى وإلا قتلتك » .

وإن بدا هذا غريباً فى أعيننا لكنه لا يجب أن يكون كذلك ، فقد كان هذا الجلاد يتمم كلمات يسوع التى قالها « ملكوت السموات يغصب والغاصبون يختطفونه » (متى ١١ : ١٢) . (يغتصبونه) هل يمكن أن تعنى هذه الكلمات إغتصابه بالمسدس ثم سحبها هذا المعذب إلى بركة ماء والقاها فى المساء ونزل وراءها فعمدته وكان هذا تجديداً حقيقياً واختباراً ثبتت صحته ، فقد استطاع أن يتحمل المخاطر الجسام حتى يطلق سراح هذه الفتاة .

وحدث هنا أيضاً تبادل منفعة بينه وبينها ، هى ربحته للمسيح وهو أطلق سراحها مخاطراً بنفسه فحتى مع أسوأ المعذبين كانت آن مارى تفكر فى شىء واحد خلاص أسوأ الرجال ، وقد قبلت ضرباً فظيعاً مبرحاً ، حتى تتمم إرساليتها وكان النصر حليفها فى النهاية وآمن الجلاد بالمسيح .

الغفران للجلادين

فى تكملة لعظه لى ، أكدت للسامعين « أنكم جميعكم تعذبتم كثيراً على أيدى الشيوعيين ، بطريقه أو بأخرى ، سواء جسدياً أو نفسياً أو اجتماعياً .

« هناك شىء لم يكتمل بعد فى صليب المسيح ، فكل ما عمله للبشر حتى الآن ليس بكافٍ فأنتم تنتمون إلى جسده ، فأنتم تجسد جديد له ، فحيثما تواجدتم ، يكون المسيح أيضاً ، كما فى حالة العذراء القديسة مريم ، عندما كانت حاملاً به ، فعندما كانت تذهب من المطبخ ، إلى حجرة الطعام ، كان هو يرافقها ، فهو وأمه كانا وحدة واحدة ، فأنتم جزء من جسده ، كما كان هو جزء من جسد مريم العذراء .

« فاحتملوا كل المتاعب التى تقع عليكم بفرح وخضوع وتسليم ، فهى أيضاً الآم المسيح وضيقات المسيح قبل أن تكون الآمكم وضيقاتكم ، وبهذا تكملون نقائص شدائد صليب المسيح فيكم ، وطبقوا هذا على كل ما يحدث معكم فى عائلاتكم ، وأعمالكم ومجتمعكم » .

كان الكاهن ديمترى زميلى فى مدرسة الألم بالسجن الذى كنت فيه ، فعندما كان فى السجن ، كان أحد الحراس فى السجن يتسلى بأن يضرب هذا الكاهن بشاكوش مرات عديدة على عموده الفقرى ،

ونتيجة لذلك أصيب ديمترى بالشلل وأصبح طريح الفراش ، لا يقدر على الحركه لمدة عشرين سنة .

واليوم حدثت الثورة ، وأطيح بشاوشيسكو ، فجاء الضابط الذى دمر حياة ديمترى إلى باب بيته وقال له « ديمترى ، أعرف ما عملته لا يمكن أن تغفره لى ، فما عملته كان شنيعاً للغاية ، لكن أرجو أن تسمع فقط لكلمات الاعتذار التى أقدمها لك ، وبعدها سأنصرف » . فأجابه الكاهن « لمدة عشرين سنة كنت أصلى يومياً من أجلك ، وكنت أنتظرك ، وأنا قد غفرت لك » .

هذه هى روح المسيحية ، ولا شىء سوى ذلك . فعندما علمنا المسيح الصلاة الربانية ، أراد أن يعرف أننا فهمنا أهم جزء بها ، فأضاف بعدها فى الحال هذه الكلمات « فإنه إن غفرتم للناس زلاتهم يغفر لكم أيضاً أبوكم السماوى وإن لم تغفروا للناس زلاتهم لا يغفر لكم أبوكم أيضاً زلاتكم » (متى ٦ : ١٤ ، ١٥) .

الشيوعيون يذيعون عظاتى فى التليفزيون

لقد حدث شىء غريب جداً بعد أن ألقيت بعض العظات القليلة والتى أكدت فيها على أنه من واجبنا أن نحب أعداءنا ، الذين من بينهم الشيوعيين أيضاً ، فقد أذاعوا عظاتى على نفقة التليفزيون .

لقد وضعنى الشيوعيون فى زنزانة انفرادية لمدة سنين عديدة ، لكى

لا أستطيع أن أشارك أحداً بأفكارى التى كانوا يعتبرونها سماً مميتاً حتى إذا قيلت لأحد المسجين زملائى ، والآن تهتم الحكومة الرومانية (التى مازالت شيوعية) بأن يصل ما أقوله لكل الشعب فى رومانيا .... ترى لماذا ؟

لأنهم أكتشفوا أنه من المنفعة أن يتعلم الشعب حب حكامهم . وبهذا بدا تناقض ظاهرى فى أن كل من أعداء المسيحية والمسيحيين يرغبون فى أن يستمع كل الشعب لى . والحقيقة أن القادة الرومانيين يستعطفون القسوس قائلين « من فضلكم عظوا بكل ما تريدون أن تقولوا للناس ، حتى فى الميادين العامة ، لكن ركزوا على محبة الناس لأعداءهم وإلا سيمزقنا الناس إرباً إرباً . »

هل كان المسيح يرى عن بُعد أن عظاته عن الحب للاعداء سوف يرحب بها اعداؤه ، عندما يكونون فى خطر ، وهذا سوف يساعد على انتشار الانجيل ، لأنه يضمن للأعداء الحماية من خلال رسالة الحب لهم .

لقد تجرأنا على السير فى طريقنا الخطر الذى كنا نبدو كأننا نسير فيه مع أسوأ الناس ، نشدد أيديهم ، وهذه هى الحالة مع كل من يفعل الصلاح مع الأشرار ، لأننا كنا نعرف أن الكلمه « يسوع » هو الله وأنه لابد أن يغير الكلمة قلوب حتى أولئك الذين يكرهون الله .

فمنذ ألفى سنه مضت كان اليهود يكرهون الرومانيين لأنهم اضطهدوهم ، ولكن ربما كانت تعاليم يسوع عن الحب ومحبة الفرد

لأعدائه هى التى جعلت بيلاطس البنطى الوالى الرومانى على اسرائيل أن يحاول إطلاق سراحه .

فالحب ، ولمجرد أنه الحب ، فإنه يعرض نفسه لعديد من المخاطر ، حتى خطر أن يستغل إستغلالاً سيئاً من الأشرار ، لكى ما يمتلكوا كل شىء باسم الحب ، ولكن مع هذا فلن نكف عن التعليم الذى ينادى بأن يحب الفرد حتى أعداءه ، حتى بالرغم من أن أعداء الله قد يستفيدون من هذه التعاليم على حسابنا نحن المؤمنين .

أنا لا أهتم بعظاتك

قابلنا أنجيلا كازاكو Angela Cazacu وكانت تعمل معنا أثناء الحرب وتنشغل كثيراً بسرقة أولاد اليهود من الحى اليهودى ، لتنقذ حياتهم كما تقوم بتهريب الطعام والملابس لمجموعة من السيدات المسيحيات المسجونات فى سجن ميسلا Mislea ، وغيره من المهام الخطره ، ثم غذى الجيش السوفيتى بلادنا فكانت أنجيلا ، تقوم بتوزيع البشائر الأربعة والعهد الجديد فى محطات السكك الحديدية لقطارات مليئة بالعساكر السوفيت ، مما أدى إلى القبض على مجموعة من الأخوات لكنهم عاودوا توزيع الكتب المقدسة بمجرد إطلاق سراحهن .

وعندما كنت فى سجن تيرجل أوكانا Tirgul Ocana سنة

١٩٥١ ، تعرضت رومانيا لأكبر كمية من الثلج سقطت عليها فى كل تاريخها وكان ارتفاع الثلج يومئذ خمسة أقدام على الأرض (١٥٠ سم) ويومها كنت مصاباً بالسل فى الرئتين والعمود الفقرى ومرضين آخرين خطيرين ، فعندما وصل البرد إلى أقصى درجاته أعطى قائد السجن أوامره أن لا يستخدم المسجون أكثر من بطانية واحدة ، فكنا نرتعش بلا توقف من البرد ، وتعطلت كل وسائل الاتصال بالسجن ولم يكن هناك طعام ليعطوه لنا ، ولا يمكن لصديق أو أحد أفراد العائله أن يأتى بطرد صغير من الطعام بسبب تساقط الثلوج لكن كان هناك مسجون وحيد من مئات المساجين هو الذى تسلم طرداً فى ذلك الوقت .

وكانت انجيلا (ومعنى اسمها بالرومانيه ملاكه) قد شقت طريقها وسط جبال الثلج لتصل للسجن وتترك لى أنا ذلك الطرد ، وكنت وقتئذ نحيفاً وأشبه بالهيكل العظمى ، فقبلت العطية التى سارعت أنجيلا لكى ما توصلها لنا ، وقد تشاركنا كمساجين فى أكلها وتعزينا لأننا شعرنا أننا لسنا وحدنا .

وعندما حضرت لى أحدى عظاتى التى ألقيتها فى هذه الرحلة إلى رومانيا ، وسألتها عن رأيها فى الخدمة ، أجابت بلا أية مقدمات « أنا لم أنتبه أو أستمع إليها كثيراً ، ولم أكن مهتمة كثيراً بما كنت تقول ، لأنه بالنسبه لى يكفينى أن أراك موجوداً وقادراً على الوعظ بعد كل ما تحملته من عذاب السجون ، فأنا أرى وجهك المشرق وأرى المحبة

المنبعثة منكما أنت وزوجتك ، فحتى لو كنت أنت قادر على ترديد البركة الرسولية بعد أن وعظ أى شخص آخر ، لكان هذا كافياً بالنسبة لى » .

اعمل اليوم ما أهملته بالأمس

كثير من قادة مجلس الكنائس العالمى ، من اللوثريين ، المعمدانيين ، المصلحين ، الخمسينيين ، الأدفنتست ، الاتحاد العالمى ، والمبشرين المشهورين فى العالم ، يذهبون فى جماعات إلى رومانيا والأقطار الشيوعية المتحررة . ولم يفكر أحدهم فى الاعتذار للمؤمنين الرومانيين لأنهم يوماً ما كانوا يمدحون الحرية الدينية فى رومانيا ، وهى لم تكن موجوده بالفعل إلا فى مخيلتهم .

ولا واحد منهم فكر فى الاعتذار على أنهم خلال سنين العذاب الخمسة والأربعين الماضيه لم يعمل أى منهم ، لا من الأسماء اللامعة ، ولا الهيئات المحلية أو الدولية أى عمل ليقدم به مساعده عملية لأسر أولئك المؤمنين الشهداء ، فبالرغم من أن اسمى كان مشهوراً فى خارج رومانيا إلا أن ابنى لم يتسلم أى قرش أو لفافه صغيره ولا خطاب يعبر فيه أحدهم عن اهتمامه به أثناء سنى سجنى . وأستطيع أن أقول أنه ولا عائلة واحدة لمسيحى مسجون تسلمت أى شىء حتى تأسست إرساليتنا المسيحية للعالم الشيوعى .

لكن كل هذا انتهى وأصبح ماضياً ، ولم أكن لأذكره ما لم يكن موقف هذه القلوب المتقسية مازال موجوداً ، وأنا أتحدى أى شخص يمكن أن يسأل قادة هذه الطوائف إن كانت كشوف حساباتهم تتضمن مبلغ خمسين دولار يتم دفعها سنوياً لعائلات المسيحيين المسجونين فى البلاد الشيوعية .

لغة العطف

عندما بدأت أخبر الغرب عن قصة الاضطهاد فى البلاد الشرقية ، اتهمت بأننى أبالغ فى ما أقول ، فالأساقفه وقادة الحملات التبشيرية الذين ذهبوا إلى روسيا ، ورومانيا والمجر كانوا قد أسرعوا وسلموا الحكام الشيوعيين لهذه البلاد شهادات تقدير تؤكد حسن سلوكهم .

وأنا نفسى سمعت واحداً من أشهر المبشرين فى الولايات المتحدة الأمريكية بعد عودته من زيارة روسيا يقول « أنه يوجد هناك حرية دينية أكثر من الحرية الدينية الموجوده فى بريطانيا » ومثل هذا الكلام قيل أيضاً عن بلدى رومانيا .

فهل كنت أنا أبالغ فيما أقول ؟ دعونى أقول أول كل شىء ، ما هو الخطأ فى المبالغة ولماذا يعترض عليها أى شخص ، اذا كانت استجابة طبيعية للأفراد الذين يتكلمون عن موضوع يشعرون بتعاطف معه ؟ فنحن نقرأ فى (مر ١ : ٥) « وخرج إليه جميع كورة اليهوديه

وأهل أورشليم واعتمدوا جميعهم منه فى نهر الأردن » فهل هذه مبالغة أم لا ؟ فأولئك الذين يضعون الآمال العظام لنصرة مملكتهم ، يرون البدايات الصغيرة لهذا النصر وكأنها أحداث كثيرة سوف تتتابع ، بالضبط كما ينظر الآب إلى ابنه الصغير .

هل تحقق وعد الرب وأصبح نسل ابراهيم كنجوم السماء ، أو كرمل البحر فى كثرة العدد ؟ فعدد النجوم ورمل البحر لا يمكن أن يحصى لكن الوعد كان كذلك ، فهل كان الله يبالغ فى ما يقول ؟ هل كانت عروس النشيد بالفعل هى أجمل النساء ، حتى تحسب الفتيات بجوارها دميمات .

إن كان الجواب لا ، فلماذا يقول العريس عنها « كالسوسنه بين الشوك ، كذلك حبيبتى بين البنات ؟ »

فأنا لا أهتم كثيراً بأن أُتهم بالمبالغه عندما أتعاطف فى كلامى عن معاناة المضطهدين ، فعندما يصرخ رجل واحد من العذاب ، أسمعه أنا أكثر من صوت واحد يصرخ ، فكل المؤمنين يعانون من ذلك الشخص المعذب ويسوع نفسه يتعذب معه ، فلِما نسمع صرخات رجل واحد ، ولا نسمع صرخات يسوع الذى يسكن فيه .

ترى كم هو عدد الذين يقاسون العذاب ؟ وما هو مقدار عذابهم ؟ هل لك أذان جيده لتسمع ؟ فعندما قتل قايين أخاه هابيل ، كان صراخه عالياً ، حتى أنه صعد من الأرض إلى أعلى السموات (تك ٤ : ١٠) فلماذا تحسبونها علىّ أن أسمع صراخ فرد واحد كأنه

صراخ جماعة كبيرة . لكننى لم أقصد أبداً أن أبالغ فى كل ما أقول ، ولا أنا متمسك بشكل معين أو طريقة معينة فى كلامى .

قال إيتشمان Eichman وهو مجرم حرب كان يحاكم فى أورشليم بسبب اشتراكه فى المذبحة البشرية وهو يدافع عن نفسه « ليس ستة مليون هم الذين قتلوا بل مليون واحد فقط هو ما قتله النازيون » . لكن بالنسبة لى ولزوجتى وقد فقدنا عائلاتنا كضحايا ولمدة المذبحة لم يكن فقط المليون الواحد يمثل لدينا مجرد مليون واحد .

فإذا ما ذكرت كل ما عُمِلَ فى المؤمنين من عذاب ، فسوف يدرك كل من يقرأ الآن حتى من الشعوب الشيوعية ، روسيا ، رومانيا ، وغيرها وسوف يعتبروننا مذنبين ليس أنا فقط بل أيضاً سوليجينيتين Solzhenitsyn ، وبوريدو وآخرين لأننا نُهوِّن من حقيقة العذاب . فحتى الآن لم أستطع أن أخبر القصة كاملة ، عن بتراشكانو Patrashcanu الشخص الذى جلب الحكم الشيوعى لرومانيا ، عُذِبَ أخيراً على أيدى أحد رفاقه بطريقة لا يمكن أن أخبر بها أحد ولا حتى زوجتى ولا يستطيع ناشر ما أن يطبع وينشر مثل هذه البذاءات العنيفة ، فلعله من الغريب أن نقف أمام صورة المسيح مصلوباً ونتأملها ، لكننا لا ولن نستطيع أن نقف لنرى عذابات أولئك القديسين .

وفى نفس الوقت ، طلبت عدة مجلات وجرائد فى أوروبا من مجلس الكنائس العالمى ، والاتحاد اللوثرى العالمى أن يعتذروا لى وأنا أعفيهم

من هذا الاعتذار ولكنى سأكون مقدراً جداً لهم إن هم إتخذوا وقفه جاده ضد الأعمال الفظيعه التى يرتكبها الشيوعيون الموجودون فى السلطة الآن ، وان ينحوا جانباً قياداتهم الذين يضلون حتى الآن ويتكلمون عن الحرية الدينية وهى غير موجوده فى البلاد الشيوعية ذات الألوية الحمراء ، ولا يعيدونهم إلى الصفوف القيادية إلا اذا تابوا عن ذلك .

وضع كئيب

بعد أن قدمت مجموعه من العظات ، دعيت فى بيوت المؤمنين لتناول الطعام ، وفى بيت أحد المؤمنين الفقراء جداً ، جهزوا لى ولزوجتى وجبة من الدجاج ، لكننا استطعنا أن ندرك من علامات الدهشة على وجوه الأطفال فى هذا البيت ، أنهم لم يأكلوا مثل هذه الوجبة من الدجاج من قبل ، فهناك مثل فى رومانيا يقول « اذا أكلت عائلة فقيرة دجاجة فلابد أنه إما أن الدجاجة أو العائلة قد أصابها المرض » ففى هذا البيت قلنا زوجتى وأنا أننا لسنا جياع ، حتى يتمكن كل من الحاضرين أن يأخذ جناحاً من الدجاجة .

وفى بعض البيوت الأخرى قدموا لنا وجبات طيبة ، لكننا اكتشفنا انهم اشتروا الأكل من السوق السوداء بأسعار خيالية وأن العائلة لابد أن تأكل القليل الذى يتبقى منا بعد أن نرحل ، حتى إن ابنائى وقد كانوا يعلمون أننا سنزور رومانيا بمده كافية قبل ذهابنا إلى هناك ،

وادخروا لنا الطعام ، ووقفوا فى طوابير طويلة لساعات كثيرة يوماً بعد الآخر ولمدة أسابيع .

ولقد حاولت أن أنفذ ما جاء بالتلمود اليهودى الذى يقول « إن كل وجبة لا يدور فيها الكلام حول كلمة الله يعد ذلك وثنيه من الآكلين » . فالعائلات هناك ليس لها الوقت لتبادل الحديث لذلك كنا نستغل الوجبات فى الحصول على الطعام الروحى والجسدى ، وكنا نقول أيضاً بعض الدعابات .

فقال أحد الأعضاء السابقين للحزب الشيوعى إنه فى القديم كان على من يرغب فى الانضمام إلى الحزب أن يحصل على شهادة من عضوين سابقين فى الحزب ، يوصيان بقبوله فى الحزب ، أما الآن فإن شهادة طبية من طبيب أمراض نفسية يقول فيها أنك مجنون تكون كافية لقبول العضويه بالحزب الشيوعى .

وكان هناك فرح عظيم وسعادة نشعر بها ونحن نتناول الطعام بالرغم من الفقر المدقع . لكن الوضع عامة كان كئيباً فليس هناك آية بارقة للأمل لتحسن الأوضاع فى المستقبل ، فأنا أعرف المؤشرات ، ففى الربع الأول من سنة ١٩٩٠ تناقصت القوى الانتاجية والانتاج المحلى بنسبة ٤٢٪ بالمقارنة بالسنة السابقة لها . وتجمدت التجارة الدولية وليس هناك رؤوس أموال جديدة لتحسين الاقتصاد . وكل الخطط الاقتصادية والمجتمعية قد ذهبت أدراج الرياح ، ولعدم وجود المواد الخام تعطلت كثير من المصانع ، ومع أنه يُسمح الآن بالملكية الخاصة

وعمل مشروعات خاصة ، إلا انه لا توجد رؤوس أموال لذلك ، ولا توجد بضائع تكفى حتى دكان صغير .

إن التحول من الرأسمالية إلى الشيوعية أمر سهل ، فببساطة يمكنك أن تدمر كل ما عمله من سبق فى السلطة ، لكن التحول من الشيوعية إلى الرأسمالية وإلى نظام السوق الحرة ، لا يمكن أن يحدث بسهولة ، فهل ينجح ذلك فى رومانيا ؟ فلكى يتم خلق أو إعادة خلق سوق حره ، لابد من توافر رأس المال فمعروف فى التاريخ أن الرأسمالية بدأت فى أوروبا بسبب اكتشاف كمية الذهب الضخمة فى أراضى أمريكا .

الرأسماليه والشيوعيه

كانت هناك مناقشات روحية ونحن نتناول الطعام ، وكان هناك أيضاً الترنيم والدعابات لكن على المستوى المعيشى ، لم يكن هناك أمل ملموس فى المستقبل القريب فيما يتعلق بالأوضاع المعيشية لرومانيا ، ومن منطلق خبراتهم المريرة مع الإقتصاديات الإشتراكية كان لابد للمسيحيين فى رومانيا أن يحددوا موقفهم من الصراع بين الرأسمالية والشيوعية ، فالأشرار لا يستطيعون أن يقيموا نظاماً اشتراكياً صالحاً .

وكل الأنظمة من العبودية ، والاقطاعية ، والرأسمالية ، والشيوعية ، كلها تلطخت بالخطية ، وعلى أى حال فإن التمييز السليم

بين الأنظمة لا يكون بين ما هو حسن وسيء ، بل ما هو حسن وأحسن ، أو بين ما هو سيء وأسوأ .

ولاشك فى أنه من بين الأنظمة الاجتماعية التى اخترعها الانسان حتى الآن يتميز النظام الشيوعى بكل تأكيد بأنه أسؤها على الاطلاق . فمنذ ١٥٠ سنه مضت كان كارل ماركس يثق بأن الرأسمالية لابد أن تهلك سريعاً . ومنذ ٧٠ سنه كان لينين يؤمن بأن النصر القريب لابد أن يكون للثورة الشيوعية ، وكان الحزن الأعظم عندئذ والذى ساد الولايات المتحدة فى الثلاثينيات ، يعتبر مؤشر على موت الرأسمالية وإنتهائها . لكن الأمر لم يكن كذلك ، فاليوم الرأسمالية تتمتع بحيوية كبيرة ، بينما الشيوعية مريضه .

وقد ثبت أن الرأسماليه هى النظام الوحيد للانتاج الذى يضمن تطور الطرق التكنيكية فى الأداء والذى يؤدى بدوره إلى رفع المستوى المعيشى للجماهير . ففى ظل الرأسمالية ، تتعاقب فترات من الأزمات والرخاء ، وهذا ما يؤكده تطور المهارات الفنية فى الرأسمالية ، والاكتشافات الجديده التى تؤدى إلى تكوين فروع جديدة لانعاش الاقتصاد ، والتنافس على الانتاج يؤكد أن المنتجات لابد وأن يقل أسعارها بمرور الوقت ، فيزداد عدد المستهلكين وتخلق مشروعات جديده فتتزايد معها فرص العمل ، أما البطالة التى تعانى منها الدول الرأسمالية ترجع إلى أن طالبى العمل لا يؤهلون أنفسهم له بالقدر الكافى ، وعموماً فبالنسبة لأولئك الذين يرغبون فى العمل وعلى

استعداد له ليست مشكلة كبيرة أمامهم أن يجدوا عملاً فى ظل الرأسمالية .

لكن فى ظل الاشتراكية فعلى النقيض تماماً فليس هناك فترات ازدهار تستمر لمدة طويلة ، فلا يهتم أحد باستثمار رأس ماله لأن كل عائدها تقريباً يذهب إلى الولاية أو المقاطعة التى تعيش فيها ، فالجرثومة السياسية (أى الولاية ــ أو المحافظة) هى التى تقرر نوع المصانع الذى لابد أن يبنى وكيف توزع منتجاته ، ولا تعطى أى درجه من الملاحظة للبضائع فترى أن معظم منافذ البيع خالية من البضائع تقريباً .

والسياسيون هم الذين يضعون مقدار المرتبات للناس ، ولعل رومانيا تعطى مثلاً مريراً لهذه الحالة ، فاثناء المعركة الانتخابية التى قامت فى يونيو سنة ١٩٩٠ ، أعلنت الحكومه أنها ستزيد المرتبات بمقدار ٥٠٪ فى كثير من القطاعات ، وحيث أن كل المشروعات الانتاجية خاضعة للولاية ، إذاً فمن السهل أن ترفع الحكومة المرتبات ، لكن بعد الانتخابات أعلنت نفس الحكومة التى رفعت المرتبات لتفوز فى الانتخابات أنه لن يحصل أى عامل فى الصناعة على مرتب ثابت بل أنه سيتغير بتغير الانتاج ، وبالطبع حيث أنه لا يوجد رأس مال يساعد على الانتاجية ، ولا قطع غيار لإصلاح حتى الأعطال البسيطة والملحة للآلات الانتاجية لذا فإن الصناعة تعرج والعمال أصبحوا معوقين عن العمل .

حتى علامات التحذير حول الهيكل الاقتصادى للبلد لا يزعج اللجان المخططة ، فهم المديرون المنتفعون فى كل الأحوال ، وليس لدى أعضاء هذه اللجان آية دوافع لما يمكن عمله لاصلاح الاقتصاد ، فهم يحصلون على دخول معتدلة وثابتة بغض النظر عن نجاح خططهم الاقتصادية أوفشلها لكن الرأسماليين فى الجانب الآخر ، فهم يتفاعلون بسرعه مع المؤشرات الاقتصادية لأن رؤوس أموالهم سيصيبها الضرر ، فاما أن يصبحوا مليونيرات وأما أن يخسروا كل شيء ، فالحافز المادى يمنع ضمور الاقتصاد الرأسمالى ، ولكن فى ظل الشيوعيه فإن المشروعات القديمه الباليه لابد أن تستمر فى العمل حتى ولو لم تكن تأتى بأى أرباح ، لذا جاءت نهاية الشيوعية فى كثير من البلدان دون القيام بثورة ما ضدها فيما عدا رومانيا ، ففى هنجاريا ، تشيكوسلوفاكيا ، بولندا ، ألمانيا الشرقيه وروسيا ، ماتت الشيوعية موتاً طبيعياً لأنها ببساطة لم تعد صالحة للاستخدام .

وللرأسماليه أيضاً نقط ضعفها المخيفة ، لكنها على أى حال هى أفضل نظام عرفه البشر لذلك فالمسيحيين ينبغى أن يفضلوا هذا النظام عن أى نظام آخر أسوأ منه أى الاقتصاد الماركسى . فالأمم التى ذاقت النظام الشيوعى يبدون نفوراً شديداً منه ، ففى رومانيا كما فى الدول الشيوعية الشرقية المجاوره لها ، أنزل الناس تمثال ماركس ولينين وستالين بحبالٍ قوية وبقوى بشرية هائلة ، وكانت ثورتهم عارمة ضد الآلهه الذين جثموا على صدورهم . « كحلم عند التيقظ يا رب ،

عند التيقظ تحتقر خيالهم » (مز ٧٣ : ٢٠) والآن لم تعد هناك صوره واحدة لشاوشيسكو بعد أن كانت صوره تملأ كل مكان فى رومانيا .

شبح المجاعة

المسيحيون فى رومانيا مثلهم كباقى مواطنى رومانيا ليس لديهم إلا القليل من الوقت الآن ليفكروا فى القضايا المجتمعية والروحية الكبيرة ، فمحاولة الحصول على القوت اليومى من الخبز تستنزف قوة أكبر من قوة الانسان الطبيعى ، وهنا خطر أسوأ يتهدد كل الدول الأوروبية الشيوعية وبخاصة رومانيا التى تم استبعادها من المساعدات الأمريكية ومنظمة الدول الأوروبية حتى أصحاب رؤوس الأموال تحاشوا أستثمار رؤوس أموالهم بسبب الروتين وعدم الاستقرار .

وهناك انتشار مخيف للتضخم السلعى ، فازدادت أسعار الاحتياجات الأساسية للفرد ، وقلت الدخول ، وهناك بطالة ظاهرة ومقنعة ومع أنه لا يوجد انتاج فإن هناك عدد غير كافى من المصانع لايزال يعمل بخطط غير مقنعة من المخططين الموالين للمحافظات والتى لابد أن تنهار . وليس هناك تشريع خاص يحمى أولئك العاطلين عن العمل ، وقد مضى وقت طويل على المؤسسات الخيرية وهى مغلقة .

وفى نفس الوقت يزحف شبح المجاعة على كل رمانيا ، ففى الشتاء

لا توجد طاقة كافية للتسخين والتدفئة ، والأطفال الذين يأكلون فى بطون دافئه يولدون إلى حجرات بارده فى مستشفيات تجلب لهم الأمراض وفى جارتنا هنغاريا ــ وهو قطر شيوعى أيضاً سابقاً ــ سُمِحَ للأم تريزا من كلكتا أن تفتح مطبخاً خاصاً لعمل الشوربة لتوزيعه على المواطنين لكن لم يسمح لها فى رومانيا .

وهكذا فإن القادة الاقتصاديين المتخصصين فى الاقتصاد والصناعة قد استبعدوا لأن الناس جميعاً هناك يكرهون الشيوعيون ، بل أكثر من ذلك فإن بعض الشيوعيين القدامى فى الحكومه يضحون برفقائهم ويضعونهم فى فخاخ المجرمين .

والنتيجة فإن الاقتصاد فى رومانيا يواجه بمصاعب جمة ، ولم يعد جمع المحصولات الزراعية كافياً للقوت الضرورى ، فلا أحد يهتم بالعمل من أجله ، فمن ذا الذى يمتلك رأس المال والآلات فى المزارع الفردية ، الحكومة بالطبع حتى أن الفلاحين القدامى يرفضون أن تعود لهم أراضيهم التى سُلِبَتْ منهم ، لأنهم لا يثقون فى الشيوعيين ، فالفلاحون الرومانيون كانوا يمتلكون الأرض فى يومٍ من الأيام ، لكن الشيوعيين سرقوها منهم ، لذلك ضُربت الزراعة ، وما الذى يضمن للفلاحين مع وجود الشيوعيون فى السلطة الآن ــ أنهم بعد أن يصبحوا قوه إنتاجيه مرة أخرى كما كانوا من قبل ، انه لن يؤخذ منهم كل شيء ، كما حدث سابقاً ، ترى من يستطيع أن يدبر أمر هروبه من رومانيا ، ليس فقط الألمان ، والهنغاريين ، أو الأقليات اليهودية

بل أيضاً الرومانيين الأصليين . لكن أين هى الدولة التى لديها الاستعداد أن تقبل الملايين الذين يأملون أن يفروا من المعسكر الشرقى . والحقيقة أنه لا يوجد غير المسيحيين فقط هم الذين يعرفون ماذا يريدون أن يعملوا .

فالمؤمنون هم فقط الذين يعرفون ماذا يفعلون بالضبط حتى فى أسوأ الأحوال فعندما لا يعرف المرء ماذا يعمل فأنه لا يعمل شيء ، لكن بالصبر والثقه يمكن أن يدع الله يهتم به وهو يعرف الله حتى فى مواقف أسوأ من هذه .

لم ينته كل شيء بعد

عندما تولى الشيوعيون السلطة ، كانت رومانيا تتكون فى معظمها من ممتلكات خاصة للفلاحين ، لكن الأرض قد أممها الشيوعيون ، الذين كانت تحركهم تعاليم لينين الذى كان ينادى « نحن سندخل الملكية الجماعية للأرض ، وليس القهر والخوف مع أن الثورات لا يمكن أن تتم إلا بالقهر والبطش ، لكن من حق الطبقة العاملة أيضاً ان تستخدم هذه الأرض حتى تتأكد من أنها تتمم ارادتها » .

وقال تروتسكى Trotsky « إن القرويين الشيوعيين يشبهون تحالف المليونيرات الأمريكيين فلا فرق بينهم ، وإن كنا لا نستطيع أن نصل إلى ما وصلت إليه أمريكا ، لكننا نستطيع أن نضعف هؤلاء

المليونيرات بفرساننا ودباباتنا وسيوفنا » .

أما بخارين Bukharin وهو قائد آخر ومن أصحاب النظريات الشيوعية فقال « إن حزبنا (الشيوعى) هو أكثر المؤسسات العسكرية تنظيماً على الإطلاق » .

نعم فهذا صحيح ففى رومانيا تصرف الشيوعيون بطريقه عسكرية وتحت تهديد السلاح عندما أرادوا أن ينتزعوا كل ما يمتلكه الفلاحون هناك ، من حقول ، أغنام ، ماشية ، خيول ، أدوات زراعية ، حتى أثاث بيوتهم ، وأصبح كل فلاح صغير عبداً لدى حكام ولايته يعمل من أجل الفتات فى حقل ليس ملكه . وكان شاوشيسكو أحد المخططين الأساسين الأوائل الذين خططوا لعملية التأميم هذه .

ففى مقاطعة دوبرجوى Dobrogea نفذ ذلك فى منتهى البساطة عندما جمع كل الفلاحين معاً فى ميدان عام ، وطلب منهم أن يعلنوا تخليهم عن ممتلكاتهم الشخصية بمحض ارادتهم وسألهم من يوافق على ذلك ، فلم يرفع أحد يده بالموافقة ، فأطلق الرصاص بنفسه على عشرة منهم ، ثم سألهم نفس السؤال مرة أخرى فوافق الجميع عن التخلى عن ممتلكاتهم (باختيارهم !!) ، ثم عزفت الموسيقى العسكرية وأجبر الفلاحون أن يرقصوا على أنغام الموسيقى وإمعاناً فى إيزائهم تم تصوير فيلم سينمائى لهم يصورون فيه تأييد الفلاحين المطلق للشيوعية .

ومن هنا إنهار قطاع الزراعة فى رومانيا ، وأصبح الفلاحون يقفون

فى طوابير طويلة للحصول على الخبز ولا يجدونه بعد أن كان الانتاج الزراعى فى رومانيا كافياً لاطعام كل دول أوروبا الغربية واليوم تقابلت مع أحد الفلاحين الذين رآنى فى الماضى إثر عملية التأميم لحقله ، يومها قال لى « هم (الشيوعيون) يظنون أنهم أخذوا منا كل شيء ، لكنى قلت لعائلتى إنهم تركوا شيئاً مهماً للغاية ، وقد كتب الترانيم التى رنمنا منها » .

فجلسنا معاً ورنمنا ترنيمة تقول (مجداً للرب) .

وتذكرت أولئك « الذين قبلوا سلب أموالهم بفرح ، عالمين أن لهم فى السماء مالاً أفضل » (عب ١٠ : ٣٤) . وعانقت هذا الفلاح اليوم مرةً أخرى مختبراً فرحاً عميقاً لم أختبره مرات عديدة فى حياتى .

يسمعون عظاتى مرة ثانيه

لعل واحداً من أهم جوانب زيارتى لرومانيا ، هو مقابلتى مع بعض الأخوه الذين قالوا إنهم يسمعوننى أعظ من ثلاثين أو أربعين أو حتى خمسين سنة مضت ، وعندما يقول لى أحدهم أنه سمع لى عظة من قبل دائماً أسأله « وماذا كنت أقول » فأنا أؤمن أن السماع لعظة ما هو حدث ممتد مستمر يغير الحياة إما للأحسن أو للأسوأ ولا ينبغى على الواعظ أن يتكلم فقط عن المسيح بل أن يتقمص شخصية المسيح ذاته ، فالممثل على المسرح لا يتكلم عن هاملت أو روميو ، بل يصور نفس شخصية هاملت أو روميو ويقوم بكل دوره ، وفى ساعات

التمثيلية تختفى شخصية الممثل كاملة فيتكلم بالضبط كما يتكلم روميو إذا ما قابل جولييت ، وهكذا لابد أن يكون الخادم ليس فقط بكلماته بل بحركاته واشاراته ، بتعبيرات وجهه ، بمظهره ، بنغمة صوته ، بنور الروح القدس الذى يشع من خلاله ، لابد أن يحمل تأكيد كلماته عندما يقول « عندى مقابلة مع يسوع اليوم فهو سيتكلم من خلالى » ، وأنا شخصياً سمعت خدمة لأحد الأساقفة منذ خمسين عاماً ولازلت أتذكر ايماءاته حتى الآن .

عندما أصبحت واعظاً كنت آخذ الكلمات الوارده فى (١كو ٩ : ٢٤) اركضوا لتأخذوا الجعاله مأخذ الجد وهذا بالطبع ممكن اذا سبقت أنا كل الذين يركضون معى ، لذلك كنت أقرأ عظات لعظام الوعاظ ، واستمع لأحسن المواعظ فى مختلف الطوائف فى رومانيا ، وتولدت عندى الرغبة ، فى أن أصل إلى مستواهم ، وإن أمكن أتفوق عليهم أيضاً ، ورغم أننى لم أصل إلى المستوى الذى كنت أتمناه ، ولم أصبح واعظاً قديراً (إلا أننى لازلت متمسكاً بهذا الأمل — عمرى ٨٣ سنه فقط) لكننى أحاول أن أكتشف ما حققته فى حياتى ، لذلك كنت أسأل أولئك الذين قالوا إنهم سمعونى أعظ من نصف قرن مضى سؤالى التقليدى (وماذا كنت أقول) والبعض منهم أخبرنى بما كنت أعظ به .

الأسطوره

بدأت عظة من عظاتى بأسطوره جورون Gorun وكان تلميذاً

محبوباً لسيده ، وتقول الأسطوره إن المسيح قال له « لقد وجدت فيك كثيراً من الأمور الحسنه ، لذلك أريدك أن تنصب لك خيمه على جبل الكرمل وتقضى وقتاً فى التأمل والصلاة » ففعل ذلك ، وحالاً انتشر الخبر لكل الكورة المحيطة بهذا القديس الصغير ، حيث أقام فى الجبل ، ويوماً ما نزل جورون من الجبل إلى أقرب القرى إليه وسأل أحد الفلاحين هناك « من فضلك أعطنى بطانية » « غطاء » لأن الفئران قد أكلت بطانيتى القديمه وأصبحت رائحتها كريهه [وقد اختبرت أنا ذلك فى سجنى] لذلك لا أستطيع أن أنام .

فأعطاه الفلاحون بسرور كل ما طلبه ، لكنه عاد ليسأل غطاء آخر بعد أيام قليله لأن الفئران أكلت أيضاً الغطاء الثانى ، وفى الحال أجيب لطلبه ، وتكرر هذا مرات كثيره ، وأخيراً قال له أحدهم « الأفضل أن نعطى لك قطه لتأكل الفئران وتحل مشكلتك بطريقه أفضل » .

فرجع جورون مسروراً لخيمته ، فالآن استطاع أن يسيطر على الفئران ، لكنه عاد إلى القرية بعد أيام قليلة يطلب لبناً للقطة ، فأعطاه الفلاحون اللبن بسرور ولكنه كان يطلب اللبن كثيراً فالإحتياج له مستمر ، لذلك أعطاه الفلاحون بقره فعاد يطلب شىء من الأكل أو البرسيم لتأكل البقرة ، فقرر الفلاحون أن يعطوه قطعه من المرعى حتى يشتركوا فى سد احتياجاته المستقبليه لاطعام البقرة .

ثم عاد إليهم مرةً أخرى فهو لم يتعود أن يعتنى بالأرض والحيوانات

ولا يعرف كيف يعمل ذلك ، لذلك أعطاه الفلاحون إثنان من العمال ليساعدوه ، ثم احتاج إلى طوب ومواد للبناء ليبنى بيتاً لهذان العاملان ، ثم ولدت البقرة عجلاً ... وهكذا توالت الأمور ...

ومرت السنون وذهب يسوع ليرى تلميذه المحبوب ، فحياه رجل سمين وسأله « أى احتياج أتى بك إلى هنا ، ماذا تريد أن تشترى منى » ولم يعد هذا التاجر الماهر يلاحظ أن سيده هو المتحدث معه . ولقد تعلمت من هذه الأسطورة ، أنه لا ينبغى أن نترك مسافه بيننا وبين يسوع ولا حتى رمية حجر ، فحتى فى هذه المسافة البسيطة ، نام التلاميذ فى الوقت الذى كان المسيح يصارع فيه فى جثيمانى ، لا تعمل إلا ما تشعر أن يسوع يقف بجانبك فى عمله ويثبت ذلك بالآيات التابعة (مر ١٦ : ٢٠)

كما يعمل فى كل أعمالك الروحية ، وإن لم يكن يعمل ذلك فى حياتك فتخل عن مشروعاتك كلها .

لا تترك المسيح حتى لتقضى فرصه فى التأملات المقدسة أو تعمل أعمالاً مرسليه عظيمه فأن تنام بهدوء على صدره كما كان يفعل الرسول يوحنا هذا أفضل من كل نجاح يصادفك حتى فى خدمته فكل من اتكأ على صدره مرة واحدة ، لا يمكن أن يجد الفرح الكامل فى أى مكان آخر .

قال يسوع أول الوصايا هى هذه « اسمع يا إسرائيل » (مر ١٢ : ٢٩) ، هنا دقات قلبى المحب وكل شىء بعد ذلك يأتى من هناك .

فلا ينبغى أن نفضل أى شىء على التفاتة المحبه ، لذلك الذى يقودنا إلى الحياة الأبدية ، فهناك عمق خاص يحتاجه التخلى عن كل شىء آخر سواه ، فالشيطان يستطيع أن ينهى حياة متعبد على جبل الكرمل ، لكنه لا يستطيع أن يبعد شخص عن صدر المسيح المحب .

وطوبى لذلك الانسان الذى يستطيع أن يؤدى عمله الانسانى ويقوم بخدمة الكنيسة فى عمل منظور منظم ، لكنه فى نفس الوقت يكون متكئاً على صدره . وإذا لم يكن يستطيع أن يعمل الاثنين فليتخل عن خدمته ، لكن لا يتخلى عن شغفه بالمسيح . وقد أعاد على مسامعى أحد الأخوه الذين قارب عمرهم على الثمانين عاماً هذه العظه التى ألقيتها منذ ٥٠ عاماً ، والحقيقه أنا لا أتذكر أننى قرأت أو سمعت أسطورة جورنو من قبل ، لكن الأخ قال لى إننى قلتها فى أحدى عظاتى فربما أكون أنا مؤلف هذه الأسطوره ، وعلى كل حال فالأساطير قد تكون ثياب جيدة لاظهار الحقائق .

عد الثوانى التى تمر عليك

لقد ذكرنى شخص آخر بعظة لى ألقيتها منذ ٣٠ عاماً مضت من مزمور ٩٠ : ١٢ وفى هذه المرة أيضاً بدأت عظتى بقصه (العظات التى تخلو من الأمثله التوضيحية قد لا يمكن تذكرها فيما بعد) .

اضطر إنسان ما أن يذهب سيراً على الأقدام فى منتصف الليل إلى

قرية بعيده عنه وكانت الرحلة رتيبة ومملة وخاصة لأنها كانت فى الظلام وبالجهد كان يحاول أن يرى الطريق أمامه ، وفجأة تعثر بشىء فى طريقه ، وانحنى ليجد حقيبه مليئه بالحصى ولكى ما يسلى نفسه كان من حين لآخر يلقى بأحدى هذه الأحجار فى النهر الذى كان يسير بحافته ، وكان صوت وقوع الحصى (بلتش ، بلتش) فى الماء تسليه لا ضرر منها . وعندما وصل إلى المكان الذى كان يقصده ، لم يبق معه سوى إثنين منها فقط . وفى ضوء البيت الذى دخله نظر إلى الحصى واذ هو قطع من الماس ، نعم لقد أضاع وبدد حظه .

إن أيامنا تتكون من ثوانٍ فهناك ٣٢ مليون ثانية فى السنه ، أى أن الانسان الذى يعيش ثلاثين عاماً يصبح مسئولاً عن بليون ثانية فى حياته فكل ثانية تأتى إليه من الله كهبة لكى نستخدمها فى خدمته ، وإن لم نستخدمها فإنها تعود حزينة إلى الله وتخبره أننا أهملنا عطيته الغالية .

ثم أخبرت السامعين فى عظتى عن جنرال كان بالجيش الملكى سابقاً ، كنت معه فى أحد السجون فى رومانيا ، كان هذا الضابط مريضاً جداً ، وعندما تحدثت إليه عن الله ، لم يبد أى اهتمام بذلك ، وجاءت ساعته الأخيرة ، وطلب أن يأتيه أحد الكهنه وكان هناك عدد كبير من الكهنه فى هذا السجن لكن وقتاً كبيراً مر قبل أن يتمكنوا من استدعاء أحدهم من زنزانة مجاورة والذى عندما جاء كان الجنرال لا يستطيع أن يتكلم أو يعترف بخطاياه ، فأعطاه الكاهن

العشاء الربانى ، لكنه لم يستطع أن يبلع الخبز ، فمات دون أن يتعرف على الله كمخلصه فقد عرف وقدر قيمة الكنز عندما لم يبق فيه سوى ماسه واحدة فقط .

وتكلمت عن كيفية استخدام يسوع للثوان التى كانت لديه وهو على الأرض ، فحتى عندما كان على الصليب طلب المغفرة لأجل صالبيه ، وأعطى الخلاص للص التائب ، قال كلمات طيبة لأمه القديسة العذراء ولتلميذه الحبيب ، وأكدَّ أن كل ما يحتاجه أمر خلاصنا قد أكمل ، ثم رفع صلاة واثقة إلى الله (يا ابتاه فى يديك استودع روحى) حتى فى هذه الحالة البشعة لم تضع الدقائق أو الثوانى منه .

ليتك تستخدم وقتك بكيفية جيدة ، لأن الوقت هو أثمن سلعة فى الوجود . فيمكنك أن تستعيد المال المفقود ، لكنك لا تستطيع أن تستعيد الوقت الضائع . استخدم وقتك فى خدمة الرب .

الأعمال الماديه تتصل بالروح

زرت اوراديا Oradea المدينة التى توجد بها أكبر كنائس انجيلية فى رومانيا ، وهى كنيسة معمدانية يرعاها د . جيورجيتزا والراعى نيجروتز ، عدد أعضائها ٢,٥٠٠ ، وكنيسة خمسينية بها ٢٠٠٠ عضواً ، ورغم أن المقام لا يتسع لذكر كل الأمور التى وعظت عنها

فى هاتين الكنيستين ، لكنى سأذكر واحداً من الإعلانات الروحية التى أذهلت المستعمين .

كان شاوشيسكو مكروهاً من الشعب كله ، فلم أسمع أبدا كلمة طيبة قيلت عنه ، فالكل يتكلم عن شروره ماعدا المسيحيين الذين تعلموا من رئيس الملائكة ميخائيل أن لا يجرؤوا أن يصدروا حكم إفتراء حتى على أحد الأشرار (يهوذا : ٩) . أما نحن فعادةً نتهم الناس بسهولة حتى الأموات منهم (احذر لا تقل كلمة ردية عن أحد الأموات ، لأنهم إن كانوا هالكين ، فإن لديهم ما يكفيهم من الآلام ، فلا تزيدها أنت) .

والآن فإن الحاضرين بالكنيسة كانوا متحفزين لسماع رسالتى ، وعيونهم مثبتة علىّ ، وكنت أتكلم من (يو ٢٠ : ٢٢ ، ٢٣) « فنفخ فيهم يسوع ، وقال لهم اقبلوا الروح القدس ، إن غفرتم للناس زلاتهم تغفر لهم » . (عملاً مادياً ، نوعية معينة من النفخ) وأضفت وهذا العمل المادى يستخدمه الروح القدس ، ففى الرسامة هناك عمل مادى آخر ، وضع الأيدى ، تعمل مع مواهب الروح القدس .

فإن الأجسام يمكن أن تصبح أداة الروح ، التى يمكن أن تتصل ليس فقط عن طريق الكلمات لكن عن طريق تشابك الأيدى بحرارة ، أو نظرة محبة ، أو وجه يعبر عن الصلاح والفهم ، أو قبلة مقدسة ، فالانسان الروحى لابد أن يكون كذلك ليس فقط من خلال الكلمات بل بكل كيانه .

أنا دافعت عن شاوشيسكو

ثم أضفت نقطة ثانية ، لحالة الذهول التى كان فيها مستمعىَّ ، « لماذا أعطى يسوع الروح للتلاميذ » لقد أجاب هو هذا السؤال ، لكى تقدروا أن تغفروا للناس خطاياهم أو تمسكوها عليهم .

إننى متأسف جداً لعدم وجودى فى رومانيا أثناء حكم شاوشيسكو ، فكنت أتمنى أن أتطوع للدفاع عنه ، [وهنا كان من الواضح أن المستمعين لم يكونوا يصدقون آذانهم ، فقد أشيع عنى أننى عدو شرس للشيوعية ، لأننى قاومت الشيوعية حتى عندما كان البعض من أفضل الرعاة فى رومانيا يحاولون أن يجدوا نقط اتفاق بين إيمانهم والشيوعية] .

فهل أدافع أنا عن شاوشيسكو ؟ وبعيداً عن هذا السؤال ، فإنه ليس فقط أنه هو وزوجته قد أعدموا وقتلوا لإرضاء الناس ، بل أيضاً أولاده وإخوته وأنسباؤه كانوا فى السجن ، حتى أنها أصبحت جريمه أن يحمل أحد إسم شاوشيسكو .

ثم استطردت فى الشرح « لقد كنت فى السجن مع أحد الضباط السابقين فى البوليس برتبة عميد أثناء الحكم الفاشستى ، وكان محكوماً عليه بالسجن لمدة عشرين سنه ، وإدعى انه مسيحى ، وكان يرسم علامة الصليب تبركاً بها مرات عديدة ، ويصلى لله ، وللعذراء ولمجموعة من القديسين الآخرين .

ولقد حكم على هذا الضابط لأنه قبض على صبى فى الرابعه عشر من عمره ، كان يقوم بتوزيع نشرات شيوعية ، وكان هذا ممنوعاً فى وقتها أثناء الحرب بين رومانيا والاتحاد السوفيتى فى الأربعينات ، وكان هذا الصبى عضواً فى منظمة إلحادية وهى (الشبيبة الشيوعية) ياله من حدث يقوم به أحد المسيحيين فلقد كان على هذا الضابط أن يجلس مع هذا الصبى وينتهز الفرصة ليريه بمحبة مدى خطأه ويوجهه إلى طريق أفضل ، طريق المسيح . لكنه بدلاً من ذلك ضرب هذا الضابط الصبى بوحشية ، ضربه بكل أنواع السياط التى عنده ، فقوى فى الصبى الاقتناع بالإلحاديه وثبت واكدَّ كراهيته لله .

أما إسم ذلك الصبى فهو نيكولاى شاوشيسكو ، واحد من أكبر المجرمين فى التاريخ ــ هتلر ، ستالين ، لينين ، ماركس ، كل هؤلاء كان لهم شركة وعلاقة مع مسيحيين لم يستخدموا أو يستفيدوا جيداً من الأحداث والفرص التى كانت بين أيديهم .

وفى لحظة ما القى الحراس فى الزنزانة التى كنت مسجوناً بها كاهناً كاثوليكياً بعد أن تلقى ضربات قاسية وكان الدم يسيل منه فغسلنا جراحه على قدر ما استطعنا وأعطيناه ماء ليشرب ، وعندما رجع إلى نفسه سألته « هل يمكن أن تصلى مثل يسوع ؟ » « يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعرفون ماذا يفعلون ؟ » أجاب الكاهن « لا » ، يسوع يستطيع ولكننى أنا لا أستطيع ، فإن صلاتى ينبغى أن تكون « يا أبتاه أغفر لى ولهم » لأننى لو كنت كاهناً أفضل مما أنا عليه ، فلربما لم

يصبحوا هم معذبين .

كنت أتمنى لو أستطعت أن أقول كل هذا للمحكمة التى حكمت على شاوشيسكو ، ثم أكملت عظتى قائلاً « احكم على نفسك ، هل لك أنت أيضاً جزءاً شاركتهم فيه جرائمهم ، ثم تحديت المستمعين ، أحكم على نفسك واسأل نفسك هل عملت أقصى ما يمكن أن تعمله لكى ما تشارك الشيوعيين بالاخبار السارة عن يسوع لتعيدهم عن طرقهم الردية .

ففى ١٩١٨ قتل الشيوعيون الروس القيصر نيكولاى الثانى ، وزوجته وبناته الأربعة وابنه الأمير المتوج ، وكان عمره ١٢ عاماً ، مع كل خدمهم ، وبعد قتلهم وجدوا فى البيت قصيده بقلم الأميره أولجا وكان عمرها ١٥ عاماً تقول فيها

على أعتاب القبر
ضع على شفاه خدامك
قوه تفوق الطبيعة البشرية ليصلوا باتضاع
لأعدائنا

وهذه الكلمات كنت أريد أن اقتبسها للقضاة الذين حكموا على شاوشيسكو لعلنا نتعلم جميعاً فن الغفران . وعندها رأيت دموعاً فى عيون كثير من الحاضرين .

جورباتشوف ، يتذكر شاوشيسكو كثيراً

من الواضح أننى لم أتمكن أن أظهر للمحكمه للدفاع عن شاوشيسكو ، فهو وزوجته إيلينا حكم عليهم بالاعدام ، ونفذ الحكم فيهما ، أما هو فقد عذبوه بوحشية لكى يعلن عن المكان الذى أودع فيه فى الخارج الملايين التى سرقها من رومانيا ، وقيل أنه مات بأزمة قلبية أثناء التعذيب ثم أطلقوا الرصاص على جثته وعرضوها على التليفزيون للعامة .

ولقد أرعب موت شاوشيسكو بقية الديكتاتورات الشيوعيين واتباعهم حتى أن رئيس المحكمه التى حكمت على شاوشيسكو مات منتحراً بعد أسبوع واحد من صدور الحكم هذا . وفى ألمانيا الشرقيه ، انتحر سبعه من جنرالات البوليس السرى هناك (Stasi) ، هذه حقائق معروفة ، ولا يعلم أحدكم من أمثالهم قد انتحر ، وهكذا حدثت حالات انتحار كثيره بين ضباط البوليس السرى السوفيتى .

فى ١٥ يوليو أعلنت إحدى المجلات الروسيه جودوك Gudok فى عرض فى موسكو ضم ٤٠٠,٠٠٠ أربعمائة ألف من الحضور ، إن هناك لافتات تحمل رسالة لم يكن المرء يصدقها اذا أعلنت منذ عام مضى ، كانت هذه اللافتات تحمل شعارات مثل « ليسقط الحزب الشيوعى » « ليسقط البوليس السرى » « الحزب الشيوعى يتكون من بلطجية ومخادعين » ، وغيرهم . لكن أغرب شعار أو نداء كان يقول

« جورباتشوف ، تذكر شاوشيسكو كثيراً » .
وقال أحد أعضاء مجلس السوفيت الأعلى ويدعى (مواتشوف) فى خطابٍ له نحن لا نريد إعادة بناء (بروسترويكا) للشيوعية ، ولا تشكيل جديد ، أو تغيير لها .

فلابد أن تهلك الشيوعيه وتنتهى ، فلقد فعل الرومانيون حسناً مع شاوشيسكو أما الجنرال أوليج كالجان وهو أحد ضباط البوليس السرى الذين انضموا لصفوف المعارضين لجورباتشوف فقد أعلن أنه أصبح ديمقراطياً ، ولكن لم يصدقه المعارضون وطلبوا منه أن يعدد لهم الجرائم التى ارتكبها فى تاريخه الوظيفى ، حتى سمح له بأن يرتقى لرتبة جنرال ، وفى حديث صحفى عنه قيل أنه من المرجح أن يكون مصير شاوشيسكو هو الذى حَوِّله هو وآخرين إلى جانب الديمقراطيين .

وما حدث لشاوشيسكو أرعب أيضاً كثير من الديكتاتوريين ، الذين بدأوا إتخاذ خطوات للوفاق مع شعوبهم ، لذا فإن دماء الرومانيين التى سفكت لأجل الحرية من شهداء الثوره أصبح لها تأثيراً واسع الانتشار .

هل نحن فى حاجه إلى ديانتين

فى أوراديا كانت لى واحدة من أكبر المعارك التى أتذكرها ، فقد تقابلت مع زميلى فى السجن سابقاً القس فيسكى ، والقس سيزوك

وآخرين من جماعة بيت عنيا ، وهم يمثلون حركه انتعاشية داخل الكنيسة المصلحة التى تضم المتكلمين باللغة الهنغارية ، وقد ضمت زنزانة واحدة عدد كبير من أعضاء هذه الجماعة بالاضافة إلى طلبة بكليات اللاهوت وبعض الرعاة وأيضاً مجموعة من الكهنة الأرثوذكس والكاثوليك كانوا حوالى ستين أو سبعين فرداً من هذه الزنزانة ، وكانت كل طائفة من هؤلاء يجتمعون معاً على انفراد دون أن يشتركوا معاً فى عباده للمسيح ، وأكثر من ذلك كانت هناك مناقشات ومجادلات ساخنة ليس عن المعتقد الدينى الصحيح لكن عن الأخطاء الموجوده فى كل عقيده .

ففى قصه عن أحد الناجين من كارثة غرق إحدى السفن انه ذهب إلى جزيرة صحراوية ، حيث عاش وحيداً ، وبعد سنتين ، عندما تم اكتشاف مكانه تعجب الذين اكتشفوه ، لأن هذا الشخص الوحيد الناجى ، كان قد بنى له بيتين للصلاه ، وسألوه لماذا وانت وحيد فى هذه الجزيره تبنى حتى بيتاً واحداً للصلاه ، ومع ذلك فقد بنيت أنت إثنين .
أجاب الرجل « إن كل انسان يحتاج إلى ديانتين ، واحدة ينتمى إليها ، وواحدة يقاومها » .

ترى ما هو السؤال الأساسى والجوهرى الذى كنا نتجادل حوله فى زنزانتنا المحشوه بالمساجين ؟

إن أصل الديانه لا يمكن أن يصبح موضوعاً للمجادله ، وإن كان

كذلك فإن المتجادلين يظهرون غباءهم ، لأن الدين هو الحياة ، والعبادة ، السكون . ورغم أنه لابد من وجود كلمات ينبغى أن تقال ، لكن ليس بمفهوم المعنى اللغوى للفظة « كلمه » فى الانجليزيه أو العربيه .

أما اللفظه العبريه للكلمه هى "davar" دافار وهى تعنى أيضا « الشىء الحقيقى » فى القراءه العبريه لإنجيل يوحنا « فى البدء كان دافار (الشىء الحقيقى) والشىء الحقيقى كان عند الله ، والشىء الحقيقى كان الله » .

والفعل « يتكلم » فى العبريه ليدابر Ledaber وهو مشتق من دافار فى معناه الذى يفيد انه الشىء الحقيقى ، وهكذا حتى فى اليونانيه تعنى كلمة Logos أى الكلمه نفس المعنى .

ومما يؤسف له فقد اشتركت أنا أيضاً فى تلك المجادلة فى ذلك الوقت ، لكننى تذكرت أن أخبرهم الدعابة العبرية الآتيه : ذهب زوجان صغيران فى السن إلى الربابى اليهودى ، لكى ما يطلقهما ، [عند المسيحيين يذهب الناس إلى الراعى أو الكاهن فقط لكى يزوجهما ، لكن فى اليهودية يحتاجون إلى الربابى لكى ما يطلقهما أيضاً] فأجاب الربابى فى دهشة لقد زوجتكما منذ عام واحد فقط وكنتما تبديان محبة كبيرة لبعضكما ، لماذا تطلبان الطلاق الآن ؟ أجابته المرأة « لا داعى لتضييع الوقت ، فلا فائدة من نصائحك ، فقط اعمل لنا الإجراءات المطلوبة للطلاق ، فهذا كل ما نحتاجه . وعند الوصول

إلى هذا الحد يصبح الكلام بلا جدوى .

لكن الربابى قد أصر ، وقال لها « على الأقل أجيبى سؤالى إرضاء لفضولى ما الذى حدث ، وما السبب الذى تطلبان الطلاق لأجله ؟ » .

أجاب الرجل « لقد رزقنا بمولود ، ولد » .

قال الربابى : هذا ليس سبباً للطلاق ، أجاب الرجل « لا إنه سبب الطلاق ، فلم نتفق على اسم له » ، سأله الربابى وما الاسم الذى اخترته لمولودك ؟ ، قال الرجل اخترت له اسم ناحوم ، قال الربابى « عظيم جداً ، انه اسم أحد الأنبياء ، ولكن لماذا اخترت له هذا الاسم بالذات ؟ » «لأنه اسم أبى » ، وهذا أيضاً عظيم أن تكرم أباك ، ثم تحول الربابى إلى المرأة وسألها « وما الاسم الذى تريدين أن تطلقيه على ابنك ؟ أجابت المرأة وقالت « ناحوم » فتعجب الربابى وسأل ولماذا اخترت هذا الاسم بالذات ، اجابت المرأة « لأن اسم أبى كان أيضاً ناحوم » فسأل الربابى بتعجب ، إذا كنتما قد اخترتما نفس الاسم ولنفس السبب إذا فماذا تتصارعان معاً ؟

أجاب الرجل « إن إمرأتى تتصرف بدهاء ، فأنا أريد أن أسميه ناحوم على اسم أبى ، وهى تريد أن تسميه ناحوم على إسم أبيها ، وأبوها كان لصاً للأحصنه « جمع حصان » أما أبى فكان رجلاً حكيماً .

هذا هو الانطباع الذى أخذته عن النزاعات الدينية بين المسيحيين ، فكل المسيحيين يتفقون على تمجيد اسم الله ويعملون ليأت ملكوته ، وينشرون الإنجيل ورسالة المحبة وأكثر من ذلك ، لذلك دعونا نحب بعضنا بعض .

فأشار الربابى على الزوجين ، دعوا اسمه ناحوم على اسم النبى ناحوم ، وعيشوا مع بعضكما فى سعادة لمدة عشرين عام مقبلة ، وبعد عشرين عاماً اذا أصبح ابنكما لصاً أو ربابى ، فستعلمان اسم أى أب منكما يحمله ابنكما ، لماذا تبدآن الصراع من الآن ؟

فى الزنزانة المشتركة التى كنا فيها استغرقنا وقتاً طويلاً حتى نقنع اثنان من كهنة الكنيسة الكاثوليكية أحدهما رومانى والآخر بيزنطى أن يشتركا فى ترديد « أبانا الذى فى السموات » مع بعضهما .

قسا يشبه المسيح

كان القس فيسكى ، مثلاً فريداً لنا ونحن فى وسط آلامنا العضلية ، والصحية والروحية المبرحة ، حتى اعتبره الكثير ، الشخص الأكثر شبهاً للمسيح ففى الوقت الذى لم يكن يعطى لنا سوى كسرة صغيرة من الخبز وقليل من شربة البطاطس أو الجزر المتعفن كان هو يعطى نصف مقرره من الخبز لأى مريض أو ضعيف أو عجوز من المساجين .

ويوماً ما أعطى جاكيت كان له لأحد المساجين ليدفأ به وكانت كلماته دائماً طيبة ، ولم تكن الابتسامة تفارق شفتيه .

أما بالنسبة لنا فإننا كنا سنكون سعداء ، إذا لاحظنا عليه بعض علامات التوتر أو سمعنا منه بعض الكلمات الصعبة ، لأن هذا الأمر كان سيخبرنا أننا نحن أيضاً مازالت لنا علاقه مع الله ، والسبب أنه إذا كان على المسيحى المؤمن أن يكون فى حاله متقدمة من القداسة كما القس فيسكى ، لكى يكون مقبولاً لدى الله ، لانعدمت فرصتنا نحن فى ذلك ، وبطريقة ما وصل إلى هذا الرجل خبر يقول ، إن زوجته وأطفاله السبعة ، قد طردوا إلى منطقة جرداء من البلاد حيث هناك نقص حاد ليس فى الطعام فقط بل فى الماء أيضاً .

فى جثيمانى حيث كان بطرس مستعداً أن يدافع عن المسيح بسيفه ، قال للتلاميذ دعوه فحتى أسوأ الأمور لابد أن تقبل بالرضا بل أكثر من ذلك تقبل بالفرح أيضاً .
ولقد سعدت كثيراً إذ قابلت القس فيسكى وعائلته ، وقد قامت ارساليتنا بمساعدة وتدعيم مثل هذه العائلات عن طريق قنوات سرية فى رومانيا والعديد من البلاد الشيوعية وقد عبر القس فيسكى عن تقديره العميق لكل من ساعدوه وأسرته فى البقاء أحياء .

أيهما تكون السيره الشخصيه الحقيقيه ؟

فى بادىء الأمر دارت بينى وبين القس فيسكى محادثة قصيره بعدها أعطى لى مسودة كتاب يحكى اختباراته فى السجن كتبها هو بنفسه ، ولم أصدق آذانى فكل مواقفه الجميلة وأعماله المجيدة التى رأيتها منه فى السجن والتى ذكرتها فى عظاتى قد نسبها لى أنا ، وفى دهشة سألته ، من صاحب هذه السيره أنت أم أنا ؟ من منا هو الصادق فيما يقوله ؟ بعدها عرفت الجواب ، أنه ببساطة ما يراه العقل المشبع بالحب الكبير والتواصل الحقيقى والخيال المقدس فيمن يحبه .

لا تصدق أبداً ما تقرأه من سير ذاتيه لأشخاص ما ، لأنها اذا كتبت بواسطة الأعداء ، فلن يخبروا بحقيقة الشخصية التى يكتبون عنها ، لكن سيخبرون بما تراه العداوة ، والمرارة والغيرة فى هذه الشخصية ، واذا كتبت هذه السيره بواسطة المعجبين بشخص ما فسيكتبون عن ما يوضح حالة قلب الكاتب النبيلة التى يزين موضوع كتابه بكثير من فضائله ، أما عن السير الشخصية الموضوعية عادةً ما يكتبها كُتاب متحزلقون ومدعون للدقه والعلم ويضعون بها جرعات مقصوده من المدح أو النقد ، فلا تضع وقتك فى القراءة لهم ، فهى مملة ولا تستحق القراءة أما الحقيقة فهى فقط الحقيقة إذا قيلت بالأحاسيس .

إن العهد الجديد لا يحتوى على علامات الترقيم فى لغته الأصلية

ولقد ترك لنا طريقة ترقيم (يو ١٤ : ٦) عندما قال يسوع « أنا هو الطريق ، والحق ، والحياة » ، وأنا أقترح الترقيم التالى « أنا الطريق : الحق والحياة » فأولئك الذين يفكرون مثله لا يقدمون الحق المجرد بطريقة مملة ، لكنهم يقرنونه بالعواطف والأحاسيس الجميله عن الحياه التى تستحق أن تعاش . أما أولاد فيسكى الذين تربوا فى فقر مدقع فهم مؤمنون جميعهم اليوم ، منهم المهندسون ، والخدام والقسوس ، كل منهم يعمل فى عمل نافع للملكوت . فأمثال فيسكى يجلبون المحبه والسلام والنور لأولئك الرعاة المتنازعون بعضهم مع بعض حتى داخل السجن ، حتى داخل الزنزانة الواحدة فى السجن حيث الجميع يعانون لأجل نفس المخلص كل هذه معاناه جماعية كانت مفيدة حتى يتعلم المؤمنون أن يقدروا فى وقت ما بعضهم البعض .

والآن فى سنة ١٩٩٠ أنشأ المسيحيون الرومانيون لأول مرة فى التاريخ إتحاداً إنجيلياً يضم الكنائس المعمدانية ، اللوثرية ، الخمسينية ، الأخوة ، وجيش الرب وعدد أعضاء جيش الرب الآن يقدر بـ ٨٠٠,٠٠٠ ثمانمائة ألف بينهم أفضل المؤمنين من الكنيسة الأرثوذكسية لكن الكنيسة الرومانية الكاثوليكية ليست فى هذا الاتحاد مع انها تربطها به علاقات صداقه متينه ، ولم يعد هناك مكاناً لعداوة الماضى ، فلم يعد طرف ما يصف الطرف الآخر بالوثنية ولا يبادله الطرف الآخر الاتهام بالهرطقة ورئيس الأساقفه الكاثوليكى روبو هو رئيس الطائفة الوحيد الذى يقف موقفاً صريحاً فى عظاته ضد قتل الأبرياء .

الأكثر اضطهادا

لقد تعجبنا وأعجبنا جميعاً ببطولة إيمان أعضاء الكنيسة الكاثوليكية من الأصل البيزنطى (١,٥ مليون عضو) فتقريباً مات كل أساقفتها وكثير من كهنتها فى المعتقلات بعد تعذيبهم بوحشية . حتى قيل أن حُكِمَ عليهم جميعاً بما يقرب بـ ٦٠٠ ستمائة عام . وكل بناءات كنائسهم ، ومدارسهم ، ومعاهدهم الخيرية سرقها منهم الشيوعيون وأعطوها للكنيسة الأرثوذكسية التى كانت هيئتها الإرادية فى قمة التعاون مع الألويه الحمراء (الشيوعيون) .

ولم تصلح وتنتهى الجرائم ضد الكنيسة الكاثوليكية البيزنطية حتى الآن ، رغم أن الحكومة أكدت لهم أنهم أحراراً تماماً ، لكن كيف يستمتع ١,٥ مليون بحريتهم الدينية بعد أن تجردوا من كل مبانى كنائسهم ؟ ولم ترجع ممتلكاتهم المسروقة حتى الآن .

ويرجع تاريخ هذه الكنيسة إلى مائتى سنه ماضيه من العذاب الرهيب ، فقد بدأت هذه الكنيسة فى القرن الثامن عشر ، فى مقاطعة رومانية فى ترانسيلفانيا ، وكانت يومئذ تحت طائفة الإسترو — هانجاريان فى هابسبورج ، وكانت هذه الطائفة منشقة عن الكنيسة الأرثوذكسية هناك ، التى كان ينتمى إليها معظم الرومانيين ، وأبقت هذه الكنيسة على كل الطقوس الأرثوذكسية وقبلت كل التعاليم والمبادىء الكاثوليكية ، وكانت تتكون من رومانيين فقط ، وقد

عانت العذاب الكثير فى ترانسيلفانيا من كل الاضطرابات والمنازعات التى تعرضت لها البلاد فى أثناء الحكم الهنغارى . ولم تستمتع بحريتها كل ذلك الزمان سوى لمدة ثلاثين عاماً فقط من ١٩١٨ عندما اتحدت ترانسيلفانيا برومانيا حتى عام ١٩٥٦ عندما ألغى الشيوعيون هذا الاتحاد .

أما ثانى أكثر الكنائس معاناه من الاضطهاد فهى جيش الرب التى لم يلاحظ وجودها لا من الولاية ولا من الكنيسة الأرثوذكسية الخاضعة لحكم الولاية حتى أواخر سنة ١٩٩٠ .

مقابلتى الأولى مع المسيح

كيف يمكننى أن أخبر بكل ما اختبرته فى رومانيا ؟ !

يوماً ما وكنت صبياً ، دخلت بتأثير شديد إلى كنيسة أرثوذكسية فى بوخارست ، وكانت هذه هى أول كنيسه مسيحيه أراها حتى من الخارج ، فكطفل مولود من أبوين غير مسيحيين وغير متدينين على الاطلاق ، لم أكن أسمع اطلاقاً أية كلمة حسنة أو رديئة عن يسوع فكان ببساطة شخصية غير معروفة لى . لكن يوماً ما وأنا راجع من المدرسة برفقة صبى آخر ، أوقفنى رفيقى أمام هذه الكنيسة وقال لى « انتظرنى دقيقة واحدة هنا ، فإن أبى طلب منى أن أخبر الكاهن عن شىء ما » ، فأجبته « لا سأدخل معك » وكانت هذه هى الطريقة التى عبرت بها سور الكنيسة لأدخلها لأول مرة فتأثرت بشدة لدخولى

إليها ، والآن وأنا أعود لأدخل نفس هذه الكنيسة بعد حوالى ٧٠ سبعين عاماً ، فإننى أعود لأحيا مرة أخرى فى نفس الشعور القديم .

وكطفل يومئذ رأيت صورة إنسان مصلوب ، لكنى لم أكن أعرف من هو ، لذا فكرت فى أنه لابد أن يكون إنساناً رديئاً جداً ، حتى أنهم فعلوا به كهذا ، وكطفل كنت أرى أنه يستحق ذلك ، لكننى فكرت فى نفسى بأن هذا الإنسان ينزف من كل جسمه ويداه مسمَّرة بالمسامير فى الصليب ، وتساءلت لماذا ؟

ورأيت أيضاً فى ذلك الوقت ، صورة لفتاة جميلة ، كانت تنظر إلىّ بمحبة عظيمة ، ولم أكن معتاداً أن ينظر إلىّ أحد بهذه الطريقة ، فقد كنت محتقراً لكونى صبياً ، وكنت فقيراً كما كان يبدو من ملابسى ، رفيعاً ، ضعيفاً ، صغيراً ....الخ . لكن يبدو أن هذه الفتاه تحبنى ولذلك أحببتها أنا أيضاً من تلك اللحظة ، وأنا أتعجب لماذا لا يفكر بعض المسيحيين فى العذراء مريم بمحبة ، ألم يقل الكتاب المقدس عنها « لأن جميع الشعوب تطوبنى » ، لماذا لا نعمل نحن أيضاً ذلك . يقول لى العقل إن ما كنت تراه فى ذلك اليوم ليس هو المصلوب ولا العذراء مريم إنما هذه صورة لهم لكننى فى ذلك الوقت كان لدىّ انطباعاً خاصاً بأننى كنت أرى فيهما إنسانين حقيقيين وليست صوراً لهما ، وكانت هذه واحدة من الأحداث الحية الحقيقية فى حياتى .

وبعد أن أنهى الصبى رفيقى كلامه مع الكاهن ، أتى لى ذلك

الكاهن ووضع يده برفق فوق رأسى ، وكان هذا يعنى الشىء الكثير جداً بالنسبة لى ، حيث أن أبواى لم يعملا ذلك لى من قبل ، فكانت لمسته رقيقة حانية ، تلك هى نفس اللمسة التى أحسست بها يوم رسامتى قساً ، فقد كان الأسقف آرجى يحبنى جداً وهو الأسقف الذى قام برسامتى .

وبينما يضع الكاهن يده على رأسى سألنى « يا صديقى الصغير ، ماذا يمكن أن أعمل لك » فانزعجت وظننت أنه ربما كان من غير المسموح لى أن أدخل إلى الكنيسة ، فأجبته « لا شىء » فقال « هذا لا يمكن أن يحدث ، فأنا من أتباع يسوع ، وهو قد علمنا أن لا ندع أحداً يمر بنا دون أن نعمل معه إحساناً ، لذا سأحضر لك كوباً من الماء المثلج » ، فقد كان الوقت صيفاً وحاراً جداً خارج الكنيسة .

يسوع .... ياله من كائن عجيب ، فإننى حتى تلك اللحظة لم أكن قد قابلت أحداً يعرف شىء عن تعاليمه ، فلم يعطنى أحدهم لعبة من قبل ، ولا حتى قطعة من الشيكولاته فعندما كان الأطفال يأكلون الشيكولاته كنت أنا ألعق الورقة التى كانت تلفها ، لكن يسوع حول الماء الذى آتى به الكاهن إلىّ إلى خمر حتى ترنحت ، لكننى كطفل صغير ، نسيت هذه الواقعة ، حتى تذكرتها مرة أخرى ، عندما صرت مسيحياً وكان اسم ذلك الكاهن كافان وبعد سنوات كثيرة أصبحت قساً وراعياً ، وجاءالفاشيون إلى السلطة فى بلادنا ، وجاء كاهن جديد يدعى كريكوتا لنفس الكنيسة وكان هو الكاهن الأرثوذكسى الوحيد

الذى سمح لى مع كونى قساً غير أرثوذكسى وغير رومانى الأصل أن أعظ بانتظام وأرنم فى كنيسته ، ولم يكن يهتم بأن يلومه باقى الكهنة على ذلك ، حتى أصبحت كاتباً فى مجلته الأرثوذكسية .

وفى أثناء الحرب عندما كنت وزوجتى وكثير من المؤمنين المسيحيين نحاكم (كمدنيين لأجل المسيح) تجرأ هذا الكاهن أن يقدم نفسه كمدافع عنا ، ياللعجب فلقد كان يدافع عنى فى حكم هتلر وكان دفاعه عنا مع أحد الرعاة المعمدانيين الألمان هو السبب فى أن تكون حالتى هى الحاله الوحيده التى أطلق سراحها أثناء الحكم الهترلى ، فقد كان طبيعياً جداً أن يُحكم علينا بالاعدام سواء كنا مذنبين أم لا .

والآن وأنا أعود إلى رومانيا بعد مضى ٢٥ سنه أستطعت أن أصلى مرةً أخرى فى نفس هذه الكنيسة متذكراً كم من الاحسانات صنع لى الرب الصالح فى ذلك المكان ، ولاشك أن الله قد كافأ ذلك الكاهن كافان الذى قدم لى كأس ماء بارد مع محبته الكبيرة لأجل اسم المسيح .

جورباتشوف .... بركه

أصبح جورباتشوف بركه للعالم الغربى ، يتضح هذا من مجرد أن نتخيل أزمة الخليج فى وقت كان الاتحاد السوفيتى والمعسكر الغربى

يواجهان بعضهما البعض فى الحرب الباردة .

فعندما قتل ستالين كل القاده الكبار فى جيشه (فى الثلاثينيات) متوقعاً أنهم سيتآمرون ضده ، كتب الديكتاتور الفاشى الايطالى موسولينى يقول « ستالين رجل فاشى متميز ، ومن الصعب التخيل أن جورباتشوف عميلاً للامريكان CIA لكنه أنجز عملهم على خير وجه ، فقد أضعفت قوة الاتحاد السوفيتى ومعها قوة الشيوعية فى كل أوروبا الشرقية . وهكذا ارتجفت أيضاً الأحزاب الشيوعية الغربية .

إننى أتذكر عندما وصلت إلى الولايات المتحدة الأمريكية كيف توسل إلىّ سكرتير عام مجلس الكنائس العالمى لكى لا أنشر فظائع وجرائم الشيوعية ، لكن جورباتشوف تسبب فى نشرها ، فاليوم يمكنك أن تقرأ فى الصحف السوفيتية عن ملايين الأبرياء الذين يقتلون وعن السرقات العامة ، والاستغلال والظلم الذى يرتكبه الشيوعيون . وبينما تعرضت الشيوعية للتغيير المفاجىء فى روسيا عن طريقه ، لازال جورباتشوف ورفاقه متمسكين بالسلطة فهم يعرفون أن لا شىء لديهم ليعطوه لشعوبهم ، ولازالوا يستخدمون القوة ، ويستعطون المال من الرأسماليين ، فهم يقودون روسيا إلى مأساة ، وإلى حمام من الدماء سيجرف كل ما عرفه التاريخ حتى الآن .

لعلهم مساقون بغريزة المحافظة على النفس أو لعلهم يئسوا من تخطيطاتهم ويفكرون فى المستقبل البعيد ، ورغم أن جورباتشوف يلعب الدور القيادى فى هذه الدراما إلا انه من المناسب أن يلعب

دور ممثل فى هذه المسرحية الهزلية .

فهو يترأس على حكام حزبه المفكك وعلى الاتحاد السوفيتى نفسه ومازال ينهى اجتماعات مجلسه بأن ينشد "Internationale" الانترناشونال وهو نشيد الشيوعية الموقرة . ينشدون هو ورفاقه نغمة القتال والصمود إلى نهاية المعركة الفاشلة الميتة التى ستعطى العالم كلة « المجتمع الأمثل !! » كما يسمونه الذى يقاسى الآن الآم الاحتضار وكأسه على أرضه روسيا .

شعارهم حتى الآن لازال « تحالف قوى الشعب العاملة فى العالم ، واتحادها ! » مع أنهم قرروا فى اجتماعهم فى أوكرانيا ، وروسيا ، بيلوروسيا ، البلطيق ، أوزبك الشيوعية لابد أن تنفصل كلٍ إلى حال سبيلها ، فأدى هذا القرار إلى تشجيع كبير للأقليات والعصبيات القومية ، والنتيجة ستكون خلق نوع جديد من الفاشية أو ما شابهها ، مشتقات عديدة من الفاشية لأن كل جمهورية سوفيتية سترعى وتقوى مصالحها الذاتية ضد الآخرين .

ولقد لعب جورباتشوف ومن شابهوه دوراً كبيراً فى إضعاف عضلات الشيوعية السوفيتية كما فى دول أوروبا الشرقية ، ودون أن يقصدوا قدموا لدول العالم الحرة خدمة عظيمة واضعين جانباً وإلى وقت معين الخوف من التهديد بنشوب حرب بين الشرق والغرب .

هل من الواجب على المسيحيين أن يشتركوا فى السياسه

قبل أن نستطرد فى الكلام حول هذه النقطة ، أرى أنه لابد أن أجيب على سؤال يتردد كثيراً على المسامع وذو علاقة بهذا الموضوع . هل يجب على المسيحى ، وخاصةً القسيس أن يترك كتابه المقدس ويتكلم فى الأمور السياسية ؟ هذا سؤال ملح للمسيحيين الرومانيين أيضاً ، يرى البعض أنه يجب علينا أن نتكلم ونبحث فى الأمور السياسية ، ويقول البعض لا يجب ولا يصح ذلك . غير مدركين أنه بقولهم لا يجب الاشتراك فى الأمور السياسية فإنهم يشتركون فى لعبة السياسة ، فلماذا لا يستخدمون هم طاقاتهم فى الكلام عن مسحة المسيح أو عقيدة الثالوث .

إن كلمة « سياسة » مشتقة من الكلمة اليونانية Polis (بوليس) وهى فى اليونانية (مدنية) ، وكما يعمل الطعام والمال عملاً حسناً مع الناس ، وكما أن المعاهد العلمية والرغبة فى إفادة البشر تعمل حسناً للشعوب ، كذلك فإن السياسة هى فن العمل الحسن للأمة بل وأكثر من ذلك ، فإن ٧٠٪ من الكتاب المقدس يهتم بالسياسة ، تكوين الأمة ، تحريرها من الرق ، تعدادالشعوب فى حروب الأمة ضد الأمم الأخرى ، القوانين المنظمة للعلاقات الاجتماعية ، الزراعة ، الصحة العامة ، قوانين الميراث ، الزواج ، تحديد نظام الحكم وتوارثه

والتنافس بين الحكام إلى جانب أخطاء الحكام وكشفها كما تعمل الصحافة اليوم .

إن مقولة « أعطوا ما لقيصر لقيصر » هى نصيحة سياسية لمقاومة العصيان ضد الحكومة . « كونوا خاضعين للسلطات » هى أيضاً نصيحة سياسية إلى جانب وصف دانيال وسفر الرؤيا لبعض حكام العالم بأنهم وحوش شرسة .

ولابد لنا أن نقيِّم الأحداث السياسية لنجد طريقنا خلالها ، وهناك كثير من المناقشات بين المسيحين الرومانيين ليس فقط فيما يتعلق بصعود الأرواح من الحالة الأرضية إلى الحالة الملائكية ، أى القداسة ، لكن فيما يتعلق أيضاً ببعض الأحداث السياسية فى بلدهم وبالذات تحت سيطرة الشيوعية .

الوعظ تحت الحراسه

مكان آخر لازال يحمل ذكريات قوية بالنسبة لى هو الكنيسة المعمدانية فى جولشتى وهى ضاحيه من ضواحى بوخارست ، وكنت قد دعيت لأعظ بها فى الأحد التالى لدخول رومانيا الحرب العالمية الثانية فى ١٩٤١ وكان النازيون يحكمون بلدنا فى ذلك الوقت وعندما هاجم الجيش النازى روسيا كان بالاشتراك مع فرق جيشنا وكان شعارهم « حطموا الشيوعية التى خلقها اليهود الأقذار ، واضربوا اليهود » .

ذهبت إلى الكنيسة مع مجموعة من المسيحيين العبرانيين ، وكان الأخوة بالكنيسة قد دعوا الكثير من الخطاة وقالوا لهم من سيكون الواعظ ، وكان الأرثوذكس يومئذ يكرهون المعمدانيين وكان هناك شيئاً أسوأ من ذلك على وشك أن يحدث وهو أن يهودياً يعظ على منبر الكنيسة المعمدانية المكروهة . ولم تستطع معدة المعادين للسامية هضم هذا الأمر ، فأبلغوا البوليس بهذه الجريمه التى لا يمكن تحملها والسكوت عليها .

وقُبض علينا وكان عددنا ستة مسيحيين عبرانيين ، فجاءت تقرع على بوابة السجن التى كنا محتجزين فيه أنا وأمرأتى وأربعة من الأخوة الذين قبضوا عليهم معنا ، الأخت ميندروتز وهى إحدى السيدات المسيحيات الرومانيات وقالت بأعلى صوتها إن أخوتى يتألمون هنا لأجل المسيح وأريد أن أتألم معهم ، فقوبل طلبها بترحاب ووضعت فى نفس الزنزانة معنا فأصبحنا سبعة ، ثلاثة يهود ، وثلاثة يهوديات ورومانية ، وكانت الزنزانة صغيرة وبها سرير واحد فقال ضابط البوليس « أنت أيها الكاهن (وكان يقصدنى) ستنام على السرير والباقين جميعاً على الأرض » .

وفى نفس الوقت ذهب الكاهن الأرثوذكسى جويلشتى إلى البوليس حتى يتأكد أنهم لن يخلو سبيلنا ، وجاء ليتكلم معى ويقنعنى أنه لا مكان لأى يهودى فى المسيحية ، وكان البطريرك يومئذ قد منع أن يعتمد اليهود لكى لا يصبحوا مسيحيين .

ثم بعد أن قبض علينا بسبب جويلشتى أخذونا إلى سجن القضاء العسكرى للتحقيق ، وبينما كان التحقيق جارياً معنا ، انطلقت صفارات الانذار وأعلن أن بوخارست قد هوجمت بواسطة السوفيت ، وأجبرنا العساكر عن طريق السنكى فى بنادقهم أن ننزل إلى البدروم نحن والمحققين معنا وطاقم المحكمة العسكرية ومتهمونا والقضاة الذين كانوا سيحكمون علينا ، ووضعونا نحن المساجين فى ركن من الحجرة تحت حراسة مشدده .

ودارت المحادثه بين الآخرين عن أمور تافهه لا قيمة لها وحكت إحدى الفتيات عن قطعة قماش اشترتها ولم تقم بتفصيلها ثم بدأت القنابل تنهال ، وكانت القنابل الأولى تُسمع وهى تقع فوقنا يعقبها انفجار يهز الأرض ، وبدأ البكاء والعويل ، وانتهزت الفرصة وقلت لهم يوجد قسيس بينكم ، وسوف نصلى من فضلكم اركعوا على ركبكم ، فركع كل واحد بما فيهم الحراس ، والمدعين والقضاة ، وكنت قادر عندئذ أن أتكلم لهم بكلمة الله . وعندما انتهى تساقط القنابل أخذونا إلى زنزانتنا محاطين مرة أخرى بالعساكر المستعدين بلا تردد أن يستخدموا سنكى بندقياتهم ، اذا حاول أحدنا الهروب ، وأولئك الذين كانوا قد ركعوا معنا منذ أقل من نصف ساعة ، أصبحوا متهمينا وقضاتنا مرة أخرى .

لقد أسترجعت كل هذه الأحداث مرة أخرى عندما رأيت سجن ماليزون Malmezon الذى أروى لكم عنه فى عهد الفاشية ، كما

أننى أصبحت ضيفاً على نفس هذا السجن لمرة أخرى تحت حكم الشيوعيين .

إختبارا روحيا

فى أحدى الزنزانات الانفرادية ، كان لى اختبار روحى سبكته مع عدد من العظات ألقيتها عند رجوعى إلى رومانيا أخيراً هذه المرة ، ولقد استخدمت لفظة سبكته من « سبيكه » لأن الاختبار الروحى العميق لا يمكن أن تشرحه أو تضع له عنواناً ، لذا فإن الكتاب المقدس هو اعلان الله بكل معنى الكلمة : فهو يعلن لنا بعض الأشياء لكى ما ندركها ، وهى أيضاً مغطاة ببرقع عنا .

إن شرح ما اختبرته عادة ما يكون قليل الفائدة ، فما اختبره بتهوفن وأخرجه على هيئة مقطوعات موسيقية ، قام أحد النحاتين فى بونيس أيرس بنحت تسعة تماثيل اسمنتيه تعبر عن التسعة سيمفونيات التى وضعها بتهوفن ، وعندما زرت أنا ذلك المكان ، سألنى أحدهم لأشرح له ما هى هذه التماثيل ، فقلت هى شعور وعواطف داخلية أصبحت موسيقى ، ثم أصبحت نحتاً يحتاج إلى كلمات لتترجمه ، ترى ما هى العلاقة بين هذه الكلمات واختبارات بتهوفن . يقول الكتاب المقدس « ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب » (مز ٣٤ : ٨) فإنه لا توجد كلمات ، ولا موسيقى يمكن أن تصف لك الفرق بين طعم

البطيخ والخوخ ، فالتذوق فقط يستطيع أن يعرفك الفرق .

لذا يمكننا أن نشير إلى الاختبارات الروحية فقط لكى ما نساعد على تشجيع الآخرين أن يختبروا هم أيضاً اختباراتهم الشخصية ، لكن من خلال ترشيح كلمة الله عادة ما تقل قيمة هذه الاختبارات ، فكل فرد لابد أن يقوم بعمل شخصى ليحصل على سعه وتخوم أكبر ليرى الحقيقة خلال ما هو ظاهر له بالعيان .

سأل أحد التلاميذ معلم بوذى قائلاً « ما هو بوذا »
أجابه المعلم « الكتان يزيد ثلاثة أرطال » وبطريقه أخرى أراد أن يقول له « لا يمكن أن يصف عن طريق الكلمات ما هو بوذا » ، لذا دعونا نصرف وقتنا بطريقة أفضل بأن نتكلم عن أشياء عملية . فإن كان بوذا لا يمكن وصفه بكلمات فكم بالحرى يكون يسوع .

إنعدام الزمن

لقد قضيت سنيناً عديدة فى حبس انفرادى فى ثلاثة سجون مختلفة . حيث فقدت هناك الاتصال بالوقت ، فلم تكن لزنزانتى سوى شباك صغير ، يطل على الممر الداخلى ، ولم يكن لها أى فتحه على الخارج .
فلم نكن نعلم أن الطقس بالخارج شتاء قارس أو ربيع جميل ، ولم نفرق بين النهار والليل فنفس المصباح الكهربى ينير باستمرار ، ربما

لكى يشوشوا على أذهاننا ، ولم يكن للمساجين أى برنامج محدد أثناء النهار فليس هناك مواعيد ثابتة يوقظون فيها المساجين أو يعطونهم طعاماً أو يصحبونهم لدورة المياه .

فلم نكن نميز الأوقات ، فكنا نعيش فى حالة إنعدام الزمن كما يعيش رواد الفضاء فى حالة انعدام الوزن ، واذا ما استمرت هذه الحالة إلى سنوات عديدة فإن انعدام الزمن يحدث حالة من الخلل العقلى ، ويؤدى إلى حالة من اللاإدراك العقلى ، ولم يعد هناك شىء أن نحسه بحواسنا ، فالصمت الكامل هو الذى يسود حياتنا ، فلا نسمع أبداً أى صوت أو همس حتى الحراس يلبسون أحذية من المطاط ، ولا يوجد هناك شىء يمكن أن تراه ، وكنا محاطين بنفس الحوائط الرماديه ، ونسينا أنه يوجد هناك ألوان مختلفه ، وكانت الرائحه الكريهه منتشره بقوه لا تلين إلى درجه يمكن معها أن تشل أعصاب الشم ، فحتى اليوم لا يمكننى أن أشم البرفانات أو الزهور ، أما عن التذوق فالطعام كان دائما مثيراً لأنه سيىء جداً ولا يتغير فى نوعه ، ولم تكن عقولنا تتوافق مع حواسنا أو المنطق العقلى .

وبينما كنت أحاول أن أتخلص من ذكرى هذه الأيام عند عودتى إلى رومانيا وأنا اتمتع بالحرية الآن ، وجدت أنه من الصعب أن أفعل ذلك وأن أنقل أختباراتى إلى تلك الآذان المعاصرة التى أتكلم لها فى الكنائس . ولكن على أى حال فإنه يساعدنى كثيراً عندما آتى إلى مسألة انعدام الزمن .

إن الكتاب المقدس العبرى لا يحتوى على الأزمنة التى لنا فى الانجليزية مثلاً بأن أقول أنا آكل ، أنا أكلت ، أنا سآكل ... وهكذا ، فالمؤمنون لا يطلب منهم أن يقطعوا الزمن إلى قطع ، ماضى ، حاضر ، ومستقبل ، فإن الماضى ليس مجرد ماضى فقط ، فهو يعيش فى مرات كثيرة فى الحاضر ، وعادة ما يحمل الماضى للحاضر حزناً أو فرحاً وهو أيضاً سيعيش فى المستقبل ، فإن أساس اليوم وغداً هو ما تجمع وحدث فى الماضى ، وبعض الأمور الماضية قد تحددت نتيجة لتوقعات معينة فى المستقبل فنحن جزء من محيط واحد لا يتجزأ حيث ترتد فيه الأمواج للخلف وتندفع للأمام ، لكنها تظل جزءاً من نفس المحيط . وهكذا بينما كنت أحدق فى حوائط السجن التى احتوتنى ، وكنت أفكر فى ما خلفها حاولت أن أتخلص من اختباراتى القديمة .

مصلوب لأجلك اليوم

ما أسهل على من يستطيع أن يقسم الزمن إلى حاضر وماضى ومستقبل أن يقبل الخلاص . فيمكننى أن أحصل على غفران خطاياى ودخولى السماء عن طريق الإيمان بأن يسوع مات لأجلى منذ زمن بعيد ، فلقد اختار أن يتألم لأجلى دون أن يسألنى عن رأيى فى ذلك ، ويتألم لمدة ساعات قليله على الصليب وبعدها مات ثم قام فى اليوم الثالث ، وعاد إلى السماء حيث هو هناك الآن منذ ألفى سنه ، ولاشك انه سيفرح فرح عظيم إن قبلت الخلاص ، إذاً فلماذا لا أصبح

مسيحياً مؤمناً ؟ فهذا الخلاص سوف يفرحنا كلانا أنا والمسيح ، لذا فكثيرون يأتون للأمام أثناء تقديم الدعوه للراغبين فى الحصول على الخلاص ، وعلى وجوههم ابتسامة عريضة ، وفى الحملات الكرازية الكبيرة قد لا تذرف إلا قليل من الدموع .

لكن الأمر كان يختلفون معنا نحن الذين عشنا فى انعدام الزمن ، فكل شىء لنا نختبره فى الحاضر فعمل الجلجثة لم يكن شىء يتعلق بالماضى ، لكنه كان حدثاً فى الحاضر ، فكان وكأن المسيح يقف أمامى ويقول « لقد أخطأت أنت ، ولأجلك سوف أصلب وأضرب ، وسترى الآن بعينيك أنت وتسمع صوت المسامير وهى تدق فى جسدى ، وسترى أمى القديسة وهى تبكى عند الصليب ، فهل تقبل ذبيحتى لأجلك ، أم تفضل أن تتحمل عقاب خطيتك بنفسك » ؟

فلم تعد قصة الصليب قصة قديمة تقرأ فى الكتب ، فعلىّ أن أختار من الذى سيموت باراباس أم يسوع ، فلم يقبل بطرس ويوحنا ومريم المجدلية ذبيحة المسيح كشىء قد تم قبل أيامهم ، لكنها ذبيحة تقدم عنهم فى زمنهم القائم الحاضر ، فلا يوجد مذنب يحس بالشعور بالذنب يريد أن يقف ويشاهد نهاية شخص آخر يموت بوحشية ليدفع نتيجة ما فعل هو ، ولا كنا نحن نقبل هذا فى حبسنا الانفرادى .

والآن فقد عشت مرة أخرى فيما فهمته عندئذ ، وهو أنه لم ينو أن يكون هناك فاصل زمنى بين خلاصى ونتيجة موته على الصليب

لأجلى ، لا يوجد فاصل زمنى بعد موته ولا حتى لحظة بل المقصود « صلبنا ودفنا معه » (رو ٦ : ٦) وهو أمر مختلف تماماً .

لقد أطلق لوثر عنوان « رسالة الأعمال » على رسالة يعقوب لأنها تعلم أن الإيمان وحده بدون أعمال لا يكفى ، لا لقد كان مخطئاً فلقد خلصنا بالايمان ، لكن لا يستغرق الأمر وقتاً بعد هذا التأكيد على خلاصنا حتى يكون من الواجب علينا أن نضيف تضحيات وذبائح لهذا الإيمان (٢بط ١ : ٥ ــ ٨) ، فهذه ذبيحة أن نظل دائماً طاهرين ، محبين ، غافرين ، نشطين فى خدمة الرب فلابد أن نكمل نقائص شدائد صليب المسيح .

وهذا ما كان يعمله الكاهن شروفيان ، فقد أُجبر بعد أن تعذب عذاب لا يوصف أن يقدم مائده شيطانيه بدلاً من العشاء الربانى وأن ينطق الكلمات « هذا هو جسدى » ، « وهذا هو دمى » على براز إنسان وبوله ، وعندئذ قال لى هذا الكاهن لقد تألمت أكثر من المسيح ، وبالمقارنه بالآم هذا الكاهن الجسدية قد يكون ذلك حقيقة .

فى مرحلة انعدام الزمن ، عشنا فى عواطف المسيح ، وقيامته ، وصعوده ، ونصره النهائى . ففى هذه الزنزانة الانفرادية لم نكن نهتم فقط بالحياة الأرضية للناس ، لكن بحياتهم الروحية كذلك ، فالموت ليس هو النهاية فى حالة انعدام الزمن ، لكننا اختبرنا أيضاً ما بعد الحياة .

أين شاوشيسكو اليوم

مع وجود كل هذه الأفكار فى عقلى ، وأنا أعظ فى الكنائس الرومانية سألت سامعىّ سؤالاً ، « أين توجد عائلة شاوشيسكو اليوم » ؟ فلم يستطع شاوشيسكو أن ينهى خطابه الأخير حيث صرخ فيه المستمعون ، فاضطر للهرب ، لكنه يتكلم الآن مرة أخرى ، ألا تسمعوه ؟ فى المثل الذى قاله يسوع عن الرجل الغنى وهو فى الجحيم كان يتوسل لأبينا إبراهيم أن يرسل واحد إلى إخوته أن لا يضيعوا حياتهم لئلا يذهبوا إلى نفس مكان العذاب حيث هو ، لكن طلبه لم يجب ، فلمَ يسأل الغنى الرجل المناسب ؟ فلقد كان إبراهيم قاسياً جداً مع هاجر ، أم ابنه ، وطردها من بيته برغيف خبز وقربة ماء ، فكيف يظهر إبراهيم تعاطفه مع أولئك الذين فى الجحيم ؟

وربما التمس شاوشيسكو من يسوع الذى معه تكون الاستجابة أفضل مما هو الحال مع إبراهيم ، فالرجل الغنى لم يكن كله شرور فكان عنده على الأقل محبة لأخوته ولعل شاوشيسكو أيضاً يحب بعض رفاقه الشيوعيين ، لعله يسأل كل منا الآن « اذهبوا للشيوعيين ، واخبروهم عما أقاسى من عذاب النار ولهيب الدينونة ، حذروهم ليجدوا لأنفسهم طريقاً آخر » .

إن كل من اختبر حالة انعدام الزمن ، أو فى كلمات أفضل الحقيقة المخفاة خلف ما هو ظاهر يستطيع أن يستمع ليس فقط ترانيم الشاروبيم

والساروفيم التى تدعوه ، بل يسمع أيضاً عويل أولئك اليائسين فى الجحيم . وهناك أيضاً ما لا يمكن تحمل الاستماع إليه ألا وهو الصمت الرهيب لأولئك المحفوظين فى الظلام (١صمو ٢ : ٩) ، صمت بعض المعترفين بخطاياهم فى الجحيم ، إنه يقول « اكرزوا ببشارة الانجيل لأسوأ الناس ، فكروا فى مصيرهم الرهيب المرعب ، إن يسوع يهتم بهم ، وقد أثبت ذلك بنزوله إلى الجحيم » ، لقد كان هناك بعض التوتر فى خدماتى فى رومانيا هذه المرة ، لكن أشكر الله أنها قوبلت جميعها بترحاب ، فلأجل هذه اللحظات التى أختبر فيها الانتصار على أرضى ، اجتزت كثير من العذابات والمرض والمخاطر من كل الأنواع ، واجتزتها كلها بنعمة الله .

علامه من الله

فى دراسة حول معدل الوفيات للسيدات الصينيات الذين تعدوا سن السبعين ، وجدوا أن معدل الوفيات قد قل بنسبة ٣٥٪ قبل عيد الحصاد ، ثم رجع إلى المعدل الطبيعى فى الأسبوع التالى للعيد ، هذا ما اثبتته دراسة تاريخ الوفيات للأمريكيين الصينين فى كاليفورنيا ، وأرجعوا السبب فى ذلك أن توقع العيد والشعور بواجب الاستعداد له يمكن أن يؤثر على معدل الوفيات ، ولقد وجدوا أيضاً أن معدل الوفيات يقل عند اليهود الأرثوذكس قبل عيد الفصح ثم يعود إلى حالته الطبيعيه فى الأسبوع التالى للعيد .

ورغم أن الأبحاث الوبائية تعتمد فى تقاريرها على المؤثرات الطبيعية والكيميائيه ، والسيكولوجيه التى تؤثر فى معدلات الوفيات ، إلا أن الدين أيضاً يؤثر فى ذلك ، فإننى وزوجتى آمنا أن الله سيثبت عدالة مصارعتنا وحربنا ضد الشيوعية والتى واجهنا فيها كثير من المعارضات والمقاومات ، بأن يعطينا علامة مؤكدة ، أننا لن نموت قبل أن نزور مرة أخرى الأماكن القديمة التى صارعنا فيها وخضنا فيها معاركنا لأجل المسيح ونحن حاملون علم المسيح بكل نصره ، فالذى كان بجانبنا ومعنا أقوى من الذى علينا ، ولقد قمت بزياره مرة أخرى لكنائس رومانيا ، وأنا فى سن الثانية والثمانين وبالطبع لن أذكر سن زوجتى ، لكنها هى أيضاً اختبرت الانتصار وهى متقدمه فى السنين .

رومانيا لم تكتمل بعد

إن ما يراه المرء فى الخريطة ليس هو كل رومانيا كاملة ، فإن تقلبات التاريخ جعلت كثير من الأمم تعيش خارج حدود أراضيها .

فى سنة ١٩٣٩ عندما قسَّم هتلر وستالين أوروبا الشرقية ، أخذت روسيا المقاطعات الرومانية بيسرابيا وبيكوفينا ، واحتلها الجيش الأحمر الشيوعى عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية ، وأطلق السوفيت « مولدافيا » على مقاطعة بيسارابيا ، واخترعوا لغة جديدة أجبروا البيسارابيين الرومانيين على استخدامها وليتسنى لهم ذلك فقد خلطوا اللغة الرومانية بعدد من الكلمات الروسية ، وجعلوا هذا الخلط

اللغوى يكتب بالابجدية السريالية الروسية بدلاً من الابجدية اللاتينية التى تستخدم فى الغرب ، فقد كان الرومانيون هم الشعب الوحيد فى شرق أوروبا الذى يستخدم الأبجدية اللاتينية لكنهم منعوهم من أستخدام أبجديتهم الخاصة بهم .

وبلغاريا أيضاً سرقت من رومانيا ، هذه هى مقاطعة كادريلاتر وإلى الشرق من بيسارابيا ، هناك مقاطعه تراتسنستاريا ، وهى مقاطعة مكتظة بالسكان الرومانيين ومقاطعة بانات فى يوغسلافيا هى أيضاً مقاطعة عرقية رومانية ، مما يتضح من لغتها المستعمله هناك ، لذا فنحن نشتاق أن تعود كل هذه المقاطعات مرة أخرى إلى الأرض الأم وإلى الأبد ، وهذا ما يجب أن يكون ضمن اهتمامات الكنيسة الرومانية .

إن ما يحزننى بصفة خاصة أن الكتاب المقدس ، وفى العهد الجديد لم يترجم بعد إلى اللغة (الماكدورومانية) التى تتكلمها الأقليات الرومانية فى اليونان وبلغاريا وتشيكوسلوفاكيا ، وألبانيا ، ولقد كانت ليديه وهى المؤمنه الأولى فى أوروبا كانت من مقاطعة مكدونيا (أع ١٦ : ١٢ ــ ١٤) ولابد أن لغتها كانت (ماكدورومانيه) وهى ليست إلا لهجة محلية للغة الرومانية ، لكن الاختلاف فى البيئة بينهما كبير حتى أن الماكدورومانياً لا يفهم الكتاب المقدس الرومانى العادى ، كما هو الحال مع الانجيودروشيان والفرنسية ، الفريزيان والألمانية ، الألمان السويسريين والألمان ، فمع أن السويسريين الألمان لهم بيئتهم الخاصة بهم لكنهم يعرفون الألمانية الكلاسيكية ويرجع

المسيحيون الأوروبيون ذلك الأمر لذاكرة ليدية ، المسيحية الأوروبية الأولى ، انه كان يجب عليها أن تهتم بترجمة الكتاب المقدس إلى اللغة الماكدورومانية .

الشهداء الرومانيون

لقد فقد المسيحيون الرومانيون كثيراً لضعف اتصالهم بمقاطعة بيسارابيا ، فهذه المقاطعة الشرقية التى سرقت بواسطة الاتحاد السوفيتى معروفة بعدد كبير من المسيحيين العظماء .

فالشهيد المعروف فانياموسييف ، كان من هذه المنطقة ، وبالرغم من اسمه الروسى كان رومانياً ولا يعرف حتى اللغة الروسية ، فقد أعطى السوفيت أسماء روسية للرومانيين فاسم الشهيد كان مويسى لكنهم جعلوه موسييف ، لقد كان الشهيد موسييف جندياً فى الجيش الأحمر الروسى ، وكان له نفس الايمان الذى كان لنا مع إختلاف واحد وهو أن إيمانه كان إيماناً معدياً ، فالايمان الحقيقى مثل الانفلونزا ، فإن أصبت بالانفلونزا فهذه عدوى ، وهكذا الايمان ، ففى سجنه تجدد وتغير الجنود والضباط الذين تعاملوا معه فأمره القائد أن يصمت وأن يتجنب الكلام عن إيمانه وأن يتوقف عن الترنيم فأجابه « ترى ما الذى يمكن أن يفعله العندليب إذا أمروه بأن يصمت عن التغريد ، لاشك أنه لا يستطيع أن يتوقف عن ذلك وهكذا أنا أيضاً » .

لذا عذبوه كثيراً ثم أماتوه غريقاً بعد أن ضربوه عدة مرات فوق قلبه ، وبينما كان تحت العذاب والاضطهادات ، أرسل كلمة لأمه يقول فيها « لقد أذاقونى عذاباً أليماً ، وربما أموت بين أيديهم ، لكن لا تبك يا أمى فإن ملاكاً أرانى أورشليم السماوية ، ويالها من مدينة جميلة ، ليتك تعملين ما فى وسعك لتقابلينى هناك » . [وكان عمره يومئذ واحد وعشرين عاماً ، ففى هذا السن كان يتخيل أنه يستطيع أن يمنع أمه عن البكاء عليه] .

فهل رأى فانيا حقاً هذا الملاك ؟ فمع أن الناس يمكنهم أن يصابوا بالهلوسه ، لكن لدينا الدليل على أنه رآه حقاً ، لأنه مع كونه صبى فلاح غير متحضر ، إلا أنه وصف الملاك بطريقة لا يستطيع أن يصفه به أستاذ فى علم اللاهوت ، واستمر فانيا فى حديثه قائلاً « إن الملائكة مخلوقات شفافه ، فعندما يقف أحدها أمامك ويقف رجل خلفه لا يمنعك وجود الملاك بينكما من رؤية الرجل ، وعلى العكس فإنك ترى ما خلف الملاك بصوره أفضل ، فسترى كل الناس أجمل عندما تنظر من خلال الملائكه ، حتى أنه يمكنك أن تفهم وتقدر قيمة كل إنسان حتى ذلك الشخص الذى يعذبك فى السجن لأجل المسيح .

كثيرون يتأسفون لأنهم لم يروا ملاكاً قط إنهم مخطئون ، فإنك ترى ملاكاً بمجرد أن تقبل إنساناً لا تحبه ، وبمجرد أن تحب شخص يؤذيك ، نعم إن فانياموسيف هو مفخره لأمتنا الرومانية .

شهيدة أخرى هى صوفيا شيرياك ، منذ أن كانت فى سن الثامنة

عشرة من عمرها وهى تعمل فى أحدى المطابع السرية تحت الأرض والتابعة للكنيسة المعمدانية السرية السوفيتية غير المعترف بها هناك ، وقد حبست هذه الشهيدة نفسها فى غرفة ضيقة مليئة بالماكينات ، والورق ، والأحبار ، وكميات من الكتب التى لم تترك لها مكاناً كافياً للحركة ، وهواءً راكداً لا يصلح للتنفس ، فلم تشرق الشمس أبداً هناك ، فمرضت لكنها لم تكن تستطيع أن تذهب إلى الطبيب فالقاعدة المتبعة فى هذه الحالة أنه بمجرد أن يصبح الفرد عضواً فى جماعه مغامره مثل هذه لا يمكن أن يتركها إلا إذا قارب الموت ، فعندما أخذوها إلى المستشفى أخيراً ، كان الوقت متأخراً فماتت ، لذا فإن صوفيا كانت شهيدة رومانية ضحت بحياتها لكى ما تعطى النور للأمة الروسية التى احتلت بلادها عن طريق طبع الكتاب المقدس لهم .

شخصاً سيرابياً آخر وهو أب الاعتراف المشهور نيكولاى هوريف الذى اُعتقل مرات كثيرة فى السجون السوفيتية وكان يخرج كل مره أقوى إيماناً من سابقها وهو مثال مضىء للآخرين وبين كل ما قاله وكتبه ، فإننى أقدر أكثر الكل صلاة قال فيها « يا رب أنت راعىّ إلى الأبد وأنا حمل فى قطيعك إلى الأبد ، ليت عصاك تظل فى يدك دائماً ، حتى عندما أكون فى خطر تحمينى من كل أعدائى ، وعندما أضل عن طريقك إلى طرق خاطئة بسبب التجارب أو الخوف من الصعوبات ، فانك تستخدم عصاك لتعيدنى إلى الطريق الصحيح ، وكل ما أسأله يا ربى غير ذلك الذى أطلب منك الآن فلا تستجيب » .

هل سألت عزيزى القارىء الله يوماً ان يتجاهل صلاتك وطلباتك اذا كانت سوف تعيقك عن أن تصبح قديساً ؟ إننا نأمل أن تتحد حالاً بيسارابيا ، وبقية المقاطعات الأخرى التى كانت قبلاً رومانية إلى الأرض الأم ، ففى هذه اللحظات نعيش فى حقيقة أن لنا جسداً شيوعياً عليلاً لا يستطيع أن يعيد اتحاد كل رومانيا لتصبح فى صورتها المثلى .

اعترافات

كثيراً من أترابى الرومانيين تعودوا على سماع الاعترافات ، ففى زيارتى هذه لرومانيا لم يكونوا يسمحون لى أن أذهب إلى السرير حتى وأنا أعانى من الارهاق الشديد بعد أن أعظ مرتين أو ثلاثه فى اليوم ، لأن البعض من اصحاب القلوب المثقلة كانوا يسألوننى أن أستمع إليهم فربما يكون من الأفضل لأب الاعتراف أن يكون متعباً ، لأنهم عندئذ سيتكلمون معه قليلاً ولا يقاطعونه كثيراً ، تاركين كلمات ودموع التوبة تنهمر منهم .

وللأسف فلم يعترف أحد من المتعاونين الأساسيين مع الشيوعيين أو الخونة المعروفين بهذه الخطية بالذات فلقد تقابلت مع رجال أبلغوا السلطات عن أخوتهم فى الإيمان ، وهم يعرفون مدى ما سيعانونه من عذاب نتيجة لذلك ، فعندما قبض على ، نطق سهواً ضابط البوليس الذى كان يحقق معى باسم أحد الذين أبلغوا عنى ، وفى مرة أخرى

أعطى لى البوليس البلاغ الذى قدم فىّ لاقرأه ، مثل هؤلاء المذنبون المتطرفون فى ارتدادهم لم يعترفوا مطلقاً ، بما فعلوه من سيئات ، انهم يعترفون فقط بالصغائر فى حياتهم لكن حزنهم العميق والذى لا يتناسب مع ما يعترفون به من خطايا يوضح أنهم يحملون ذنوب ثقيله حتى ولو كانت غير معلنة .

لقد فهمت كيف قال قايين لله بعد أن قتل أخاه « ذنبى أعظم من أن يُحتمل » (تك ٤ : ١٣) ، وعندما يلوم الضمير شخصاً ما على خطية كبيرة ارتكبها فإن الذاكره تقول له « أنت لم ترتكب هذه الخطية ، وعادةً ما تنجح الذاكره ، بأن تقنع الضمير بذلك ، وهذا ما حدث فى ألمانيا ، فلقد كان من الصعب أن يُعرف أن ملايين من اليهود قتلوا ، فسكت الضمير وربحت الذاكرة المعركة ، وقالت « لا لم يحدث ذلك » اننى أعرف صعوبة الاعتراف بأسوأ خطية ارتكبتها فى حياتى ، وكرهى للاعتراف بها لأى إنسان حتى الله ، ولكن من الجانب الآخر ، يقول لى العقل والمنطق ــ وهما عادةً على صواب ــ إنه ليس من الحكمه إن يقف إنسان فى الكنيسه ويخبر أحد من الناس بخطاياه .

فلقد تسبب أحد المبشرين الأمريكين فى تدمير كثير من الأطفال فى المسيح ، عن طريق اعترافه فى التليفزيون وأمام ملايين السامعين بخطية لم يكن يعرفها سوى أثنان أو ثلاثة أشخاص فى رومانيا يوجد راهب أرثوذكسى يدعى أرسين بوكا ، دائماً يقول للتائبين « إننى

أعرف صعوبة أن تقص علىّ بعض الأمور التى عملتها ، لذلك سأخبركم أنا بها » فقد كان هذا الراهب ذا بصيرة لكن المعترف لا يريد مثل هذه النوعية فإنه لشىء يدعو إلى الجنون أن يعرف شخص ما كل خطايا محدثه ، لذا كن متواضعاً ، وكن سعيداً بما قد اعترفت به فإن الله إله متواضع فلم يعترف داود ، أو منسى بكل تفاصيل ما إرتكباه من خطايا ، لكن داود قال ببساطه لناثان النبى « أخطأت إلى الرب » (٢صمو ١٢ : ١٣) ولا يطلب منك أكثر من ذلك .

على أى حال فإن أولئك الذين أقترفوا أكبر الخطايا فى ظل الحكم الشيوعى ، لم يعترفوا بالرغم من أن بعضهم ، اتخذ قراراً فى قلبه بالتغيير ، وستتعجب عندما تعرف مَنْ هم الذين كانوا يعترفون بالدموع إنهم أفضل الناس ، واكثرهم بطوله فى عمل الايمان ، فبعضهم يشعرون بالذنب ، حتى لأنهم مازالوا أحياء ، معللين ذلك بأنهم اذا كانوا أبطالاً فى كل الوقت الذى قضوه فى السجن — وبالطبع لا يستطيع أحد أن يكون كذلك كل الوقت — وإذا كانت لهم الشجاعه أن يعترضوا على ضرب الأبرياء ، لكانوا قد ماتوا من التعذيب .

والبعض كانوا يشعرون بعقدة الذنب لأنهم إشتركوا فى الكنيسة السرية ، مما أدى إلى تدمير عائلاتهم واضطر أولادهم أن يأكلوا من صفائح القمامة ، لأن أباهم وأمهم قد قبض عليهم بسبب إيمانهم بالمسيح ، مما جعلهم منبوذين من الحكومة ، يعانون من المرض ،

ويطردون من مدارسهم ، وكانوا دائماً يلومون أولياء أمورهم قائلين « لو أن أبى ظل هادئاً مسالماً ، كما هو الحال مع الكثير من المؤمنين ، لما كنا حرمنا من فترة طفولتنا » لذلك كان الآباء يخرجون من السجون ليجدوا أطفالهم مشردين ، وزوجاتهم فى مرارة أيضاً ، لذلك يشعرون بأن كل هذا هو ذنبهم .

إنه من الصعب أن تربح فى هذه الحياه ، فبعض الأبناء يقومون ضد أبائهم اذا ما لعبوا دور الخونة فى الأحداث ، فهؤلاء الأبناء لا يستطيعون أن يتحملوا فكرة أن يكونوا أولاد يهوذا ، والكثيرون يعانون من عقدة الذنب لأنهم كذبوا على البوليس عندما حقق معهم ، لكى ما يحموا أنفسهم أو يخفوا الآخرين من القبض عليهم ، فقد تعلموا الأمانة المطلقة ، ولعله من الحكمه لأمثال أولئك من المؤمنين أن لا يشتركوا أبداً فى عمل سرى ، فانه من المستحيل على الفرد أن يعتبر أنه لابد أن يقول كل الحق فى كل وقت ، وأن هذا مبدأ مقدساً .

قال لى مهرب للكتب المقدسة من الغرب إلى الشرق « إننى لم أكذب أبداً » فسألته عندما طلبت أن تأخذ تأشيرة الدخول إلى روسيا أو رومانيا ، ما الذى قلته لهم كسبب لزيارتك لهذه البلاد . فقال سياحة ، قلت فهذا كذب .

فالكذب فى مثل هذه المواقف للدفاع عن النفس ، أو للدفاع عن الأبرياء ، أو الكنيسة ليس هو بالحقيقة كذب ، فعندما كان بولس

فى خطر الموت دافع عن نفسه أمام مجلس الكهنة بهذه الكلمات « أنا فريسى ، بن فريسى ، على رجاء القيامة من الأموات أنا أحاكم » (أع ٢٣ : ٦) ولم تكن هذه هى الحقيقة ، لكن أولئك الذين يشعرون بعقدة الذنب لأنهم كذبوا تحت أى مسمى من المسميات يقولون « إنه إذا اكتشف البوليس الشيوعى أننى كذبت عليهم فى أى أمر سألونى عنه ، كيف يصدقون ما اخبرتهم به عن الخلاص .

والبعض لديهم أمر آخر فى قلبهم ، فهم لم يروا أى أمرأه لسنين طويلة ، قد تصل إلى بعض العقود ، لذا بعد أن أطلق سراحهم ، فإنهم يرون ان كل سيدة أو فتاة يشاهدونها هى تجربة لا يمكن مقاومتها (بالطبع كان هذا الشعور أقل حدة عند الكهنة الكاثوليك الذين تتلمذوا على حياة العزوبية مما هو الحال مع الإنجيليين) ، لذا فقد كنت أخبر كل منهم عن دم المسيح الذى يطهر من كل خطية فتجد النفوس راحتها فيه ، فإن مثل هذه المحادثات بين اثنين كانت لها نفس الأهمية عندى لعظة تلقى على الآف السامعين .

لقد كان لى شخصياً شرف معرفة العديد من آباء الأعتراف ، كان أحدهم مرسل انجليزى لليهود الرومانيين ، ويدعى ديفيد أدينى ، كان هذا الأخ يبكى عندما يعترف له أحدهم بخطية كبيرة إقترفها ، وكانت دموعه تتكلم دون أن يضف إليها كلمة واحدة ، ولقد عرفت أيضاً الأسقف اللوثرى فريدريك موللر ، كان دائماً يجيبنى بغض النظر عن الخطية التى اعترف بها إليه قائلاً « وأنا أيضاً ارتكبت هذه الخطية »

فهى خطية الجنس البشرى ، بالضبط كما أن الغفران هو عطية الله ، عرفت أيضاً الكاهن الأرثوذكسى سوريانو الذى قال لى عندما اخبرته بعدة خطايا من خطاياى « نعم لقد ارتكبت خطايا كثيرة ، وبعضها شنيع ، لكن احترس من خطيه واحده ، وهى اليأس ، إياك أن تصدق بأن خطاياك أكبر أو أعظم من نعمة الله ، فلا يوجد إطلاقاً ما لا غفران له من خطايا عند الله ، فهو يغفر لأجل خاطر المسيح ، اذهب بسلام .

الأخ الذى مات لأجلى

لكل شخص كان يأتى لزيارتى فى المساء ، كنت أروى قصه تعودت أن أقولها للصوص والقتلة الذين كانوا معى فى المعتقل ، وهى أيضاً تصلح للقديسين ، الذين يحملون داخلهم عقدة ذنب من جرم ما ، واقدمها أيضاً لتعزية القارىء دون النظر لما صنعه من خطايا كثيرة كانت أم قليلة .

منذ زمان كان هناك أخان ، كان الأخ الأكبر صالحاً ومخلصاً ، أما الأصغر فكان مستبيحاً معاشراً لأصدقاء السوء ، وقد تعود الأخ الأكبر أن يصلى ضارعاً إلى الله ، متوسلاً إليه أن يغير حياة أخيه الصغير ، لكن توسلاته كان يبدو أنها تذهب أدراج الرياح ، وفى ليله عندما كان الأخ الأكبر يذاكر دروسه اندفع الأصغر داخل حجرته متوسلاً إليه ، أنقذنى ، فإن البوليس يطاردنى ، لقد قتلت رجلاً ،

وكانت ثيابه ملطخة بالدماء ، فأدرك الشقيق الأكبر الموقف وخطورته ، وقال لأخيه « سأنقذك دعنا نتبادل الثياب فأخذ الأخ الأكبر الثياب الملطخة بالدماء ، ثياب الجرم والقتل وسفك الدماء ، وأعطى لأخيه الثياب البيضاء النظيفة .

ولم يكد كل منهما أن ينتهى من لبس ثياب الآخر ، حتى داهم البوليس البيت وقبض على الأخ الأكبر ، الذى كان يرتدى الثياب الملطخه بالدماء ، وأحضروه أمام القاضى ، واعترف أنه مذنب قائلاً « أنا أحمل كل المسئولية عن هذه الجريمة ، ونظراً لتوافر الأدلة ضده أمام القاضى ، من مطاردة البوليس له ، والثياب الملطخة بالدماء ثم الاعتراف من جانبه ، لذا لم يكن لدى القاضى أى شك فى أن هذا هو المذنب فحكم عليه بالاعدام ، ثم سأله عن رغبته الأخيرة قبل تنفيذ الحكم فيه ، فقال من جُعِلَ مجرماً أريد أن يتسلم أخى الصغير هذا الخطاب ، الذى اعددته له . فى نفس اللحظة التى يتم فيها تنفيذ حكم الاعدام فىّ .

فوافق القاضى على تلبية رغبته وتسلم الأخ الأصغر الخطاب فى اليوم التالى وعندما فتحه قرأ ما به « حبيبى أخى الصغير ، ... فى هذه اللحظه عينها ، أنا أموت بدلاً عنك وفى ثيابك الملطخة بالدماء ، ... ولأجل جريمتك أنت ، لكى ما أخلصك من العقاب والموت الذى كنت تستحقه ، وأنا سعيد بل ومسرور بأن أقدم هذه التضحيه لك وأموت عنك ، لكننى أريدك وأنت تلبس الملابس

البيضاء النظيفة التى أعطيتها لك ، أن تحيا حياة البر والطهارة ، فلا تلطخ ثيابى مرة أخرى ، وليس لى أى مطلب آخر أطلبه منكَ » ، وعندما قرأ الأخ الأصغر هذا الخطاب جرى ليوقف هذا الحكم الرهيب ، مدفوعاً بشعوره بالذنب على ما ارتكبه ، لكن الوقت كان متأخراً ، ونفذ حكم الاعدام فيمن لم يرتكب جرماً ، وذهب الصغير إلى القاضى معترفاً بجريمته ، لكن القاضى لم يشأ أن يسمع له قائلاً « القاتل قد دين ونفذ فيه الحكم ، وما بينكم أنتم الأخوة لا يهمنا نحن » .

وبعدها كلما دعاه الرفاق الأولون لحفلات الشرب والسكر وفيض الخلاعة ، كان يقول لهم « فى هذه الثياب البيضاء التى تركها لى أخى ، الذى أعطى حياته للموت بدلاً عنى ، لا يمكننى أن أعمل الأعمال الشريره التى كنت أعملها قبلاً .

أنت أعطيت ملاكا

زرت بيتاً مسيحياً لاثنين قد تزوجا على يدىّ منذ أكثر من أربعين عاماً مضت ، فذكرونى بالعظه التى ألقيتها فى حفل زفافهما ، قلت لهم يومئذ :

« فى الليلة الماضية لم أستطع أن أنام ، وكنت متحيراً فيما عساى أن أقوله لهما فى حفل زفافهما ، وكانت زوجتى قد نعست بجوارى ، ووجدت أنه من الصعوبة علىّ أن أجد شاهداً كتابياً استخدمه فى

هذه المناسبة ، ولم يبق إلا عدد واحد من الكتاب المقدس ظل يطرق عقلى « لا تنسوا إضافة الغرباء ، لأن بها أضاف أناس ملائكة وهم لا يدرون » (عب ٢٣ : ٢) ، لكننى تجاهلته ، فكيف يمكن أن يبنى أحد فى حفل زفاف عظته على هذا العدد ؟

وحيث أن هذه الكلمات ظلت تتردد فى ذهنى ، أخذت أفكر ، مَن مِن كل ضيوفنا الذين أتوا إلى بيتنا كان هو الملاك الذى إستضفناه ، فالبعض يمكن أن تثبت بسهوله أنهم كانوا شياطين ، والبعض أناس لطفاء ، لكن هل يمكن أن يكونوا ملائكه ؟ ! ولم أجد أحداً يمكن أن يوضع فى هذه الفئة ، ثم استدرت إلى زوجتى النائمة ، وقلت لنفسى « هذا هو الملاك الذى استضفته دون أن أدرى » وكان هذا العدد هو المرجع لى وأنا القى عظة الفرح ، « فأنت إيها العريس قد تسلمت الآن ملاكاً » .

لقد عومل الملائكه بطريقه سيئه فى سدوم ، والبعض لم يعتبرهم الناس لكنك اليوم مطالب أن تعطى لزوجتك هذه كرامة كتلك التى يستحقها الملاك إذا جاء ليتكلم معك . أربعون سنه مضت ولم يزل يدعوها لا باسمها بل « يا ملاكى » .

إن ٥٠٪ من حالات الزواج فى أمريكا تنتهى بالطلاق ولعله بنسبة كبيرة من هذا النصف أيضاً قد تمزق بسبب المشاجرات العائلية . حتى أن عدد كبير من القسوس طلقوا زوجاتهم ، لكننى أفرح أنه ليس الأمر كذلك فى رومانيا ، فالطلاق بين الإنجيليين شيء نادر الحدوث.

ويمكننى أن أقول بصدق إن السبب فى هذا الوضع يرجع إلى ارتفاع الحياة الروحية بين المؤمنين ، لكن هناك أيضاً سبب آخر قريب من المنطق الأرضى وهو صعوبة الحياة فى رومانيا ، فإن الزوج والزوجة ليس لديهم ما يكفيهم من الوقت للتشاجر بعد يوم طويل من العمل المضنى ، والاضطرار للوقوف فى طوابير طويلة لعدة ساعات لشراء احتياجات حياتهم الأساسيه . فلقد قال لى شخص ما « إن شقتنا لا يتم تدفئتها فى الشتاء لأن فاتورة الكهرباء ، ستصبح باهظة التكاليف ، ولا يمكننا أن ندفع نفقات إشعال كثير من المصابيح فى البيت ، لذا فإن الجو المناسب للمشاجرة غير متوافر لنا فلذلك فقد نسينا الشجار .

ولكن على العكس من ذلك فإن الغنى والراحة فى الغرب يشجع على الطلاق ، فلقد تقابلت مع زوجين طلقوا بسبب مشاجرة حول كيفية إنفاق الفائض لديهم فى ما لا ينفعهم لذا فلو أعطى المسيحيون الفائض لديهم لاهتمامات أفضل ، لابد أن تقل نسبة الطلاق عندهم بصورة ملحوظة .

المسيحية والشيوعية

وهذا يقودنى لأعبر عن بعض الأفكار القليلة عن العلاقة بين المسيحية والشيوعية ، لقد لاحظت منذ زمان بعيد ان البشرية الساقطة ، لم تعرف نظاماً اقتصادياً — من الناحية العملية — أفضل

من الرأسمالية ، وهذا النظام يتعارض مع الشيوعية ، والحقيقة أنه ليس هناك تعارض أو تضاد مطلق بين المسيحية والشيوعية .

ولعل اسم الشيوعية وهو بالانجليزية Communism يماثل فى مفهومه لبعض المفاهيم الغالية والثمينة عند المسيحية مثل العشاء المقدس Holy Communion واجتماع القديسين The Communion of Saints ، فكل ما قابلت شيوعياً ثورياً مقتنعاً بما هو عليه شعرت بالذنب ناحيته ، وكنت أقول لنفسى هذا مثال خاطىء للشيوعيين لأننى لست أنا المثال الصحيح للمسيحيين .

ونحن نبحث فى هذه الأيام ، كيف يصبح الإنسان مسيحياً ، هل من خلال معمودية الأطفال ، أم معمودية المؤمنين ، وهل المعمودية بالرش أم بالتغطيس ، وهل يقبل الانسان الروح القدس فى نفس وقت تجديده أم هو اختبار ثانى ؟ ترى أية طائفة لابد أن ينتمى إليها الانسان ، هذا إن كانت هناك واحدة يجب أن ينضم إليها ؟

لا فالأمر لم يكن هكذا فى البداية ، ففى سنوات الكنيسة الأولى ، « كان لكل المؤمنين كل شىء مشترك ، وكانوا يبيعون ممتلكاتهم ومقتنياتهم ويقسمونها على الجميع ، كما يكون لكل واحد احتياج » (أع ٢ : ٤٤ ، ٤٥) ، لكن اليوم أصبح من العسير أن تخمن أية كنيسة هى التى تتمم إرادة الله ، هل هى الكاثوليكية ، الأرثوذكسية ، اللوثرية ، المعمدانية ، الخمسينية ، أو حتى الأدفنتست ؟ لكن على أى حال فنحن نثق أن هناك كنيسة واحدة

تأسست حسب ارادة يسوع لها .

فبعد القيامة مكث يسوع أربعين يوماً مع تلاميذه وبالتأكيد أخبرهم عما يفعلون وعلمهم أن الجموع التى تؤمن باسمه ، لابد أن يكون لها قلب واحد ونفس واحدة ، فلا يقول أحدهم إن شىء من ممتلكاته له وإن كل شىء لابد أن يكون للجميع (أع ٥ : ٣٢) وعلى هذا القياس فيمكننا أن نقول أن كل الطوائف المسيحية هى هرطقات . وواضح أن المسيحية المعاصرة التى تتكون الآن من مئات الملايين فى كل القارات لابد أن يكون لها تركيبه معيشية تختلف عن تلك التى كانت للمسيحية عندما كانت تتكون من الآف قليله فى أورشليم ، لكن المبدأ لابد أن يظل كما هو ، فلابد أن نقول جميعنا « لا يعيش أحدنا لنفسه ، ولا يموت لنفسه » (رو ١٤ : ٧) .

قرأ أحد اللاهوتيين من حركة الجيل الجديد ، كتابى « العذاب الأحمر » والذى فيه تكلمت عن الفضائل البطولية للمسيحيين فى الكنيسة السرية تحت الحكم الشيوعى ، فكتب لى يقول «إذا كان المسيحيون اليوم فى الغرب يعيشون كما كتبت أنت عن مسيحى الشرق ، فما كان هناك احتياج لإنشاء حركة الجيل الجديد » ، فأرسلت له تعليقاً على كلامه ، قلت فيه « إذا كنا نحن النوع الصحيح من الشيوعيين ، فما ظهر لنا نوع خاطىء من الشيوعيين ليقاوموننا » .

وفى نفس الأثناء ، فلا يجب أن نخدع أنفسنا ، فإن المثل العليا

للشيوعيين قد فقدت بعض المعارك المهمة جداً ، لكنها مازالت بعيدة عن أن تقهر أو تخمد فإن ربع البشرية كلها تحت الحكم الشيوعى . فالصين وحدها ١,١ بليون ، وروسيا ٢٨٠ مليون ، والتى مازالت تحت حكم الحزب الشيوعى الواحد [حتى لحظة كتابة هذه السطور] .

وهناك شيوعيون فى فيتنام ، أثيوبيا ، زنبابوى ، أنجولا ، وكوبا ، وفى نيكاراجوا ، لا يزال الجيش ، البوليس ، والاتحادات التجارية تحت السيطرة الشيوعية بينما الحكومة تنتمى إلى اتجاهات منقسمة .

ولا يزال هناك الآلاف فى رومانيا والدول الشرقيه ألأخرى — حيث حدث تغيير كبير — يريدون الشيوعية ، بعضهم يريدها ليسترجعوا ما فقدوه ، وبعضهم لأنهم اعتنقوا المبادىء الشيوعية ، وكثير من الاتجاهات السياسية التى آمنوا بها ، وكثير من الحقائق البديهية التى أيدوها قد تحطمت مع سور بارلين ، لكنهم مازالوا متأكدين ، أن المجتمع الذى يكون فيه كل شىء مشترك بين شعبه كل حسب احتياجه ، المجتمع الذى لا يوجد به مليونيرات فى طرف ، ومن لا مأوى ولا بيوت لهم فى الطرف الآخر ، هو المجتمع الذى يفضلونه عن المجتمع الرأسمالى الذى تحركه النفعيه والمصلحه الذاتيه .

فهل يوجد أى مسيحى يحب تعاليم المسيح ، ولا ير أن هؤلاء الشيوعيين على حق ، نعم قد تكون هذه الحقائق غير عملية اليوم ، لكن كثير من الحقائق غير العملية لها قيمه روحية ، فلابد أن نشعر

ببعض الصعوبة عندما نقرأ كلمات السيد « بع كل مالك ، واعط للفقراء ، إن أردت أن تكون كاملاً » .

هل يوجد بيننا شخص ما يتطلع دائماً إلى الكمال ؟ إن إلهنا متواضع وينظر إلى تواضعنا ، وإلى رغباتنا المخلصة ، كما لو كانت حقائق قد تُمِمَتْ ، فإنه من الصعب أن نعود ألفى سنه إلى الوراء لنتمم حرفياً كل وصيه بالضبط ، كما أعطيت . لكننى أشعر برابطة تربطنى بكل شيوعى مخلص ويمكن أن تصل هذه الرابطة إلى محبة من كل القلب ، فحقيقة أننى تعذبت على يد الشيوعية لا أعتبرها دافعاً كافياً أن أرفضها كلها .

لم يعد الشيوعيون يمارسون القتل بالجملة فى روسيا ورومانيا لكنهم واصلوا القتل بالتجزئة ، حيث توافرت لهم عصابات كثيرة فى بلدانٍ عديده ، ومع أنهم قتلة فهم على استعداد أن يموتوا لأجل معتقداتهم ، لذا فلا يجب أن يعاملوا ككمٍ مهمل ، فالشيوعية هى حلم البشرية القديم فى تكوين مملكة يسودها العدل والسعادة ، فمن أين أتت هذه المثالية ، إن لم تكن بقايا الفردوس . فكثير من علماء الإنسانية يعتقدون أن الشيوعية هى النظام المجتمعى البدائى ، أما الشيوعية التى مارسها ماركس فهى لا تزال مرعبة ، واليوم حتى الصحافة الشيوعية فى روسيا تنشر ذلك .

التفرقه بين المثاليات والذين يويدونها

لعل البعض يصدمون عندما يروننى أنا الذى تعذبت كثيراً . لازلت أقول كلمة طيبة عن الشيوعية كمبدأ ، فالحقيقة أنه لا يمكن أن يحدث أى تقدم ذهنى أو روحى لنا ، إن لم نضع حداً فاصلاً بين المثل والتى يمكن أن تكون بالفعل سامية ، وجليلة ، وبين الأفعال الرهيبة التى يمارسها من يدعون أنهم مؤيدوها .

فإذا كنا سنضع فى الحسبان بعض الأفعال الأساسية ، التى ارتكبوها فى مرحلةٍ ما من حياتهم كل من داود ، سليمان ، وبولس ، فسنرفض كتاباتهم ولاعتبرناها غير مقبولة ، إن كثيراً من الجرائم ارتكبت فى حق اليهود والمؤمنين المسيحيين على مر العصور ، وكثير من الإضطهاد أيضاً ، فهل نرفض لذلك كل التعاليم المسيحية ، فالمسيحيون يحبون أعدائهم — كل أعدائهم — فعندهم فهَم بمحبة لما يمكن أن يجعل الإنسان عدواً ، والشيوعيون على الجانب الآخر ، لديهم العواطف الشريرة ، لأنهم تعلموا الشيوعية على يد ماركس ، الذى كان على إتصال بالشياطين ، كما أثبت ذلك فى كتابى — كارل ماركس هل كان شيطاناً ..

إن المسيحيين يستطيعون أن يعلموا ما تعلمه المسيحيون الأُوَلْ مباشرةً من المسيح ، أن يكن كل شىء بينهم مشتركاً ، وأن لا تدعى أن أى شىء هو لكَ ، وأن تشارك الأخوة بما عندك ، وبعد ألفى عام

ونحن نعيش تحت ظروف مختلفه تماماً ، فربما لا نستطيع أن نحيا هذه الوصية حرفياً ، لكن المبدأ الأساسى موجود ، فلابد أن ينكر المسيحيون أنفسهم ، ينكرون أنانيتهم ، ولا يعيش أحدهم لنفسه . دعونا نظهر للعالم أن روح المسيحية الأولى لم تتغير حتى الآن .

إننى أؤمن ، أنه لم تنتشر فى العالم كله شيوعية أعظم وأكثر تأثيراً من شيوعية المحبة والعطاء التى مارسها المسيحيون الأول ، ومازالت تمارس بين جماعات كثيرة منهم حتى الآن ، فهى الحل الوحيد للأمراض الاقتصادية والمجتمعية فى كل العالم ، ولابد أن يصعد العالم بخطواته تجاه هذه المثالية ، لكننا الآن — وعلى كل الأحوال — نرى أن الرأسمالية هى بكل تأكيد أفضل من الشيوعية التى رأيناها .

الرقص فى السجن

ذات مرة وقد كنت جائعاً فى سجن جيلافا ، أتى ضابط من البوليس السرى يدعى ليوتينانت فرانكو ليحقق معى ، وفى غيظى من زيارته غير المتوقعة قررت أن أحقق أنا معه ، سألته عن نفسه وكانت النتيجه أنه قبل المسيح مخلص شخصى له ، وأعطانى وجبة غذائه التى أحضرها لنفسه ، وكان ساندويتشاً من الخبز الأبيض الجميل وأغلى أنواع السجق ، وأعطانى شيكولاتة فخمة للتحلية وهو الآن يعيش فى إسرائيل .

مرة أخرى وفى زنزانة إنفرادية بنفس المعتقل الذى أصبح المركز الرئيسى للجنة المركزية للحزب الشيوعى ، تذكرت كلمات يسوع « إذا ابغضكم الناس ، وإذا أفرزوكم ، افرحوا وتهللوا » (لو ٦ : ٢٢ ، ٢٣) ، وبدا لى وكأننى قد أهملت واجباً روحياً لأننى فرحت لكن لم أتهلل وأقفز من الفرح كما علمنا يسوع أن نعمل . لذلك بدأت فى الرقص حول الزنزانة . فتأكد الحارس الذى كان يراقبنى من فتحة الباب أننى جننت ، وكانت الأوامر تصدر للحراس أن يعاملوا المجانين معامله حسنة حتى لا يكسروا الصمت الرهيب الذى يسود على السجن ، فلكى يهدأنى ، أحضر لى رغيف كبير من الخبز وقطعة جبن ، وقطعتين من السكر .

لذا فرومانيا لابد أن تفعل ما يتوقع أن يفعله كل المؤمنين عندما يكونون تحت ضغوط كبيرة ، لا تعملوا شيئاً عملياً لتعالجوا وضعاً لا يمكن علاجه ، فقط مجدوا الرب ، غنوا وارقصوا إكراماً له والملائكة ستهتم بباقى أموركم ، ليس فقط على مستوى الأفراد ، بل على مستوى الأمة جمعاء . لقد أمرنا أشعياء « بالهدوء والثقة » (اش ٣٠ : ١٥) ، ولعل البعض سوف يبعد عنه هذه النصيحة الغبية ، لكنه لأمر فى غاية الجدية والعملية أن نصبح أغبياء فى المسيح عن أن نكون حكماء ونغضب غضب الجهلاء لأجل وضع لا يمكن تغييره .

لما عدم الاعتذار

لقد عمل الانجيليون الغربيون والجماعة الكاثوليكية الكثير كعمل تلقائى لمساعدة الشعب الرومانى فى احتياجاته منذ قيام الثورة . فأرسلوا لهم كميات كبيرة من الكتب المقدسة والكتب المسيحية القيمة . لكن هذا غير كافٍ لإقامة علاقات طيبة بين الشرق والغرب .

فبعد الحرب ، عرفت الكنائس الألمانية أن النازيين قتلوا ملايين اليهود ، فقدموا إعتذاراً عاماً لأنهم ساعدوا النازيين أو على الأقل جعلوا المذابح الجماعية تحدث وتمر دون أن يحتجوا على ذلك أو يساعدوا المضطهدين على النجاة ، وقد اكتشفت الحكومة الألمانية الديمقراطية نفسها ذنبها وأعطت كميات كبيرة من المال ، لإعادة تأهيل الضحايا الذين مازالوا على قيد الحياة .

لقد سُلِّمت رومانيا والدول الأوروبية الشرقية لأيدى السفاحين الشيوعيين — وهذا شيء معروف — بواسطة بريطانيا وامريكا فى يالطا حتى قال تشرشل فى مذكراته إنه بعث بقصاصة من الورق إلى ستالين — والذى كان قد وصفه قبلاً بأنه مجرم دموى — بالاقتراح التالى « أعطنى اليونان وستصبح رومانيا لك » ، وتصرف مع رومانيا كما لو كانت أحدى ممتلكاته الخاصة ، ولقد وافق روزفلت على ذلك ، عندما قرروا أن يعطوا أممهم لحكام يكرهون الله وكان نتيجة ذلك

أن مات مئات الآلاف من الأبرياء واستعمرت بلادى .

وفى مؤتمر الفاتيكان الثانى كان الكرسى البابوى جسد دينى يقف ضد الوجود الشيوعى ويدافع عن المضطهدين ، ولكن بعد مؤتمر الفاتيكان الثانى تخلوا عن حملتهم ضد الشيوعية ، وفى نفس الوقت بدأ مجلس الكنائس العالمى فى إنتقاد الدول الغربية بشدة ، لأنها كانت تقوم بفضح الفظائع الشيوعية فى البلاد الشرقية ، وبدأ المجلس فى تأييد اللاهوتيات التحريرية والتى كانت تعنى بالنسبة له التحرر من الرأسمالية لكنها لا تعنى على الإطلاق التحرر من فساد الشيوعية وحذت حذوهم الكيانات البروتستانتيه (الكبيرة) كاللوثريين واتحاد الكنائس المصلحة ، ففى أثناء سنوات العذاب الرهيبه فى رومانيا ، زارها العديد من الأساقفة والرعاة والمبشرين المشهورين ، لكن أحدهم لم يجد كلمة واحدة يدافع بها عن المعذبين .

لذا فلقد تركزت تلك الحقيقة التى حدثت سنة ١٩٣٥ عندما كان هتلر يحكم ألمانيا ، فقام اتحاد الكنائس المعمدانية العالمى ، باختيار بارلين لعقد مؤتمرهم العالمى ، وبينما كان هتلر ينفذ برنامجه فى إستئصال اليهود من عالمه وكان هذا أمراً معلناً ومعروفاً ، وبينما كان الحاضرون لذلك المؤتمر يقتبسون الآيات الكتابية التى كتبت بواسطة الشعب اليهودى عن الرب يسوع المسيح الذى كان يهودياً حسب الجسد وهم يتكلمون عن معاناته وصلبه لم تذكر هناك كلمة لمساندة اليهود الألمان الذين كانوا يقتلون بالجمله ، ولم يحضر ذلك المؤتمر سوى مسيحى

أمريكى يهودى الأصل فقط من كل الحاضرين ولكنهم لم يسمحوا له بالتحدث من المنصه .

ولقد قرأت فى أحدى المناسبات تقريراً لأحد الأساقفة الانجليكان حول زيارته إلى رومانيا حيث كتب فيه الكثير عن وجبات الإفطار الفاخرة التى أكلها وعن وجبات الغذاء والعشاء ، لكنه لم يقل شىء عن المعتقلين الجائعين فى السجون واليوم فإن قادة المسيحيين يتم الترحيب بهم فى رومانيا ، لكنهم لابد لهم أن يعبروا ولو ببعض الكلمات عن توبتهم الحقيقية ولعل عليهم أن يعلنوا على الملا أنه خلال سنوات العذاب والارهاب فى رومانيا ، لم تتضمن قوائم صرفهم على جنيه واحد ، أعطى لعائلات الشهداء المسيحين ، الذين لم يتسلموا ولا طرداً واحداً من الأكل آتياً من الخارج ، وعلى النقيض من ذلك فقد أعطى مجلس الكنائس العالمى مبالغ ضخمة لبعض القاده فى البلاد الشيوعية وأول ما عملوه فى بلادهم أنهم قتلوا المسيحيين . مره أخرى أقول إساجين لم تتلق أية نقود على الاطلاق .

علم وأيضا تعلم

هناك شىء آخر لابد أن يقال عن العلاقة بين الغرب والكنيسة فى رومانيا ، (وأيضاً للبلاد الأخرى فى المعسكر الشرقى سابقاً) . وهو أنه يمكن للمؤمنين الغربيين تدعيم الرحلات الباهظة التكاليف ليذهبوا ويعلموا الآخرين ، لكن لماذا لا يدعون المؤمنين الروسيين أو

الرومانيين ليبشروا فى الغرب ؟ لماذا لا يكون هناك سوى المبشرين الغربيين كمتحدثين أساسيين فى التجمعات التبشيرية الكبيرة ؟ وهذا ما لم يكن يحدث فى الكنيسة الأولى ، فهناك رجال أمثال بولس يشاركون بأسرار المسيح التى تعلموها وهم فى السلاسل . فالأيادى التى قيدت بالسلاسل يمكنها أن تنقل البركات ولابد أن تكافأ بهذا الامتياز ففى العصور الأولى اهتم المؤمنون بكنيسة روما لأنها قدمت أكبر عدد من الشهداء .

دعونى أقدم أضافه أخرى ، ففى الكنيسة الرومانية لا تلبس النساء أية جواهر ولا يضعون مساحيق التجميل ومن تعمل ذلك من المؤمنات لاتقبل كعضواً فى الكنيسة ، كما أن التدخين وتناول الخمر أمر ممنوع منعاً باتاً حتى المبشرين الأمريكيين الذين يلبسون خاتم من ذهب ، وتضع نسائهم أحمر الشفاه لا يقبلهم الشرقيون لذا فمن المفيد أن يعرف الغربيون ذلك .

واجب الصراخ

كثير من المبشرين الغربيين توفرت لهم فرصة للدراسات اللاهوتية ، التى يمكن أن تكون مفيدة جداً لهم لكن كثيرين من الوعاظ الرومانيين وأيضاً الروسيين والبلغاريين ... الخ ، لم يحضروا آية حلقات دراسية ، لكنهم مكثوا فى زنزانات مظلمة وفى جوع وضربات وعذاب من البرد ، ومع أننى لا يمكننى أن أوضح لماذا يحدث كل ذلك ، لكننى

أقول إنه فى بعض الزنزانات فى الظلام وتحت شدة البرد القارس ، لم يستطع المساجين أن يمسكوا انفسهم عن الصراخ والعويل ، ولقد قال الله « أنا أصرخ على موآب (ارميا ٤٨ : ٣١) .

وقبل أن أدخل أنا مثل هذه الزنزانات ، لم أكن أتخيل مدى معاناة الله الشديدة لأجل الخطاة ، انها جعلته يصرخ ، وهذه بالفعل اعلان عن محبة الله .

يمكن تعلمه بأفضل طريقه من أولئك الذين دخلوا هذه المدرسة ، فهم تمموا وصية عجيبة من وصايا الله « إصرخوا على بابل » إصرخوا لأجل أسوأ اعداءكم من الناس ، لقد كنا نصرخ فى هذه الزنزانات لأجل معذبينا الشيوعيين ، عالمين أنه إن فعلنا ذلك ، « أنهم سيشفون » (ارميا ٥١ : ٨) .

واعتبرنا ذلك فى غاية الأهمية أنه لابد أن يتدرب الخادم على بعض العقائد الأساسيه والظروف المحليه ، واللغات العبرية واليونانية ، وتاريخ الكنيسه ، ولاشك أن الغرب يمكن أن يمدنا بأساتذه لهذه المواد ، لكن الخدام لابد أن يتدربوا على الصراخ حتى يصبحوا أناس يشعرون أنهم سيموتون إن لم تخلص النفوس ، قال النبى يوئيل « ولولوا يا خدام المذبح » (يوئيل ١ : ١٣) فلابد أن يقلد الوعاظ ميخا الذى قرر فى لحظةٍ ما « أنوح وأولول » (ميخا ١ : ٨) ، لا لم يقل « سأعظ وفقاً لقواعد البلاغة » . ربما يستطيع الوعاظ الشرقيون أن يعلموا الغربيين كيف يبكون عندما يطعنهم أحد بسكينة الغدر والخيانة ،

كيف يثقلون ويتحملون المعاناة لأجل كرامة وصالح الكنيسة المقدسة .

ويضيفون على ذلك أن المعاناه الكبرى لا تأتى بسبب خساره لإحدى المعارك (مع أنه لا يستطيع إنسان أن يربحها كلها) ، ولا بالجروح الجسدية ، لكن تأتى المعاناه بواسطة أخوة وأخوات لا يحملون الصليب ، ولا يحاربون المحاربة الحسنة ، ويتخلون عن أحلامهم المقدسة ، يعلمونا كيف يمكن أن تبتسم ليس فقط عندما يعزينا الأصدقاء أو عندما تفرش طرقنا بالورود ولكن أيضاً عندما يحيط بنا الأعداء وعندما تنزع الأظافر من أجسادنا .

ابتسامه سماويه

ونحن نتكلم عن الابتسامات ، دعونى أخبركم عن أحد الرفاق المساجين ، والذى لم أره فى زيارتى هذه للأراضى الرومانية ، لأنه الآن فى المكان الأفضل جداً فنحن عادة نتخيل القديسين لكونهم فى السماء ، أنهم فى أماكن بعيدة عنا ، لكن الكتاب يخبرنا فى عبرانيين ١٢ : ١) أنهم يحيطون بنا هم دائما يهتمون بما خلفوه خلفهم ويشتركون معنا فى حروبنا ، وهم مصدر إلهام لنا بكل ما تحويه الكلمة من معنى .

فقد قيل عن تلميذ لجون كريستوم أعظم واعظ عرفته المسيحية

إنه تسلل إلى الحجرة التى كان يعد فيها استاذه عظة روحية ، فرأى كائنين عجيبين يهمسان ببعض الأشياء فى أذنيه وبدافع من الفضول سأل التلميذ استاذه عن هذه الكائنات الغريبة وتلقى منه الجواب « انه لمن الخطأ أن تتسلل إلى هنا ، لكن حيث أنك فعلت فسوف أخبرك ، فهؤلاء هم الرسول بولس والرسول يوحنا اللذان يقترحان علىّ فى بعض الأوقات ما ينبغى أن أعظ عنه ، قد تبدو هذه القصة خيالية وغير واقعية ، لكن الحقيقه تبقى أننا فى رفقة القديسين على الدوام ، وأنه لمن المفيد لأولئك الذين يزورون رومانيا ، ليس فقط أن ينظروا حولهم ليروا القديسين الأحياء ، لكن أن ينظروا إلى فوق ومن خلال الروح القدس يلمحون أولئك الذين فى المجد والذين يحيطون بهم .

أنا أتذكر ميلان هيموفيسكى راعياً مسيحياً قضى سبعة سنوات فى المعتقل وقد أُعجِبَ حتى أعدائه بشجاعته ، فقد كان يعترض ضد أى عمل غير مقبول من الحراس رغم أنه كان يعرف أن هذا الإعتراض سوف يعرضه للضرب بوحشيه .

وذات مرة كنت فى زنزانة كبيرة كانت تضم أكثر من مائة شخص تقريباً كنا قد حشرنا فيها فى بؤسٍ شديد بلا أى مكان للحركة حتى لخطوات قليلة ، مغموسين فى القذاره والرائحة الكريهة ، حيث كان من المستحيل أن ننام فى المساء فمن الطبيعى أن يوجد ثلاثة أو أربعة بين هذا الحشد من الناس يشخرون كلٍ بنغمة مختلفة ، وعندما يسكتون يبدأ آخرون والبعض يسعلون ويعطسون وآخرون

يتشاجرون ....وهكذا

وكنا فى هذه الزنزانه مسيحيون من طوائف مختلفة ويهود وملحدون ، رجال من كل الهيئات السياسية والمستويات الإجتماعية ، وكان بينهم ميلان الذى كان دائم الشهاده عن المسيح رغم أنه لم يكن يمتلك كتاباً مقدساً ولم يرأى كتاب آخر لمدة سنين عديده ، ولم يكن يعرف إلا الكلمات القليلة « أنا أعرف يسوع ، أنا أمشى وأتكلم معه » . مما دعى أستاذاً من اكاديمية العلوم الملكية أن ينتهره قائلاً « يسوع منذ ألفى عام مضت ، كيف يمكن أن تتكلم معه ، وحتى مع التسليم بانه قام من الأموات كما تدعون أنتم المسيحيين ، وذهب إلى السماء ، فإن هذا المكان يبعد عنا بملايين الأميال ، فلا تكذب علينا بعد الآن ، فلا أحد يستطيع أن يمشى أو يتكلم معه » فأجابه ميلان « أنا نفسى أتعجب كيف يمكن أن يحدث هذا وأنا ليس عندى أى تفسير أو توضيح وافى لذلك ، لكنها حقيقة هو تكلم ومشى معى » .

فالتف حولهما دائرة كبيرة من المساجين يسمعون المحادثه وأكمل ميلان « أنا أراه أيضاً بعض الأحيان » وكان هذا يعنى أمراً لا يمكن احتماله من أستاذ فى العلوم فقال لميلان « إن ما تقوله هو أكبر كذبه سمعتها فى حياتى حتى الآن ، وحيث أنك تؤكد أنك رأيته هل يمكن أن تخبرنا كيف كان ينظر إليك ، أبنظرة غضب ، أم شغف إهتمام أم إحترام ، حب أم لعله ابتسم أيضاً لك ؟ » فأجاب ميلان « وكيف

عرفت ذلك ، نعم هو يبتسم لى فى كثير من الأحيان » ، أجاب الأستاذ حسناً حسناً فأنت محظوظ لأننى لست أستاذاً فى الأمراض النفسية وإلا لكنت شخصت حالتك بأنك مصاب بالهوس الدينى وإلا هل تستطيع أن ترينا كيف يبتسم لك يسوع ، فقال ميلان « بكل سرور سوف أحاول أن أريكم كيف يبتسم لى » .

أما المشهد الذى رأيته من ميلان بعد ذلك ، فكان أجمل منظر رأيته على الاطلاق ، فى مدة الواحد والثمانين عاماً التى مرت فى حياتى حتى الآن ، فمثلا كلنا نحن المساجين يومئذ . كان ميلان يبدو كالشبح تحيط عينيه هالات سوداء ، وجهه متسخ ، فلم يكن من المسموح لنا بغسل وجوهنا فى السجن لمدة طويلة ، واهن القوى ، جلد فقط يكسو بعض العظام البارزات ، فمه مخلوع الأسنان من كثرة التعذيب ، فى بدلة سجناء بالية ، لذا فلم يكن جذاباً على الإطلاق لكنه عندما قبل هذا التحدى من أستاذ العلوم بدا وجهه يلمع وبدا مجد الله يشرق خلال طبقة القذاره التى كانت تغطى وجهه وظهرت ابتسامة جميلة على شفتيه لعل روميو لم يكن يبتسم مثلها لجوليت فى تلك الرواية القديمة الشهيرة .

نعم كانت هناك لمسه من الحزن على ابتسامته ، نظراً للظروف الصعبة القاسية التى كان يمر بها . لكن المرء كان يستطيع أن يقرأ على شفتيه الحب العطوف ، والتطلع الذى لا يفتر والأمل والرغبه فى تقبل هذه القبلة من الحبيب ، فقد ظهرت كل عظمة السماء فى هذه

القبله ، ما أبعد هذا المشهد عن تعريف الشيوعيون للقبلة ، تلك التى مرت بعقلى عندما رأيت ابتسامة ميلان فتعريف كلمة قبلة فى القاموس الشيوعى هو « الاحساس بلمس زوج من الشفاه لبعضهما البعض مع تبادل مشترك للميكروبات وثانى أكسيد الكربون » فمن يستطيع أن يتجنب التفكير فى مثل هذه التعاريف الخاطئة فى هذه اللحظة الفريدة . وما كان من الأستاذ الملحد إلا أنه أحنى رأسه وقال لميلان « يا سيدى حقاً أنت قد رأيت يسوع » .

عندما أصبحت مسيحياً نصحونى بأن أقرأ فى كل يوم صفحة من الكتاب المقدس وصفحة من حياة القديسين الشهداء والمرسلين المشهورين وهذا ما فعلته ، وقبل دخولى المعتقل قرأت بشىء من الشك والريبة سيرة بعض القديسين الذاتيه ، ويبدو أن الكُتّاب يبالغون دائماً ، فأنا أعرف قصة الابتسامة السحرية الواثقة لبرنادت سيريوكسى وعرفت الكثير من المسيحيين على الأرض الذين كانت لهم ابتسامات من السماء [واحدة منهن هى زوجتى سابينا] لكننى رأيت الآن هذه الابتسامة وسط حالة من العذاب الأليم ، ولقد رأيت هذه الابتسامات مرات كثيرة فى سجون عديدة وتحت ظروف مختلفة قد نسيت البعض منها ، لكن كل أولئك المبتسمين العظماء أصبحوا واحداً بالنسبة لى وهذه الابتسامات اتحدت معاً وأصبحت ابتسامة واحدة وهى ابتسامة يسوع ، فالقديسون يحضرون ابتسامة السماء إلى عمق وادى ظل الموت ومثل أولئك القديسون لا يموتون ، فهم

يحيطون بنا بعد موتهم يشجعوننا ويساعدوننا ورومانيا لديها هذه السحابة من الشهود فى سمائها فهى فى رومانيا حقيقة واقعة ، وعلى كل مسيحى يذهب إلى هناك أن يتطلع إلى تلك السحابة .

قال لى قائد شهير فى الكنيسة الرومانية انه زار قبر لينين فى موسكو ورأى جثته فسألته هل شعرت بوجود أى من الأموات فى روسيا حول هذا القبر ، قال لا ، قلت لكن بولس الرسول قال فى عبرانيين ١٣ إنه رأى سحابة من شهود الله الذين ركضوا منذ الآف السنين .

قتل لأجل توزيع الكتب المقدسة

ميلان هيموفيسكى واحد من شهداء كثيرين يجملون السماء فوق رومانيا ، الذين تربطنى ببعضهم روابط وثيقة حيث أننى لعبت بطريقة ما دور فى استشهادهم فى ظروف مأساوية .

ونحن نعرف أسماء أربعه من المسيحيين الرومانيين الذين ماتوا بسبب جريمة توزيع الكتاب المقدس التى تسلموها منا عن طريق قنوات سرية داخل رومانيا من بينهم ، كليبا **Clipa** الذى قبض عليه وعذب بوحشية حتى يعترف عن كيفية حصوله على الكتب المقدسة وطريقة توزيعها ثم وجد هذا الشخص مشنوقاً ، ولا يعلم أحد بالتأكيد كيف مات ، هل شنقه الشيوعيون ؟ هل مات منتحراً مثل أخرين كثيرين من الشيوعيين لخوفهم من الاستسلام والضعف إذا ما

تعرضوا لتعذيب أكثر من المحتمل ؟ لا أحد يدرى .

وهناك موزع أخر للكتب المقدسة وهو بوجدام Bogdam ، وهذا أيضاً وجد مشنوقاً أما الموزع الثالث وهو تيودوس Tudos فقد وجد ميتاً بالصاعقة الكهربائية ، والقس رودو كروسيرو قتل فى حادث سيارة مدبر وهى الطريقة الأكثر استخداماً بواسطة الشيوعيين .

فإن لم نكن نحن وأخرين من الخارج قد هربّنا الكتب المقدسة ، ولربما كان هؤلاء الأخوه مازالوا على قيد الحياة ، فنحن نتحمل المسئولية لأن زوجاتهم أصبحن أرامل وأطفالهم أيتام ، ولابد أن يعلم كل مسيحى يشترك فى مثل هذا العمل أن واحداً ما من الذين يتسلمون هذه الكتب ربما يعطى دمه لنفس السبب الذى نعطى نحن فى الغرب النقود لأجله .

والبعض يعمل هذاالعمل السرى فى البلاد الشيوعية وغيرها دون إدراك للواقع لكننى أعرف مديرين ، بصفتهم الشخصية ومعضدين لارساليتنا ، يعرفون تماماً الإخطار والمعاناة التى تترتب على ذلك فهم يشعرون أنه ليس كافياً أن يعطوا النقود ويرسلوا كتب مقدسة ، بل يجب أن نشارك أولئك الذين فى البلاد الشيوعية ، الالام ، والدموع ، والأحزان التى يعانى منها موزعوا الكتب وعائلاتهم ، وهناك بعض القديسين المحبوبين فى الغرب كادوا يفقدون عقولهم تحت وطأة هذا التثقل ، وهذا ما ينزع النوم منى فى كثير من الليالى ولقد قتل بعض

مرسلى ارساليتنا فى بلاد آخرى أيضاً ، وسجن البعض عدة سنين تحت ظروف لا يمكن احتمالها فى السجون الشيوعية ، الذين من بينهم مترجم كتابى « العذاب الأحمر » إلى اللغة الامهرية فى أثيوبيا .

لا تعطى النقود بسهوله

رُتب لى أن أعظ فى إجتماع كبير فى نورواى ووجهت الدعوة بغرض جمع الأموال لتدعيم الكتب المقدسة الأوكرانية ، وعولت الإرسالية كثيراً على وجودى لأشجع الآخرين لكى يعطوا أكثر .

لكننى أخبرت الجمع عن قصة نيكولاى همارا ، وهو مسيحى روسى مات لأجل المسيح بعد أن قطعوا لسانه وخلعوا عينية وانهيت هذه القصة بالقول « لا تسرعوا فى العطاء » ، فربما يعاقبكم الله إن أعطيتم النقود لطبع الكتاب المقدس الأوكرانى ، فالبعض سيؤمن بإخلاص بأن الكتاب المقدس الذى ستدعمونه هو كلمة الله ، وسيكونون مستعدين أن يتحملوا السجن ، والعذاب والموت لكى ما يوصلوه للآخرين ، فكتابكم سيقرأ فى أوكرانيا السوفيتية ، حيث سيتبع قراءة وصاياه وسيتخلون عن كل شىء لأجل الملكوت ، والبعض سيفضل المسيح على زوجاتهم ، وأمهاتهم وأطفالهم ، وسيتممون المهام الخطيرة فى الكنيسة المختفية ، مثل العمل فى المطابع السرية أو التدريس فى مدارس الأحد المحرم إقامتها ، وإذا قُبض عليهم ، فربما ظلت زوجاتهم أرامل وأولادهم أيتام ، الذين قد يتهمون أباهم

أنه فضل المسيح عن واجباته اليومية فى إحضار الخبز للعائلة .

« إن الكتاب المقدس الذى ستدعمونه ربما يرشد شخص آخر ليصبح نيكولاى همارا وسوف تعطون حساباً لدى الله عن إعطائكم هذه النقود إذا لم تظهر حياتكم أنكم أنتم أنفسكم لا تطيعون الكتاب المقدس كلمة الله ، إذا لم تحيوا حياه الإلتصاق بالمسيح ، تابعين إياه فى طريق الصليب ، فى الصلوات والتسبيح والتضحية بنفسه .

فإذا لم تنو أن تقدم نفسك بالكامل قلبياً للمسيح فيكون من الأفضل لك أن لا تعطى ، ومن فضلك أنس أمر الدفع من أموالك . وسأترك لقارىء هذه السطور أن يخمن هل كان العطاء فى تلك الليلة كثيراً أم قليلاً .

إننى أستمع دائماً إلى صرخات أولئك الذين يتعذبون فى البلاد الشيوعية من أجل رغبتهم فى نشر الإنجيل ، وتحرير عائلاتهم التى إضطروا لتركها ، وهذا ما ينخسنى فى داخلى عندما أشعر أننى قد كبرت فى الأيام وعلىَّ أن أتخلى عن أعمالى .

لكن الأسقف ميشكالا Meshkala مات فى البانيا عن عمر يناهز الرابعه والثمانين بعد ثلاثه وأربعين سنه فى السجن !! فلم يكن أكبر من أن يتعذب لأجل المسيح ولم يستسلم أو يترك خدمته . فهل من الضرورى أن أتخلى أنا عن مصارعتى تحت ظروف مختلفة عن ظروفه تماماً ؟

لاشك أن البعض ، سيشعرون أنهم يريدون أن يعطوا من أموالهم للمسيحيين فى البلاد الشيوعية أو لتلك البلاد التى تم تحريرها من الشيوعية حديثاً . لكن العطاء سيجبرك أن تكون لك شركة معهم فى مصارعاتهم السماوية ، ولذلك فكر بعنايه كبيره حول ما تنوى أن تفعله .

محبة العدو

كل مكان زرته فى رومانيا أسترجع له ذكريات فى عقلى ، فى بوخارست كنت أعظ فى كنيسة الأخوة فى دراجوش فودا ، فى مبنى كانت كنيستى تستخدمه قبلاً أثناء ترحالها من مكان لآخر تحت حكم الديكتاتورات المختلفين وقد حدث بعد غزو الجحافل السوفيتية مباشرةً لرومانيا قرب نهاية الحرب العالمية الثانية ، انه أُسِرَتْ كل وحدات الجيش الألمانى الذى كان محتلاً لبلادنا ، ولم يكن لهم مفر ، فمعسكرات السخرة والعبودية فى سيبيريا كانت نصيبهم المحتوم .

وهذا كان يعنى الموت بالنسبة لكثيرين منهم ، وبينما كانت مجموعة كبيرة من المساجين الألمان يقتادون إلى ثكناتهم العسكرية ، نجح أثنان منهم فى الهرب من الحارس وهم يرتدون ملابسهم النازيه ، فكانوا تائهين ومرتعبين فى شوارع بوخارست ، ولم يخفهم عن الإبصار سوى ظلام الليل ، وكنا لانزال فى حالة حرب لذا فكان الضوء فى الشوارع خافتاً جداً .

وفجأة نظروا شعاع من الأمل ، لافته كتب عليها « كنيسه لوثريه » وكانوا يعرفون أن اللوثريين فى رومانيا من أصل ألمانى ، فهنا يوجد مَنْ يستطيع أن يساعدهم ، ويالهما من خيبة أمل قد أصابتهم عندما سمعوا أننا من أصل يهودى ، فعند اليهود أسباب أقوى تدفعهم لكراهية الألمان أكثر مما يكرههم السوفيت .

فهدأت من روعهم وقلت « نعم أن أصلنا يهودى ، لكننا الآن مسيحيون ، ولا نسلم أبداً أحداً ليد أعدائه ، وهناك قصة عن حمل أُعِدَ للذبح فهرب وجرى إلى موسى ، وطلب منه الحماية ، فأجابه موسى « لا يمكننى أن أفعل ذلك ، فقد رسم الله أن يكون لحمك طعاماً للناس » ثم سلم الخروف للجزار ، ويقول كاتب القصة أن الله أخفى وجهه خجلاً لما فعله إنسان يحمل إسمه مع هذا الخروف .

نعم لقد تعذبنا كثيراً من الإحتلال الألمانى ، لكنكم أنتم شخصياً ربما لم تكونوا مذنبين ، وعلى أى حال ، فنحن لسنا قضاتكم ، فمرحباً بكم فى بيتنا ، وسنعطيكم ملابس مدنيه حتى تحاولوا أن تهربوا إلى ألمانيا .

وكنا عندئذ تحت أحكام قضائية تقضى بمنع أى فرد من إخفاء عساكر ألمان والا تعرض لألم الموت ، وفى وقت ما أنتج هذا الوضع عملاً منظماً لمساعدة المضطهدين الألمان بالضبط كما كنا نستخدم نفوذنا فى أثناء الحرب كدوائر مسيحية لمساعدة المضطهدين من اليهود . واليوم سألنى المؤمنون فى كنيسة الأخوة التى كنت فيها أعظ وفى ذهنى كل

ذلك ، وكانوا يعرفون أننى أقصد ما أقوله بالضبط عندما أتكلم عن الغفران لأولئك الذين يسيئون إلينا ، حتى من الشيوعيين الذين يكرهون الله . لذا فقد سافرت من مكان لآخر فى بوخارست وإلى عدة مدن وأحياء ، مسترجعاً وعائشاً فى أحداث الماضى .

زياره اخرى لأماكن أخطات فيها

لم أزر فقط الأماكن التى تحمل لى ذكريات مبهجة ومقدسة فحسب لكننى زرت أيضاً الأماكن التى أرتكبت فيها خطايا شنيعة ، ورأيت مرة أخرى البيوت التى سكنتها عائلاتى عندما كنت صغيراً ، لقد كنت سيئاً جداً مع أم ضحت بنفسها لأجل أولادها اليتامى وهناك أيضاً الحى الذى كانوا يسمونه [ولا أعرف لماذا] ، الصليب الحجرى ، كان هذا مكاناً للدعارة قادنى إليه أصحابى وأنا فى سن الثانية عشر ولم يكن هناك مسيحيون يقفون أمام هذه البيوت المريضة والجائعة ويحذروا الصغار من دخولها ، وعندما رأيت لأول مرة إمرأة نصف عارية وجدتنى أهرب جرياً ، وبالطبع لم يحدث هذا فى المرة الثانيه ، ورأيت الأماكن التى ضاجعت فيها نساء أخريات ، رأيت بيوت القمار التى ترددت عليها كثيراً ، الأماكن التى تقابلت فيها مع المجدفين حيث كنا ننكر وجود الله ، الأماكن التى قصرت وأخطأت فيها حتى بعد أن صرت مسيحياً ثم قساً .

لقد أعترفت بكل هذه الحياة الخاطئة وآمنت أن المسيح غفر كل

شيء ، نعم كتب بولس « أنسى ما وراء » لكنه لم يستطع أن ينسى كل ماضيه ، فقد أخبرنا عنه و لم أستطع أنا أيضاً أن أنسى كل شيء . وكنت أفكر أيضاً فى رومانيا فى كل التقصيرات ، الخطايا الشنيعة ، التى أرتكبتها أثناء ربع القرن الذى عشته بعيداً عنها .

وكم كنت سعيداً أن هناك نبع ملىء بالدماء الخارجة من عروق عمانوئيل ، الذى فيه تحدث معجزه لأى شخص يغطس فيه ، ليس فقط لينال غفراناً لخطاياه أو حتى جرائمه لكنه أيضاً يصبح أبيض من الثلج ، ويصبح أيضاً علامة ظاهرة للنقاء الحقيقى ، إن ما يحدث لهذه الخطايا التى تغفر هو شيء يفوق الوصف ، لقد جُعِل يسوع خطية ، وكان من أسباب ذلك أنه يعرفنا أن الجمال يمكن أن يخرج من الخطية من خلال التوبة ، كالفخارى الذى يستطيع أن يعمل إناءاً فخماً مما لديه من طين .

وفى كل حال فإننا لابد أن نجتاز خلال نار التجارب كما هو الحال مع قطعة من الطين أو معدن لابد له من أن يُطَوَّع ، وتستمر عملية التنظيف هذه حتى تختفى كل الشوائب ، وهذا يعنى فى حالتنا أنه لابد أن نجتاز كل ذلك حتى تختفى كل شكوى ، كل إرتداد ، كل مضايقة لله من خلال إستفسارنا عن كل الأمور التى تحدث فى حياتنا بكلمة لماذا !؟ ، كل أنانية وعُجْبْ ، وعدم إستعداد للغفران من جانبنا .

عندما أبصرت الفتاة الصغيرة الصائغ وقد وضع ذلك المعدن الثمين

فى بوتقة للتنقية ، ومرة بعد الأخرى كان يزيل الزغل فيظهر المعدن جميلاً ثم يعطى جمالاً أروع ، سألته الفتاة « كم من الوقت تستغرق هذه العملية ؟ » رد جوابها قائلاً « صبراً » وظل الصائغ يردد هذه الكلمة « صبراً » وهو فى إنتظار اللحظة التى يطلقون عليها « بريق الفضة » حيث يستطيع المرء أن يرى صورته على صفحة هذا المعدن . هذه هى أيضاً الكيفية التى يعمل بها معنا الصائغ السماوى فالخاطىء الذى أجتاز فى عملية التنقية سيكتسب جمالاً لم يعرفه من قبل ، فهو جمال المسيح نفسه .

مقابله مع رئيس ضباط الشئون الدينيه السوفيتى

لقد لعبت لمدة خمسه وعشرين عاماً فى هذا العالم دور تيخيكس (أف ٦ : ٢١) الذى كان يُعَرِفْ الأخوة فى أيام بولس الرسول بكيفية الاضطهاد الذى يقع على المؤمنين . بينما كان لى فى رومانيا دور معاكس وهو أن أخبر كيف أن الكنيسة فى العالم الحر بعيدة عنا ، كما كنت أوضح كيف كنا نعمل نحن لأجل المضطهدين تحت فساد الشيوعية .

لقد كان الرومانيون المسيحيون على علم بحقيقة تلك الكتب المقدسة والمطبوعات المسيحية التى كانت تدخل بلادهم وأيضاً

المساعدات المادية والإذاعة الموجهة إليهم من خلال الراديو لكنهم لم يكونوا يعلمون شيئاً عن المؤسسات والجمعيات الكبيرة التى تقف خلف كل هذا وعن الآلاف والآلاف من شركائهم المؤمنين الذين كانوا يضحون ويصلون لأجلهم ، وكانوا يهتمون جداً بإرساليتنا « الإرسالية المسيحية للعالم الشيوعى » وعملها على مدى أربعين عاماً ، لقد أخبرتهم ليس فقط عن أعمال التحرير وإطلاق السراح التى كنا نقوم بها للمضطهدين ، لكن أيضاً عن محاولاتنا للعمل المرسلى بين معذبيهم ، وسأذكر هنا واحدة فقط من أكثر الإختبارات التى كنت أهتم بها فى هذا المجال .

فى سويسرا ، زرنا ــ أحد الأخوه وأنا ــ معرضاً للمنتجات الصناعية العالمية ، وكان أجمل جناح فى المعرض هو الجزء السوفيتى وكان هو الوحيد الذى أضاف لجناحه عرض لأحدث المنتجات ، ولذلك جذبوا الآلاف ، وكان هناك أيضاً معرضاً دينياً ، وضعوه بعناية فائقة بجانب المعرض الصناعى ، وقد علقوا فى مدخل المعرض صورة كبيرة لبلى جرهام وهو يعظ فى موسكو ، وصورة للبطريركية ، وللمعبد اليهودى الوحيد فى موسكو وهى مدينه تضم ٢٠٠,٠٠٠ مائتى ألف يهودى ، وأيضاً لجامع وهكذا ... وكان الهدف الدافع من ذلك أن يعلنوا عن الحرية الدينية الكاملة المتواجدة تحت حكم الشيوعية .

وقد أعدوا البوم (دفتراً) لكى ما يسجل فيه الزائرون

إنطباعاتهم . فكتبت أنا فيه هذه الكلمات « أننى أهنأكم على هذه الفكرة الفريدة بأن تزينوا المعرض الصناعى الخاص بكم بصور وكلمات دينية ، فإن لم يكن الله موجوداً ، لما كان هناك عقل إنسانى أوصناعة ، فكل ما عرضتموه مُرتب ترتيباً حسناً جداً .

لكن كصديق للإتحاد السوفيتى فإننى أقترح أن تثروا هذا المعرض ببعض الصور الشجاعة الأخرى ، تلك التى لنيكولاى همارا المعمدانى الذى قطعتم لسانه وفقأتم عينيه بسبب إيمانه ، يمكننى أن أمدكم بصورة جثته وكذا صورة نيكولاى هاربوف هى أيضاً صورة مناسبة لهذا المقام ، فقد قضى ٣٤ أربعة وثلاثون سنة فى المعتقل لأجل إيمانه وتلك الصورة التى لفاينا موسييفى التى ضربت سبعة مرات على صدرها وفوق قلبها ثم أُغْرِقت وهكذا وهكذا ، فقرأ رجل ــ كنت أعتقد أنه من المسئولين السوفييت عن المعرض ما كتبته ، وقال لى « يوجد رجل شرير يعرف بورمبراند هو الذى ينشر عنا هذه الأكاذيب ، وبعد أن قلت له أننى وورمبراند نفسه تحدثنا بعضنا مع بعض لمدة أربعة ساعات .

وكان هو رئيس قسم الأجانب فى شئون الكنائس فى روسيا وهو الرجل الأول لدى الحكومة السوفيتية والأمور الدينية ، كان يتحدث الإنجليزية والألمانية بطلاقه وكان قد قرأ كل كتبى والكتابات الأخرى التى تصدرها إرساليتنا .

لقد بدأ هذا الرجل بطريقة عدوانية بالقول ليس هناك أى إضطهاد

فأجبته ، لعله من غير المفيد أن تنكر ذلك ، لأننى أعرف أنك مضطر أن تقول هكذا ، لكن دعنا نصل إلى شىء مهم جداً ، وهو أنه بلاشك سيأتى اليوم الذى لن تعد فيه رجلاً ذا وظيفة هامة فى الحزب الشيوعى والحكومة ، ولن أكون أنا بعد قسيساً ، فسنكون كلانا قد متنا ، ولمدة قصيرة سيبكى أحباؤنا على رحيلنا وفوق قبورنا ثم يموتون هم أيضاً بدورهم ، وسوف نرقد فى قبور يلفها النسيان . ترى ما الذى سيحدث بعد ذلك ، بالطبع إن كان ذلك يعنى نهاية كل شىء فسيكون من الحماقة أن أكون قساً مسيحياً ومن الحماقة أيضاً أن تكون أنت ملحداً معانداً للدين وسيكون أفضل ما يمكن عمله هو أن نأكل ، ونشرب ، ونستمتع ولا شىء غير ذلك .

ففى بلادى رومانيا ــ وفى عصرها الذهبى ــ كانت هناك عاده متبعة بإعطاء الشخص المحكوم عليه بالإعدام وجبة جيدة من كل الأطباق المفضلة لديه قبل شنقه فيأكل المتهم ويشرب ، ثم يطلقون بعدها الرصاص عليه ، فإذا كان كل شىء سوف ينتهى بالموت فإن أجمل حياة يمكن أن تقدمها الشيوعية أو الرأسمالية لن تكون أكثر من وجبة لرجل مسافر ، وهذه لا تستحق لحظة واحدة من الصراع دون سبب .

فإستمع لى ذلك الضابط دون أن يقاطعنى ، فأخبرته أننى كنت فى صباى مفكراً ومعرضاً للإكتئاب النفسى وقد قضيت فترة طفولتى فى مرارة بلاشىء يبهجنى كطفل ، لعبه أو شيكولاته ، فكنت أتمنى

أن ألعق الورقة التى تلف بها الشيكولاته عندما أرى زملائى فى المدرسة يأكلونها لأن رائحتها كانت جميلة ، كنت متأكداً أن الله غير موجود لأنه لو كان هناك ، لكان لزاماً عليه أن يعطينى طفولة أفضل .

ولسبب ما كنت أحب أن أتمشى بمفردى بين المقابر وأقرأ الكلمات التى سطرت على القبور ، وأحب ذلك حتى الآن ، فهذه الكلمات تجذبنى بشدة ، فهذا الشخص كان جنرالاً بالجيش ومات ، والآخر كان شاعراً معروفاً ، لكنه مات ، وهذا كان موظفاً فى البنك ، وآخر كان شحاذاً لكن نهاية حياتهم جميعاً كانت الموت ، وعلى قبر كل منهم محفور تاريخين ، تاريخ الميلاد وتاريخ الوفاة ، وبينهم مجموعة من الكلمات ، وهذه الكلمات هى التوقيع الذى تخطه الطبيعة على كل حياة ، تكتب الأيام هذه الحياة أنتهت ، دون أن أعرف أى كلمة عن الدين قلت لنفسى فى مرة من المرات أتمنى أن أجد شخصاً يمكن أن يعطى شباباً بلا شيخوخة وحياة بغير موت ، واستغرقت فى البحث طويلاً لكننى وجدت ذلك الشخص فى النهاية .

فإستمر هذا الضابط فى بلع كلماتى بلا مقاطعة ، فقد كانت له نفس تتوق إلى الله وأخبرته كيف صليت أنا صلاة ملحد قائلاً « يا الله ــ إننى متأكد أنك غير موجوداً لكنك إن كنت موجود ــ وهذا ما لا أظنه ــ فإنه ليس من واجبى أن أؤمن بك ، بل إنه من واجبك أنت أن تعلن ذاتك لى ، نعم إننى لأسف لأنك غير موجود ، فكنت أتمنى أن يكون هناك قلب نابض بالحب فى مكان ما بهذا الكون ،

وأنا أتكلم كرجل موجود لشخص غير موجود ، حسناً ، هذا كل ما أريد أن أقوله لك » .

ثم أستطردت فى الحديث قائلاً « ولقد أستجيبت هذه الصلاة ، فأرسل الله رجلاً نجاراً ليعترض طريقى ويخبرنى أنا وزوجتى عن نجار الناصرة ، الذى عاش ومات لأجلنا ثم قام .

ثم بدأ هذا الضابط يسألنى السؤال تلو الآخر ، وفى نهاية الأربعة ساعات من الحديث معه قال « لابد لى أن أعترف أن لدينا نحن الماركسيين مشكلتين لا نجد حلاً لهما ، الأولى هو كيف وُجِدَ هذا الكون ؟ فنحن نفسر أى شىء من خلال نظرية التطور ، ولكن كيف وُجِدَ هذا التطور نفسه ، وكيف وجدت الخليه الأولى التى جاء منها كل الحيوانات ، القردة والإنسان فى هذا الكون ، والمشكلة الثانية هى ماذا يحدث للإنسان بعد الموت ؟ فليس لدينا إجابه على هذه الأسئله كما هى عندكم لذا فأنتم أقوياء أما نحن فضعفاء .

أخيراً فقد لعب هذا الرجل دوراً فى سياسة التحرر السوفيتية تجاه الدين ، والتى عملت بدورها تأثيراً فى رومانيا وفى دول أوروبا الشرقية .

ولقد وزعت إرساليتنا فى هذا المجال نبذ مسيحية خاصة للشيوعيون ، مثال على ذلك كتابى « جواب المسيحية على الإلحاد الشيوعى ، وكارل ماركس هل كان شيطاناً » فوصلت إلى أيديهم وأيدى قادتهم وعملت نتائج مدهشة ، وقد ترجمت هذه الكتب إلى لغات كثيره

ووزعت فى رومانيا ، روسيا ، الصين ، تشيكوسلوفاكيا ، بولندا ، أثيوبيا ، موزمبيق ، وأنجولا وبين أخرين أيضاً . وتجدد من خلالها أستاذ الإلحادية فى مدرسة الحزب الشيوعى الرومانى هو وكثيرون آخرون من الأقطار الشيوعية المختلفة .

بلد وصل إلى حد الفقر

فى عودتى إلى بوخارست كان الأخوة يصحبوننى بسياراتهم كما كنت أمشى فى الشوارع لكنها لم تعد نفس المدينة القديمة التى عهدتها ، ففى الأزمنة الماضية كانوا يطلقون عليها « باريس الشرق » لما لها من جمال ، لكن بهاء جمالها نُسى منذ مدة طويلة ، والإنطباع الباقى عنها أنها شخص بلا أمل .

فالشوارع الرئيسية والمدن كمدينة النعمة مثلاً وهى أكبر المدن الغربية لم تكتمل بعد وأنتهت إلى لاشىء ، فقد كان شاوشيسكو مصاباً بمرض العظمة ، فكل مشروعاته الجريئة الضخمة كانت تفوق الخيال فى عظمتها لكنه لم يستطع أن يكمل مشروع بدأه أبداً ، ومعظم البيوت أنهارت ، وسقطت قبل أن يكتمل تركيب نوافذها ، ويمكن للمرء أن يلاحظ تأثير الزلزال المدمر فى الماضى القريب ، وأيضاً الإنقلابات الدموية حيث أسودت واجهات المنازل من النار وتحرقت الحوائط بالقنابل .

الدكاكين فارغه ، والناس ينتظرون فى طوابير طويلة بالساعات على

أمل ــ وبلا فائدة ــ أن يجدوا شيء يمكن شراؤه ، ويبدأ الطابور لشراء الخبز فى الرابعه صباحاً وفى السابعه ينفذ الخبز ، فتنتعش السوق السوداء ، التى منها تستطيع أن تشترى الفراولة ، والفراء والقمصان ، والمشروبات الكحولية المصنعة من مواد كيميائية كانت سبباً فى قتل الناس . الأطفال الصغار يتسولون ، وسادت الجريمة ، وينصح السائحون أن لا يسيروا فى الليل حاملين نقود فى جيوبهم ، وأصبح الاقتصاد فى غيبوبه ، وأفتقد العامة أحتياجاتهم الأساسية ، ويبدو أن البطالة التى تزيد بسرعة الصاروخ لا يمكن تجنبها ، وتوقفت كلٍ من الولايات المتحدة والسوق الأوروبية عن إعطاء المساعدات لأن الشيوعيين مازالوا فى السلطة .

خطر التعليقات والتفسيرات

لقد أعلن الله « أنا أهيه الذى أهيه ، ليس كما يعتقد الناس أنى أنا » الله شخص آخر تماماً لا يمكن أن نسبر غور طرقه .
هناك كتب لا يمكن أن تحصى كتبت لتفسر بعض النبوات الكتابية فى ضوء الأحداث الجارية ، وعديد من الكتب مُلِئَتْ بالنبوات عن كيفية مهاجمة العملاق الشيوعى فى الشمال ، وفى روسيا لأسرائيل ، ثم أحداث معركة هرماجدون المخيفة وكيف ستحدث ثم حكم الشخص المعروف بضد المسيح .

فقال البعض أن كيسنجر كان هو ضد المسيح ، وقبل هذا ، قدم

البعض كثير من الإثباتات أن ستالين ، هتلر وموسلينى كان كل منهم ضد المسيح ، واليوم أعلن أحد الكُتَابْ أن جورباتشوف وهو شخص غامض وخاصة لأنه مميز بعلامة لا يمكن نزعها وهى شمة حمراء فى جبهته هو ضد المسيح . ولمثل هذا الكاتب قلت « أن كل كتاب كُتِبَ حول تفسير النبوات حتى الآن ثبت خطأه بعد عشرين عاماً لكنه لم يهتم بذلك .

عندما كان حفيدى أليكس البالغ من العمر إثنا عشر عاماً معى فى لقاء لبائعى الكتب المسيحية رأى ضجة كبيرة من الدعاية للتعليقات الروحية والتفاسير فسألنى « ما معنى تعليق أو تفسير ؟ » فأجبته أن هناك أشياء كثيرة فى الكتاب المقدس صعبة الفهم ، مثلاً ، النبوات الخاصة بيوم الدينونة والعذاب الرهيب الذى سيحدث فى الأيام الأخيرة ، فهذه تشرح فى التعليقات أو التفاسير .

فكان جوابه ، « لا يجب أن تفسر هذه النبوات بل بالحرى يمكن أنتظار حدوثها فإبراهيم لم يكتب تعليقاً ولا تفسيراً عن النبوة التى قالها الله أن سدوم ستهلك ، ولم يفعل موسى أيضاً ذلك تجاه النبوة التى مفادها أن الله سيهلك شعب إسرائيل ، لكنهم بدلاً من هذا توسلوا إلى الله أن لا يحدث ذلك ، فغيروا رأيه فى هذه المسائل ، فلماذا لا نفعل نحن ذلك بدلاً من كتابة التعليقات والتفاسير » .

القوه التى تغلب الشيوعيه

إن الله لا يمكن أن يحد بواسطة ما يقوله الناس ما لم يرسلهم ليكتبوا أو يتكلموا بإسمه ، فلقد حطم كم هائل من قوة الشيوعية وسيحطم البقية ، وهذا التحطيم ليس من خلال الأحداث السياسية لكن بواسطة صلوات القديسين وقوة الكلمه التى وزعت رغم عن أنف الجميع فغير عقل جورباتشوف وكثير من رفاقه ، وهم بدورهم حطموا قوة الشيوعية أكثر مما تستطيع أية قنابل أو أحداث سياسية أن تفعله دون إحتياج إلى كارثة أو وباء يأتى من فوق .

فالناس يمكنهم أن يتنبأوا بالمحن والتجارب حتى لو كان الكتاب المقدس قد تنبأ بها قبلاً ، فلقد أخبر الرب يونان عن خراب نينوى ثم رجع عن قراره هذا ، فإن محبته يعتمد عليها أكثر من أية كلمة أخرى تكتب أو تقال بإسمه .

لقد أعطى الله لنا قوة هائلة عندما سكب محبته فى قلوبنا ، فنحن نستطيع أن نؤثر فى الله ، لذا ذكر (صفنيا ٣ : ١٧) أنه يمكننا أن نجعل الله يفرح بالتسبيح ، وهكذا فإن محبتنا المتوهجة يمكن أن تؤثر فى الناس أيضاً ، فيربحوا للمسيح من خلالها والبعض يمكن أن يتأثروا من خلال إشعاعات أرواحنا ومحبتنا فيفقدوا القدره على مقاومتنا والوقوف ضدنا ، فالشمس تشرق على البعض وتعطى لهم حياة ، لكنها تحرق الأخرين ، لذا فالمحبة دائماً مؤثره بغض النظر عمن تلمسه

لكن البشر لا يدركون تلك القوه الهائلة التى يمتلكونها ، وهى تمتد ليست فقط إلى الأرض بل أيضاً إلى كوزموس وبقية الكواكب .

يخبرنا دانيال ٨ عن ملك أهمل جانباً القوات السماوية وعظم نفسه ووضعها فى مقام رب الجنود وطرح الحق إلى الأرض ، نعم فإن الإنسان يمكن أن تمتلكه قوه شيطانية كبيره بالضبط كما أن هناك قوة إلهية مقدسة فى بعض الرجال والسيدات . إن كنيسة المسيح يمكن أن تنهى الشيوعية وتنهى ظلمة الإلحادية ، وحتى اليهودية أيضاً .

إن لى أشياء أخر كثيرة أيضاً يمكن أن أقولها عن زيارتى إلى رومانيا بعد مضى خمسة وعشرين عاماً على نفىّ إجبارياً ، لكنى سأسمح لنفسى أن أقلد بولس عندما قال « يعوزنى الوقت لو أخبرت عن جدعون ، وباراق ، وشمشون ، ويفتاح وأيضاً داود وصموئيل والأنبياء » (عب ١١ : ٣٢) .

تقديم العشاء الربانى بطريقه غريبه

حطم الشيوعيون كنيسة القس فاسيل فاندان فى بريستريدزا بالبلدوزر ، وتستر الخونة قادة المعمدانيين الرسميين على هذا العمل ، وفى وسط البرد القارس قدم هذا القس مائده الرب لقطيعه على أنقاض الكنيسة وكان البرد قاسياً حتى تجمد الخمر الذى يشير إلى دم المسيح فى ممارسة العشاء الربانى ، وبعد أن وعظ فى ذلك المكان الخالى سقط

مريضاً بمرض الإلتهاب الرئوى الشنيع ، لكن هذا لم يمنع الشيوعيون من أن يضعوه فى المعتقل . وكثير من خدمات تقديم مائدة الرب فى رومانيا مورست بطريقه غريبة ، ففى الكنائس التى تعقد فى البيوت يضعون الخبز والخمر على المائدة ، وأيضاً أبريق من الشاى والبسكويت ، فعندما يظهر فى المشهد ضيف غير متوقع حضوره وقد يكون مسيحياً لكنهم يشكون فيه أنه مخبر للبوليس السرى يختفى الخمر من فوق المائدة فى غضون ثانية واحدة ، ويظل أبريق الشاى والبسكويت الذى يعطى أنطباعاً أن هذا الاجتماع ليس إلا لقاءاً إجتماعياً فحسب .

وفى السجون لم يكن لنا فى وقت ما خبز أو خمر ، كنا نأخذ المائدة بلا شىء ، وأتذكر كم كان هذا الشىء وهو [اللا شىء] غالياً وثميناً جداً ، فالعالم كله خلق من لا شىء ، والأرض عُلِقَتْ على لا شىء وكتب بولس عن نفسه أنه لا شىء لذا تعلمنا أن نقدر قيمة « اللا شىء » إن الكتابة عن كل الأمور الجميلة التى يمكن أن تقال عن رومانيا اليوم وعن كنائسها تملأ مجلداً ضخماً ، لكن دعونى أقول لكم كلمات قليلة عما تعمله إرساليتنا « الإرسالية المسيحية للعالم الشيوعى » فى مناطق أخرى من العالم .

الخدعة الشيوعية الكبيرة

عندما غادرت رومانيا ، كنت أظن أننى سأعمل فقط لأجلها لأنها

بلدى ، لكن القس ستيورات هارس وهو مدير الإرسالية الأوروبية قدم لى دائرة أوسع من ذلك وهى كل أوروبا ، وعلى أى حال فالشيوعية وصلت إلى كل القارات ، ولذا وسعنا رؤيتنا لتشمل كل العالم الشيوعى ، ومع ذلك لم أنس رومانيا مطلقاً ، (عندما أقول نحن فإننى أقصد كل مؤسسى إرساليتنا العالمية القس ستيورات هارس من المملكة المتحدة ، ميّرس ناتسون Knutson وكاسس ستيردى من أمريكا ، ج ماريس (هولندا) وهانزبيرن (ألمانيا) وهـ زورتشر وهايدى فلوراى (سويسرا) ، بات هينجين (جنوب أفريقيا) ، لايزو (إيطاليا) ، كوليت جرارسو (فرنسا) ، رج ووری (أستراليا) ، وآخرون كثيرون جداً) .

فنحن نواجه الشيوعية ككل والتى تمثل رومانيا منها جزءً صغيراً ، وهذا الكل يتأثر بأى جزء صغير فيها . تُرى ما الذى يحدث للشيوعية اليوم ؟ لقد رأينا تغييرات عظيمة ، فهل كانت هذه تغييرات حقيقية ؟ نعم إن التغييرات التى حدثت فى الإتحاد السوفيتى وأوروبا الشرقية تغييرات حقيقية كافية وتخص كل المجالات السياسية ، الإقتصادية ، الدينية ، وكل المعاهد التى يمكن أن يضبط تغيير فيها ، لكن ليس هناك تغيير تجاه الموقف من الله أو للنظرة الأساسية العامة للحياة ، لذا قال جورباتشوف فى خطابه الذى ألقاه بمناسبة الذكرى السبعين للثورة البلشفية « نحن نتحرك تجاه عالم جديد ، عالم الشيوعيه ، ولن نحيد عن الطريق » ثم كرر بنفس الحماس أنه لازال ملحداً ، فإذا كان لنا

أن نتعلم من الشيوعية شيء واحد يكون الصلابة ، فهم ثابتون على تعاليمهم .

فى نهاية الحرب العالمية الثانية ، مُنِحَ الشيوعيون السيادة على كل أوروبا الشرقية ، دون أن يطلقوا رصاصة واحدة ، فلقد منحهم روزفلت وتشرشل السياده فى مؤتمر مالطا لأنهم وعدوا بإجراء إنتخابات حرة ــ وهى التى لم تحدث أبداً ــ وقد ربحوا الإنتخابات بالخداع .

وترك الديكتاتور الدموى ستالين وهو الذى تتهمه الصحافة الشيوعية أنه قتل ٥٠ خمسين مليوناً من الأبرياء ، ترك أنطباعاً مدهشاً على الحكام الغربيين ، فقد علق أحد الدبلوماسيين الأمريكان بعد مقابلته قائلاً « إن عينيه ذات اللون البنى تدل على حكمته ولطفه المتأهبين ، حتى أن طفلاً يجب أن يجلس فى معمله والكلب يمكن أن يقفز عالياً إليه » وللآن لم يتغير شيء فبعد مقابلة مع أحد القادة الشيوعيين مدح مبشر عالمى مشهور ذلك القائد الذى وصفه جروميكو الرئيس السوفيتى السابق وتمنى أن يكون خليفته بالقول « .... يمكنه أن يبتسم فترى جمال إبتسامته لكنه يمتلك أسناناً من الحديد ليعض بها » .

وقال ماركس « إن الدين أفيون الشعوب » وهذا يعنى أننا يجب أن نقاومه بحدة كما نقاوم المخدرات وكتب لينين «إن آلاف الأوبئة والكوارث الطبيعية يمكن تفضيلها عن أصغر فكره عن أن هناك إله ».

وكتب ماركس فى قصيدته « اللاعب » إن « الأبخرة الشيطانية » ملأت عقله ولذا فقد أشترى سيفاً من أمير الظلام (هذه عناصر فى الطقوس الشيطانيه » ولازالت الشيوعيه تشهر هذا السيف ضد الدين .

إن أعداء الله هم أيضاً أعداء الناس ، فى خطاب أرسله إلى الملائكة وكتبه فى ١٨ يونيو سنة ١٨٨٢ وصف ماركس الجنس البشرى بأنهم « شرزمة من الأوغاد ، فمن ذا الذى يستطيع أن يُقَبِلْ بزاءاتى » .

لكن معجزة المعجزات هو أن الحزب الذى خلقه ماركس والذى لم يشهد أبداً حرية الإلحادية هو الذى أعاد فتح مئات الكنائس واغمضوا عيونهم عن النشاطات الدينية المكثفة .

فهناك اليوم كم هائل من الكرازة ، ومدارس الأحد للأطفال ، والأعمال الخيرية ، كل ما كان محظور بالكامل منذ فترة وجيزة مضت ، بل أن هناك أيضاً قوافل فى الشوارع ترنم هذه الكلمات « لأجل قيصر [رمز الإمبراطورية الروسية] ، ولأجل بلدنا ولأجل إيماننا » ومازالت الكتب المقدسة والنبذ الروحية المسيحية تدخل رومانيا مجاناً وعندنا ١٠٠,٠٠٠ مائة ألف خطاب من الإتحاد السوفيتى وحده يشكروننا فيها على النبذ التى توزع على الأفراد .

إن الشيوعية بعيدة كل البعد عن أن تحارب ، لكنها أصيبت بجروح مميتة ، مثلما حدث لسور بارلين وأنهيار الستار الحديدى !

لقد قتل الشيوعيون ملايين المؤمنين وكانوا واثقين أن الدين يحتضر ، لكن الكنيسة الآن قد إنتصرت ، أما الشيوعية فهى التى تصارع حتى تبقى على قيد الحياة فى أوروبا الشرقية ولا يوجد أى تفسير بشرى لهذه الأحداث ، لكن شكراً لله الذى عمل معجزته .

عندما بدأنا تأسيس إرساليتنا منذ أربعة وعشرين عاماً مضت ، كان أعداء الشيوعية يظنون أن الشيوعية لا يمكن أن تُقهر إلا من خلال الحرب ، وقالوا « إن أحسن الشيوعيين هو الشيوعى الميت » لكننا أتينا نحن برسالة جديدة وهى « دعونا نتغلغل فى وسط الشيوعية عن طريق الإنجيل ، كما تغلغلت الشيوعية فى العالم الحر بسم تعاليمهم ، دعونا نعمل فى سرية لكى يُعْرَف المسيح علنياً ، دعونا نساعد الكنيسة السرية ودعونا نربحهم بالمحبة ، دعونا نصلى لأجلهم

لقد أنهيت كتابى « جواب المسيحية على الإلحاد الشيوعى » بالدعوة للألوية الحمراء أن يتوبوا ويعترفوا بجرائمهم علينا ، وقد أعترفت الصحافة السوفيتية اليوم أن حزبهم قتل عشرات الملايين من الأبرياء ، وأعتذر جورباتشوف للبطريرك ، وأعترفت عناوين المحاضرات التى القاها الملحدون وضباط البوليس السريون بأنهم كذبوا على الناس وسفكوا دماً بريئاً ومع ذلك فإن العديد من الشيوعيين مازالوا ملتصقين بأيديولوجياتهم وتعاليمهم التى طوروها وعدلوها مما يعرف بالجلاسنوست (المصالحة أو المكاشفة) والبروسترويكا (إعادة البناء) .

المكاشفه وإعادة البناء

ترى ما هو السر وراء هذه الكلمات ؟ فنحن نخشى أن تكون هذه الكلمات أمثلة أخرى من الخداع الشيوعى كمين ينوون أن يوقفوا به الغرب فى النوم ، فالطغيان لم يستطع أن يستأصل الدين من جذوره ، ودماء الشهداء كانت دائماً جذور الكنيسة ، لذا فقررت الشيوعيه أن تجرب طريقة أخرى فى التقارب والتفاهم .

فى عنوان رئيسى فى جريدة « الشيوعى » كتب لانشرسيكى وهو مؤلف كتاب « الإشتراكية والدين » مقتبساً ومتنبأ أن الإضطهاد الدينى سيكون عائقاً للوصول لأهدافهم (بعد سبعين عاماً من الطغيان لازال ٧٠٪ من البالغين مسيحيون مؤمنون) ونادى بأنه على الشيوعية أن تخلق ديانة بعيدة عن الله ديانتة ديانة إلحادية وأضاف فى نقاشه لهذه القضية دع المسيحيين يؤمنون ولسوف ينتشر الشيوعيون فى صفوفهم ويصادقونهم ، وسيميز الشيوعيون أنفسهم بأن لهم أفكار مشابهة للمسيحيين فى نقاط كثيره ، وسيجذبون المسيحيين إلى أعمال إجتماعيه عامة وسيدفعونهم أن يحتفظوا بالصورة الخارجية للدين بينما سيصبح أساسهم بلا إله مثلنا .

فهذا هونفس الوضع الذى حدث فى الإمبراطورية الرومانية فى القرن الرابع الميلادى فى حكم الملك قسطنطين العظيم ، فبعد أن ذبح عشرة من الإمبراطورات سابقية المسيحيين عمل قسطنطين ماهو

أسوأ ، أعطاهم حريتهم كامله وجعل المسيحية ديانة إمبراطوريته ، وخلال حكمه أعتمد كل طفل وأعلن مسيحيته ، وبدأت المسيحية وكأنها إنتصرت ، لكنها قصرت عن أن تكون ديانة حقيقية وأصبح قادة الكنيسة أدوات فى أيدى الإمبراطورات ، وفى روسيا أبرق البطريرك الأرثوذكسى بيمن لأحد القاده الشيوعيين قائلاً « نحن نعبر لك عن شكرنا العميق لإهتمامك العظيم بإحتياجات المؤمنين ولكل ما تعمل لكى تثبت المبادىء اللينينية » (من مبادىء لينين قتل ملايين من المسيحيين وهدم الكنائس) .

بعدها أعلن كارشيف وهو رئيس مجلس الشئون الدينية فى الحكومة السوفيتيه أن « الدين قد أخترق الإشتراكية ، ليس سيراً على الأقدام بل بالعجلات ، وحيث أن القوة هى للحزب فمتروك لنا نحن أن نحرك هذه العجلات فى إتجاه أو آخر وفقاً لإهتماماتنا .

ولاشك أن قليل من المؤمنين فى البلاد الشيوعية يعلمون أن بعض قادتهم يسيرون فى طريق قسطنطين ، فهم يريدون أن تُعطى الحرية للكنائس لكن لتلك فقط التى لن تصبح مسيحية بالمعنى الحقيقى للكلمة ، وسيصبح هناك كرازة للشيوعية بالضبط كما حدث فى أيام قيصر .

ولقد خلقت الصحافة إنطباعاً بأن الشيوعية قد أطيح بها ، وأن الشيوعيين لم يعد لهم وجود فإن كان ذلك حقيقة ، إذاً فلا لزوم لتواجد إرساليتنا اليوم ، لكنه على العكس من ذلك فإن الشيوعية لها

السيطرة الكاملة على $\frac{1}{3}$ الجنس البشرى اليوم من خلال الأقطار الشيوعية المختلفة وفى أوروبا الشرقيه أطيح بالحكومات الشيوعية ولكن ليس بالعقيدة الشيوعية المسيطرة على عقول الناس ، فلقد ملأت الماركسية كل العامة من الناس بالخوف فالناس يخافوا أن يقولوا ما يفكرون فيه ، لا عن طريق التليفون ، أو فى الأسواق ، وحتى فى مخادعهم الشخصية فى بيوتهم ، فكل واحد يجبر على التجسس والإخبار عن أى فرد آخر ، حتى على أعضاء عائلاتهم وعلى الكهنة أن يكتبوا تقارير عن إعترافات الناس للبوليس ، وتفتح الخطابات ، وكان من الخطورة أن تقابل أجنبياً ، فجواسيس البوليس موجودون فى كل مكان .

أما ما يعلن على الملا أن الجميع كانوا فى صف الشيوعيين الذين كانوا دائماً يحصلون على ٩٩٪ من الأصوات فى الإنتخابات لأنه بالطبع لم يكن أحد يجرؤ على الإدلاء بصوته كما يقتنع به فهو كذب لكن الحقيقة هى أن كل فرد فى الشعب يكره الحكومة فلقد أحتجز الملايين فى المعتقلات ، والكثيرون ماتوا قبل أن يحصلوا على حرياتهم ، وأهاليهم تعرف جيداً ما يحدث لهم فى السجون ، ورغم أن العذاب كان قائماً فى كل تاريخ البشرية حتى يظن المرء أن كل طرق التعذيب كان معروفه ، لكن الشيوعيين دائماً مبتدعون ومجددون فمع علمهم أن قليل من المتطوعين يعملون فى تعذيب الأخرين وأن عدد الضحايا كثيرون لذا جعلوا هناك فترة أكبر من الراحة بين موجات التعذيب ،

وأجبروا الكثيرين على أن يكونوا معذبين ولم يكتفوا بالضغط على الضحايا وحرمانهم من الدفاع عن أنفسهم وأنتهاك حرمات وأسرار جمعياتهم بل كانوا يعذبونهم إلى أقصى حد حتى يرضخوا ويقبلوا أن يكونوا هم أنفسهم المعذبين لأخوانهم فى الإيمان .

وينتج عن ذلك وجود مسجون جديد ، يفكر فى أنه كان فى زنزانة واحدة مع أخيه المؤمن وقد تعرض لأقصى أنواع الأذى لا بيد ضباط البوليس السرى بل بواسطة إخوته الذين وثق فيهم وعبد الرب معهم وكان معهم دائماً ليلاً ونهاراً ، وها هو يُعذب بلا توقف أو هدنة حتى يرضخ هو أيضاً ويصبح من المعذبين ، لذا فمنهم مَنْ صار (سادياً) أى يتلذذ بأن يكون معذباً والبعض فقدوا عقولهم .

لقد أضيرت كل الشعوب والأمم التى تحكمها الشيوعية وليست أقطار أوروبا الشرقية فحسب وسيحتاجون إلى عدة عقود من الزمن لكى يشفوا من هذا الضرر ، إذا أعترفوا أن الدواء الأمثل لعلاجهم هو الإنجيل ، لذا فإن عمل إرساليتنا هى أن تمد هؤلاء الناس بكلمة الله فالحاجة إليها الآن شديدة أكثر من قبل ، لذا فإهمالنا لواجبنا فى مدهم بالكتب المقدسة يغضب الله أما تتميم مشيئته فى ذلك يجعله يفرح بالتسبيح « انتبهوا لئلا يخدعكم أحد » (مت ٢٤ : ٤) .

والتحذير أيضاً أمر وثيق الصلة بعملنا لأن المسيحيين فى العالم الحر معرضون لأن يخدعوا بالتغيرات التى طرأت على الإتحاد السوفيتى ، لذا يقول بعض المعتذرين عن تكملة المسيرة معنا (أن جورباتشوف

يقود البلاد إلى الديمقراطية ويمد عليها الحرية لذا فإن الإرساليات للعالم الشيوعى لم يعد لها أهمية الآن) . غير أن لينين وهو مؤسس الشيوعيه وجورباتشوف أعترف بقول حكيمهم « إن مئات الأوبئة والكوارث الطبيعية لهى أفضل كثيراً من أى فكرة بسيطة عن الله » ولأن مجرد التفكير فى وجود الله لهو أمر مرفوض تماماً . لقد كتب لينين أيضاً يقول « كلما إزداد قتل رجال الدين ومَنْ يمثلونهم ويشبهونهم كان ذلك أفضل » .

لماذا كل هذا العذاب

إن أقصى عذاب تحمله الرومانيون ومواطنى البلاد الشيوعية الأخرى هو أن لا يعرفوا لماذا يتحملون كل هذا العذاب والألم ، فهذا ما يشل عقولهم .

فيقدر عدد الذين قتلوا من الأبرياء فى الاتحاد السوفيتى وحده بـ ٥٠ مليون ولا يعرف أحدكم عدد القتلى فى رومانيا وفى البلاد الأخرى ، والبعض فى السجون لأنهم يهود ، وأخرون لأنهم معادون للساميا ، القسوس وضعوا فى السجن لكونهم ينشرون الدعايا الدينية ، والمحاضرون الملحدون وضعوا فى السجن لأنهم لم يكونوا مؤثرين فى دعايتهم التى يمارسونها ضد الدين ، البعض من أعداء الشيوعيين يتعذبون لمجرد أن يفسرون بعض المبادىء من تعاليم ماركس تفسيراً يبدو غبياً للمتعصبين من أعضاء الحزب الشيوعى .

ولقد أعتاد الشيوعيون أن يدينوا كل العائلة إذا عمل أى فرد فيها أى عمل لا يرضون عليه . فأنا أتذكر أننى كنت مسجوناً وقتاً ما مع أب وأولاده الأربعة وكانت زوجته وبناته مسجونين فى سجن آخر والمساجين الجياع والمضروبون كانوا يتخلون عن بعض الساعات القليلة التى يسمح لهم فيها بالنوم ليبحثوا فى هذا السؤال الذى لا نهاية ولا جواب له « لماذا أتى علينا وعلى العالم كل هذا » أين هو الله فى كل هذا ؟ فهو من المفروض أن يكون كلى القوة والمحبة ، أليس فى إمكانه أن يمنع كل هذه الأمور من الحدوث ، أو على الأقل ينهيها الآن فلماذا لا يفعل ؟

لقد فقد أحد المساجين اليهود عقله وكان يردد بإستمرار كلمه عبرية واحدة معناها h (مادواه) ومعناها لماذا ؟ وقال « أستطيع أن أملأ مجلدات بكلمة Mah (ماه) أى (ماذا) حدث ، لكن لا يستطيع أحد أن يجيب على السؤال ، Maduah (لماذا ؟) لم أقابل قط إنسان يتعذب أو يعانى وقد أقتنع بالتفسير أن كل هذا الشر ــ وهذه المعاناة ــ هو الحل الوحيد المنتظر من حقيقة أكل آدم وحواء من الشجرة المحرمة ، وأن خطيتهم توارثها أولادهم وأحفادهم عبر كل الأجيال ، وامتد مفعولها إلى الطبيعة أيضاً ، فتأكل الذئاب الحملان ، ويأكل السمك الكبير الصغير ، ويضرب الأطفال الصغار حتى يسيل منهم الدم فى وجود آبائهم ليجبروهم على الإعترافات بما يريدون أن يسمعوا منهم على أيدى المعذبين الشيوعيين كل هذا بسبب أن اثنين

أكلا منذ آلاف السنين من ثمرة ما . وهكذا ندين الخطية الأصلية . ربما يكون بسبب توارثنا لطبيعة الخطية من آدم أن أبنائنا وأحفادنا فى جيلنا هذا لا يستطيعون أن يقبلوا هذا التفسير .

هناك تفسيراً آخر سمعته فى سياق التفسيرات عبر السنين وهو « أن الله غير موجود ، لذا فليس لديه إحساس بالناس ، وما العقاب سوى نتيجة لخطايانا الشخصية ، والعذاب ليس شيء حقيقى ، إنه Maya (مايا) أى شيء يعود إلى عالم الخيال والوهم ، وهذه أيضاً تفسيرات غير مقنعة .

صرخ أحد المساجين الذين هربوا من المعسكرات النازيه حيث فقد هناك كل عائلته وهو الآن يتعذب من الشيوعية ، صرخة يأس فى لحظة ما قائلاً « ألم أتحمل ما يكفى من العذاب فى ظل النازيين والألوية الحمراء ، لماذا أتحمل عذاب السماع لتفسيراتك التى بلا معنى ؟ فالعذاب قاسى جداً ولا تزيدوه علىَّ بتفسيراتكم » لذا فالمؤمنون الذين يعرفون الله معرفة شخصية لابد أن يثقوا فيه دون أن يسألوا أية أسئلة ، فعقولنا لا يمكن أن تلم بإجابات كامله .

إن الشعب اليهودى ــ وهم يُعرفون بأنهم أذكياء جداً ــ عندما كان يسوع فى الجسد بينهم تكلم إليهم بلغة بسيطة ، لكنهم لم يفهموه حتى عندما قال لهم أمثالاً بسيطة جداً ، وحتى التلاميذ كانوا يفهمونه جزئياً لكنهم كانوا يثقون فى يسوع الغامض هذا الذى لم يفهموه كليةً .

وهذا هو الإيمان ، يمدنا بالسبب الذى به نقدر أن نعرف القليل جداً عن بعض الأمور فى هذا الكون الفسيح ، لكننا لانزال نجهل ما هى الذرة ، وصورة الذرة التى يمدنا بها العلم تتغير كل سنتين تقريباً ، فكيف يمكننا أن نفهم الله ؟

وقد تعلمت شيئاً من حفيدى أليكس عن هذا الموضوع عندما كان فى سن الثامنة ، فقد كان لدينا بعض الضيوف يتناقشون فى علم الحساب الأعلى وكان حفيدى موجوداً ، ولم أعرف كيف أجذب أنتباههم ليدركوا بطريقة مهذبة أن عليهم أن يغيروا موضوع الحديث لأنه كان مملاً بالنسبة لطفل فى سن أليكس ، لذا سألته أليكس « هل تفهم ما نتكلم عنه ؟ هل تعرف ماذا تعنى كلمة لوغاريتم ؟ » فأجاب « نعم أعلم » فسألته بدهشة وما معناها ؟ فأجاب « أن اللوغاريتم شيء سأتعلمه عندما أذهب إلى المدرسة الثانوية » وكأطفال فى مدرسة .

كان تلاميذ يسوع يتقدمون من أناس عاديين إلى سماويين ، كانوا متعلمين ، فالشخص لا يمكنه أن يتعلم فى المدرسة الإبتدائية ما يدرس فى الجامعات ويوماً ما « سأعرف كما عرفت » (١كو ١٣ : ١٢)

لذا فمن بين كل التفسيرات للإجابة على السؤال « لماذا كل هذا العذاب » تجد أن أبسطها هى « لا أعرف » ويوماً ما سيكون الله هو الكل فى الكل ، وهذا يعنى أنه سيكون الكل فى ريتشارد وورمبراند ، ولن يكون هناك شخص يسأل وشخص يُسأَلْ ، ولن

يوجد حتى السؤال فسنكون روحاً واحدة ، وسيكون هذا تجسداً صغيراً فى حياتنا .

قال يسوع « مَنْ يغلب فسأعطيه أن يجلس فى عرشى كما غلبت أنا وجلست فى عرش أبى » (رؤ ٣ : ٢٧) ففى مكان ما يوجد عرش خُلِقَ وحُكِمَ منه كل هذا الكون ، وسيكون عرشى أنا أيضاً ، اليوم سأتعلم بصبر ما أحتاجه فى لحظة جلوس على هذا العرش ، ولعل إختبار الألم هو ضمن هذه الأمور التى تؤهلنى للجلوس على هذا العرش . فقد تكمل يسوع نفسه بالآلام .

ويحاول بعض اللاهوتيين أن يخففوا من واقع كلمات الكتاب المقدس ، فيقولون أن الله سمح بالشر فقط ، لكن وفقاً لما جاء فى إشعياء ٤٥ : ٧ كما فى الأصل « أنا عملت الجيد وخلقت الشر » فمدرب خيول السباق لا يضع دروساً معينه لها فحسب بل أيضاً يضع العوائق والحواجز التى لابد للخيول من التغلب عليها ، وقد تكون هذه المشابهة غير كافية لنا لأن علينا أن نتغلب على عذاب جسدى ونفسى رهيب ، لكن عندما نتقابل فى النهاية مع يسوع ، فسنرى أن عذابنا لا يساوى شيئاً بالمقابلة مع عذابه هو الذى تألم به على الصليب ، فمكان الجروح ستصبح زخارف نتحلى بها ، والجروح نفسها ستُجمل بما فقدته ، وأولئك الذين قتلوا سيحصلون على حياه أفضل .

إن المسيحيين لا يواجهون فقط مشكلة الشر ، لكن تحديات الشر

أيضاً فضغوط المشاكل والتحديات تحفزنا بمزيد من النشاط ، فمع أن المسيحيين فى رومانيا لا يرون أية إمكانيه لحل المشاكل لكنهم تعلموا أن يسموا فوقها ، وأن ينظروا إليها من السماويات ، أما بالنسبة لنا فقد كان كافياً جداً عذاب الشيوعيين ، فقررنا أن لا نضيف أى معاناة نفسية كأن نتناقش ونفلسف ما لا يمكن أن نعلمه ، فكل معاناة كانت بمثابة تحدى لنا لنتغلب على أكبر العوائق ، وهى أن نربح معذبينا بواسطة الحب .

وكان داود النبى مثالنا فى ذلك ، لقد كتب مزمور ٩ خلال مأساة موت واحد من أبنائه كما هو واضح من عنوان المزمور لكنه لم يعترض أمام الله على مصيره ، فقال ما يمكن أن يقوله أيضاً إذا رُزق بمولود « أحمدك يا رب من كل قلبى »

يخبرنا الكتاب المقدس أنه فى البدء كان هناك ظلام ، ولم يكن هناك تكوين ما للطبيعه ، فهل الله ــ روح المحبة ــ فى هذا مجابهاً كل مقاومة ليخلق مملكة تفوق الوصف فى الجمال والحق ، إننى أعبده وأهيم به لأجل جرأته وإقدامه على هذا المشروع ، وصلابته فى مواجهة الفشل وإستعداده أن يضحى بأغلى ما عنده لخلاص أبناء هذا العدم ، وكما يخبرنا مزمور ١٢١ « الذى منه يأتى رجاءك وليس حزنك » .

أسطورة كيشاجوتامى

فى زيارتى إلى رومانيا ، وحيثما ذهبت واجهت أسئلة عن الألم الذى كان يطغى علينا مرات كثيرة ، فكنت أخبر السائلين عن أسطورة كيشاجوتامى ، وهى إمرأة صغيره مات طفلها الوحيد فلم تتحمل أن تدفنه ، فذهبت إلى شخص تلو الأخر ترجوه وتسأله إن كان يمكن أن يعيد طفلها إلى الحياة .

فأخبرها رجل عجوز أن رجاءك وأملك كله لابد أن يكون فى المخلص فلديه قوة معجزية لا تتوافر لغيره . فأخذت جثة طفلها وركعت أمام الرب وتوسلت إليه « أرجوك أقم طفلى » فأجابها « بكل سرور سأفعل ذلك إذا أستطعتى أن تحضرى لى قليل من الملح »

الملح ، أمر سهل الحصول عليه ، فبدأت المرأة تجرى فناداها قائلاً « لابد أن يكون الملح من بيت لم يدخله الموت فلم يمت أى من أفراده » ففرحت المرأه « حسناً ، حسناً » وعلى كل بوابة طرقتها كانوا يعطونها ملحاً بكل سرور ولكن عندما كانت تسألهم هل مات أحد أعضاء هذه العائله كانوا دائماً يقولون لها نعم بكل أسف لقد مات أبى ... أو مات زوجى ... أو مات طفلى » فكانت تبكى مع كل شخص يجيبها بهذا الجواب لأنها تعرف الآن وأختبرت حزن الفراق كم يكون ، فتعزيهم وتحصل هى أيضاً على التعزية عندما تعزى الآخرين .

وفى النهاية أتت هذه السيدة إلى المخلص مرة ثانية قائلة « أشكرك على ما علمتنى إياه ، مجداً لك يا مَنْ تعطى لطفلى وكل مَنْ فى العالم الحياة الأبدية »

لقد رأيت كثيراً من الوجوة الحزينة تلمع عندما يستمعون إلى تعاليم يسوع

« لماذا العذاب والمعاناة ؟ » هذا سؤال خطأ ولا توجد إجابة صحيحة لسؤال خطأ كما نسأل مَنْ يستطيع أن يخبرنا عن ألحان شجرة الخوخ ؟ ، هذا سؤال خطأ ، لكن البديل لهذا السؤال الخطأ يمكن أن يكون « ترى ما هى البركات التى يمكن أن أعملها خلالْ ألمى » كيف يمكن أن أستخدمها لأصبح أكثر محبة وفهماً للأخرين فالمشاركة الوجدانية سوف تحقق لك ذلك أكثر جداً من التفسيرات اللاهوتية . وللباقين أقول أقبل ما قاله يسوع لبطرس « لست تفهم الآن ما أنا فاعل لكنك ستفهم فيما بعد » .

ما الداعى لوجود القسوة فى الكتاب المقدس ؟

هناك سؤال آخر يوقع الناس فى متاعب واجهته كثيراً فى رومانيا وهو « لماذا يأمر الله بعمل كثير من الأشياء المرعبة » فلقد أمر موسى ، ويشوع وأخرين أيضاً أن يحرموا كل الشعب وفى كل مرة كان يخص

بالذكر الأطفال والرضع ويأمر بذبحهم ، يأمر بنحر الحيوانات وقطع الأشجار ، مثل هذا الخراب يفوق حتى ما فعله ستالين وشاوشيسكو .

ولقد سمعت هذا السؤال فى الغرب أيضاً ، لكنه نادراً ما يسألونه وبالطبع ليس بنفس الإلحاح الذى يسألون به فى بلدى ، لأن القتل الجماعى الذى تعرضت له أمتى مرات كثيرة جعل القلوب أكثر حساسية لمثل هذه المقاطع الكتابية . لذا فأنا ضد ما يُمارس فى هذه الأيام فى الدول الشرقية وأقصد التوزيع العشوائى للكتب المقدسة لأى شخص يمكن أن يصل إليه ، فهذا لم يكن قصد الله فى البداية فقد أعطى للبشر كتاباً مقدساً وكنيسة تضم معلمين أكفاء ليفسروا لهم المكتوب ، فحيث لا يوجد مثل هؤلاء المعلمين فيكون من الحكمة أن نعطى الناس أولاً كتب تشرح الرسائل الكتابية الأساسية .

وحيث أنه لزاماً علىَّ أن أجيب على هذا السؤال الصعب فأنا أفضل أن أعطى أبسط جواب ممكن ، فإلى حد ما ، يستطيع المجرمون أن يعرفوا ما هو نوع السلاح الذى يمكن أن يستخدمه ضدهم القانونيون ورجال البوليس ، وبالطبع لن يستخدم البوليس المدافع ضد لص للنقود لأن لص النقود لا يحمل مدفعاً ، لكنهم يستخدمون المدافع لمواجهة المسلحين من اللصوص .

وهناك بعض الوسائل التى يمكن أن تستخدم فى حرب ما يمكن إعتبارها لا إنسانية إذا ما كان يمكن الحصول على نفس النتائج

بإستخدام وسائل أخرى ، فلمواجهة الهجوم النازى واليابانى الذين كانوا يمتلكون الدبابات وقاذفات القنابل كان لابد من إستخدام الدبابات وقاذفات القنابل وإلا لكان الشر قد إنتصر .

وهكذا فإن الله يستطيع أن يقيم ويقدر حجم الشر فى أمم وكيانات إجتماعية معينة بطريقة لا نستطيعها نحن فالله وحده هو الذى يعرف الإنسان كله بما فى ذلك الجينات التى تحدد صفات الأطفال . فلقد قال المسيح عن البعض « خيرٌ لهم لو لم يُولدوا » ودعى الأخرين أشراراً وكان له لك الحق فى أن يعاملهم بالمعاملة التى يستحقها الأشرار ، فإن قراراته وأعماله لا تخضع لحكمنا عليها ، بل على العكس علينا أن نخضع لها .

لقد قال لينين مؤسس الشيوعية الروسية « إذا كان كيرينسكى (وهو رئيس وزراء روسيا فيما قبل الإحتلال الشيوعى) وقد قبض على دستتين من القادة فى حزبنا لما أستطعنا أن نصل إلى السلطة » وأيضاً لما قُتِلَ ملايين الأبرياء ، ولإستطاعت البشرية أن توفر على نفسها حمام الدماء الذى جرى لمدة ٧٠ سبعون عاماً ومن الجانب الأخر فلاشك فى أن بعض المدافعين عن حقوق الإنسان كانوا سينتقدون كيرنيسكى لحرمان الشيوعيون من حقهم الإعداد لهذه الشرور .

لذا من فضلك لا تفلسف الكتاب المقدس ، لكن فقط أدخل إلى أمة أولاد الله المقدسة أهرب من بين أولئك الذين يستحقون غضب

الله ، ولكن كن حذراً فإن النسخة الأصلية للكتاب لا تحتوى على علامات الترقيم ، فليس بها نقطة أو فصلة واحدة ، توجد فقط النقاط فى الترجمات وبعد تعبير مثل هذا هم قتلوا . أو الله قتل . وجاء فى اللغة العبرية « الله يقتل ويحيى » (١صم ٢ : ٦) فى السماء ، سنتقابل مع الكثيرين الذين كنا نظن أنهم ذبحوا ، أحياءً وسعداء ، وهم يشكرون الله لأنه نقلهم من مستوى الأمم المتصارعة إلى مستوى مجد أولاد الله .

ولعله من الأفضل أن نعرف معنى الكلمات « قال الله » فى الكتاب المقدس ، فالله الآب لم يره أحد قط ، فعندما يقول مؤلفو الكتب الدينيه كالمؤمنين فى أيامنا هذه ، « الله تكلم إلىَّ » يعنون بذلك أن صوتاً داخلياً تكلم إليهم ، فنحن مركبون من عدة أجزاء ، من الوعى ، واللاوعى ، إتجاهات وميول مختلفة ، حتى تلك المتصارعة فينا ، كل هذه الأشياء يمكن أن تتشكل فى عقولنا كأصوات تشير علينا وتدفعنا للعمل ، ويطلق المتدينون على ما يدعوهم لعمل ما يعتبرونه أرفع الأشياء وأسماها (صوت الله) ، وفى بعض الأحيان يكونون محقين فى ذلك ، لكنهم أيضاً يمكن أن يرتكبوا أخطاء شنيعة نتيجة لذلك . فآيات الله الخومينى ، والقس موون وجوزيف سميث مؤسس طائفة المورمون ، كل منهم متأكد أن ما قاله كان « كلام الله »

لم يوافق يسوع على بعض أحداث الكتاب المقدس فى العهد

القديم ، فعندما أستنزل إيليا النار على فرقة الملك الشرير كان متأكداً أنه بهذا العمل يتمم مشيئة الله ، ولكن عندما أراد تلاميذ المسيح أن يحذو حذوه ضد أولئك الذين لم يقبلوهم ، ولهم الثقة فى أن ما عمله إيليا كان بوحى من الله ، أنتهرهم يسوع « لستما تعلمان من أى روح أنتما » فأنبياء العهد القديم لم يكونوا يعملون ما يوحى إليهم بروح الله فى كل وقت ، حتى عندما كانوا يعتقدون ذلك .

دعونا نعتز بإعلان يسوع : الله محبة .

مهمة شفاء الأمم

لقد أنتهت الشيوعية كمؤسسة سياسية فى كل الولايات التابعة للإتحاد السوفيتى تقريباً ، لكن الشيوعية لاتزال تحارب فى كل من رومانيا وبلغاريا لتحتفظ بقوتها السياسية ، ورغم أنها لاتزال تسبب أذى كبير ، لكننا نثق أنها حرب خاسرة ، فهى حرب العدو المهزوم اليائس والإنتفاضة الأخيرة للحية قبل موتها . ولن تستمر على قيد الحياة حتى فى الإتحاد السوفيتى فيماعدا ذلك فالشيوعية أكثر من مؤسسة سياسية ، لقد ذكرنى أحد الفلبينيين الذين سمعونى أتحدث منذ عشرين عاماً مضت فى الأكاديمية العسكرية فى مانيلا التى كان لها جيشاً يحارب ضد المعتقدات الماركسية ، أننى قلت شيئاً ترك إنطباعات داخله ظلت تلازمه حيث أنه كان شيئاً غير متوقع وهو أن « هناك شيوعى متمرد داخل كل منا » .

إن أقوى تعبير ومثال عن إرتداد القلب البشرى عن خالقه هو ماركس الكاره لله وهذا موجود دائماً فى الجنس البشرى الساقط فى صورة دفينة ، لكن المجتمعات كلها تحاول كبحه ، أما الشيوعية فرفعت الغطاء عنه فقد كتب ماركس « إن الجانب الشرير فى الإنسان هو الذى يكتب التاريخ » ولقد سمعت أنا نفسى معذب شيوعى يقول « إننى أشكر الله ، الذى لا أؤمن بوجوده ، الذى جعلنى حياً فى مثل هذا الوقت لأعمل كل الشرور التى أريدها دون أن أخاف من العقاب ، نعم ، بل وإننى متأكد أننى سأكافأ على إرتكابها » .

إن هذا الروح الشرير الذى يتكلم به هو نتاج الشيوعية ، وعلى الكنيسة أن تصارع لعدة عقود ضد السموم الشيوعية فى القلوب البشرية ، الكراهية ، الحسد ، الخيانة ، الإباحية .

لقد كانت الإنتخابات ١٩٩٠ فى رومانيا ، وغيرها إنتخابات حرة ، وبعد خمسة وأربعين عاماً من الطغيان القهرى ، ربح الشيوعيون إنتصارات عظيمة ، وهناك عدة أسباب لذلك تلك التى ذكرتها الآن ومنها أيضاً أن أحزاب المعارضه تدافع عن صداقه الغرب ، فى الوقت الذى تعلم فيه الرومانيون لعدة عقود أن الحكومات الغربية ظالمة ومستبدة ومستغلة بينما يعيش شعوبها فى الجوع والعوز ، لكن السبب الرئيسى الذى يكمن وراء نجاح الشيوعية هو هذا « مَنْ يستطيع أن يدلى بصوته ضد الحزب الشيوعى ؟ »

فإذا سقطت الشيوعية من السلطة وفتحت ملفات البوليس

السرى ، فإن كثير من العائلات سوف تنقسم وتتشتت لأن الزوجات قد أبلغن عن الأزواج ، والعرائس عن العرسان ، والأطفال عن والديهم ، والقسوس والكهنة عن أعضاء كنائسهم والعكس ، حتى فى ذلك الوقت الذى عَظُمَ فيه التحول من الشيوعية إلى المجتمع الحر ، كما فى ألمانيا الغربية ، تشيكوسلوفاكيا ، لم يُفتح أرشيف البوليس السرى للعامة .

أما إذا فُتحت هذه الملفات للفحص أمام عامة الناس فى روسيا ورومانيا فسيؤدى ذلك إلى إنهيار هذه الأمم . فلن يستطيع الناس أن ينظروا فى عيون بعضهم البعض .

لقد أعترف لى راعياً لكنيسة معمدانية صغيرة تضم أربعين عضواً فقط أنه كان مخبراً لدى البوليس السرى فلذا فقد عرف أن هناك خمسة من أعضائه أرشدوا عما يفعله ، وقد كنت فى السجن مع ملحد كان قد تشاجر مع عروسته فقالت للبوليس أنه قال لها بعض التعاليم المخالفة للشيوعية ولذا حكموا عليه بالسجن لمدة عشرين عاماً .

إن رومانيا تشعر بالذنب ــ (فى الأقطار التى أحتلها النازيون ، هناك عدد لا بأس به من المتعاونيين مع البوليس السرى ، لكنه ليس عدد كبير كما هو الحال فى البلاد الشيوعية لأن الوقت الذى تسلط فيه النازيون كان أقل من وقت الشيوعية) ــ وهى تخاف من الفضيحة ، فإن الآف يصوتون لصالح الشيوعين مع أنهم يكرهونهم لأنهم كانوا شركاءهم فى الجرائم ، وقد قُدِرَ عدد الذين عملوا

كجواسيس للبوليس السرى بواحد من بين كل عشرة بالغين ، وعمل كذلك لمرة واحدة على الأقل ، حتى السنودس الأرثوذكسى الرومانى استعدى البطريرك نيوكتست الذى كان يلقبونه « لاحس حذاء شاوشيسكو » وعندما تقاعد بعد سقوط شاوشيسكو وتجمعت الجرائم ظهر أن الكهنوت ككل فى رومانيا قد تدنس بالذنب .

عندما يقترب يوم الدينونه الأخير ، سيحل الشيطان من سجنه الذى سيلقى فيه لألف سنة ، وبعد أن يستعيد سلطته أن يغطى ــ وهذا ما يأمله الناس ــ على أفعالهم الشيطانية (رو ٢٠ : ٧) .

إن جميع الكتاب الرومانيين ــ تقريباً بلا إستثناء ــ جعلوا شاوشيسكو يجمح فى كبريائه داعيين إياه « العبقرى الأعظم » وما شابه ذلك من غباءات ، ولم يعترف أى منهم بالذنب ، صمتوا جميعاً ، لذا فإن الكنيسة الرومانية عليها مهمة خطيرة وهى شفاء الأمة .

البقيه التقيه لله

إن لله بقيه تقيه فى رومانيا كما فى دول أوروبا الشرقية الأخرى ، وإن كثير جداً من المسيحيين قد ماتوا فى ثورة ديسمبر سنة ١٩٨٩ ، نعم شكراً لهم ، فقد أطيح بشاوشيسكو ، وكان ذلك فى ليلة الميلاد ، وكانت هذه معجزة من الله ، فقد منع الاحتفال بعيد الميلاد ، لكن

الآف آخرين مازالوا أحياء ولهم روح مسيحية مدهشه .

فى ١٣ يونيو سنة ١٩٩٠ وبعد أن قُتِلَ مَنْ إدعوا أنهم عمال المناجم [والحقيقه أنهم كانوا رجال من البوليس السرى السابق] خمسة وجرحوا المئات وأعتقلوا أكثر من ألف من الثائرين فى مظاهرة سلمية فى بوخارست كانت هناك مظاهرة أخرى ، الآف من البشر مشوا والورود فى أيديهم ، مرددين شعاراً بكلمات منظومة شعراً فى رومانيا قائلين « أنتم تأتون لنا بالفؤوس والعصى ، لكننا نأتيكم بالورود » . حتى أن الجيش الذى أرسل ليقمع هذه المظاهرة ، أغرقهم المتظاهرون بالورود ، إنغمس الجنود فى الورود ، لذا فلم تكن هناك أحداث دموية ، وكانت هذه أول مظاهرة يستخدم فيها المتظاهرون الورود ليجابهوا الظلم والمستبدين ، تابعين تعاليم المسيح ، « أغلبوا الشر بالخير »

لقد علمت إرساليتنا الرومانيين هذا الأمر لأكثر من عشرين عاماً من خلال الكلمة المطبوعة وإذاعة الراديو ، وكانت هذه هى رسالتى منذ اليوم الأول الذى أصبحت فيه راعياً ولم أتخل عنها لا فى السجن ولا خارجه وكانت هذه هى رسالتى التى وعظتها فى رومانيا عندما رجعت إليها هذه الأيام ، كانت هذه الرسالة تعبر عن إنتصار المسيح فىَّ ، وكانت أيضاً أعظم ما يكفينى شخصياً فى كل حياتى .

ولم تبق تلك المظاهرة هى الوحيدة فى تاريخ رومانيا ، فعلى ضفاف نهر بيروت الذى يفصل رومانيا كما هى اليوم من مقاطعة بيسارابيا ــ

والتى سرقها السوفيت وأطلقوا عليها جمهورية مولدافيا ــ وبمناسبة الذكرى الأربعين لهذا الحدث المأساوى ، تحولت رومانيا على جانبى هذا النهر إلى سجادة من الورود فى مظاهرة ضخمة حيث القى الناس الزهور فى الماء ، فلعل شعب له مثل هذه البقية لا يمكن أن يهلك ، فسيحول الله حزنهم إلى فرح وسيقهر يسوع وهو الحق لينين وماركس المخادعين .

أما الكنيسة الرومانية الحقيقية مثلها فى ذلك مثل كل الكنائس فى البلاد الشيوعية سابقاً تحتاج إلى مساعدتكم ، أعطوهم كتب مقدسة ونبذ روحية ، أعطوهم تعاليم مسيحية عن طريق الراديو ، ساعدوا الكنائس الفقيره لتبنى بيوت صلاتها ، ساعدوا المساجين السابقين على إعادة تشكيل حياتهم ، وساعدونا لنأتى بالشيوعية إلى يسوع ، فإذ لم يستطع المنتصر أن يجدد ويغير المنتصر عليه فلابد أن يكون النصر غير كامل ، لقد هزمت جيوش الحلفاء ألمانيا فى الحرب العالمية الأولى ، لكنها لم تغير ألمانيا إلى طريقة تفكيرهم لذا أعدوا بذلك المسرح للحرب العالمية الثانية .

لقد خسر الشيوعيون معارك الغش والخداع فى أوروبا الشرقية ، فإذا لم يُربحوا للمسيح أو على الأقل لسلوك بشرى مهذب ، فسيتحرك الشر مرة أخرى فى خلال السنين القليلة القادمة ، فلابد أن تحترس ، وأنا شخصياً كذلك ، فرغم أن كثيرين من المتقدمين فى السن من الناس يعيشون على إجترار الماضى ، وهذا شىء غير منتج إلا أننى وقد

وصلت من العمر اثنين وثمانين عاماً لازلت صامداً كجندى للمسيح
وأترقب مستقبلاً عظيماً ، تعال وحارب معى .